

obeikandi.com

كلمة عن حياة المؤلف

عن معجم الأدباء لياقوت وعيمون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبى العباس الأبيوردى
رحمه الله بهمدان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه^(١) معاً ، وقال كان يتبرز احترازاً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو فى سؤاله عن - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر ، وله فى اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد ، وكتاب الصناعتين
صناعى النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الغنائم بن حماد
المقرئ . وأنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شبابٌ وتغشاك مشيبٌ
فأتى مالىس يمضى ومضى مالا يؤوبٌ
فتأهبّ لسقام ليس يشفيه طيبٌ
لاتوهمه بعيدها إنما الآتى قريبٌ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) فى نسخة « العفة » مكان « الفقه » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالى من يلقط المعجم وحالى فيكم حال من حال أو حجبم
فأين انتفاعى بالاصالة والحجا وما ربحتم كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس^(١) يصير حالى فلا يلعن القراطس والخبر والقلم
ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتسنى قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال
أنشدنا أبو هلال العسكرى لنفسه :

جالوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأنامَ قرودُ
ولا خيرَ فى قومٍ تذلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذاهم وبسودُ
وتهجوهم عني رثائهُ كسوتى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ
ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الاستراباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى العسكرى لنفسه :

يا هلالاً من القصور تدلى صامَ وجهى لمقلتيه وصلى
لست أدري أطلال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعى النجوم كنتُ مخلى
هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال ..

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدري أطلال ليلي أم لا *
والبيت الذى بعده أتيه فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد العسكرى .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعاني وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائهُ ملبسى)

(٣) لعل الغلط من الراوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يثنى ابن شاكر فى عيون التواريخ على (ديوان المعاني) فلعله اطلع عليه .

وكتاب جهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحاسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
العمدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ماتلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نواذر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يباقي فيها شيء ، غير أني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إتمام هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلعت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب بخط العسكري أبي هلال
فلو أني جعلتُ أميرَ جيشٍ لما قاتلتُ إلا بالسؤال
فإنَّ الناسَ ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطرافِ الأموال
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :
فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوي وأنا في السرور من كلِّ نحرٍ
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحِي من حرورِ تشوي الوجوه وتكوي
بردَ الماءِ والهواءِ كأنَّ قد سرقَ البرد من جوانحِ خلو
ريحه تلمسُ الصدورَ فتشفي وغماماته تصوب فتزوي
ليستُ أنسى منه دَمائِمَ دجن ثم من بعده نَضارةِ صحورٍ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببرو
وغيوماً مطرِزاتِ الحواشي بوميضٍ من البرقِ وخفوي
كلما أرخت السماءُ عُراها جمعَ القطرِ بينَ سُفلى وعلا
وهي تعطيك حينَ هبتُ شمالاً بردَ ماءٍ فيها ورقَّةٌ جَوٍّ
ونرى الأرضَ في ملاءةٍ تلج مثلَ ريطٍ لبسته فوقَ فرو

فاستعار العراء^(١) منها لباساً
 فكانن الكافور موضع ترب
 وليالٍ أطلت مدة درسي
 مرّاً لي بمعضها ببقه وبعض
 وحديث كأنه عقد رياء
 في حديث الرجال روضة أنس
 ومن شعره في ارتفاع السفل :
 لا يغرنكم علو لثيم
 فارتفاع الفريق فيه فضوح
 سوف يمني من الرياح بنضو
 وكأن الجان موضع قرو
 مثلاً قد مدد في عمر طوى
 بين شعر أخذت فيه ونحو
 بت أرويه للرجال وتروى
 بات يرعى بأهل نبل وسرو^(٢)
 فعلو لا يستحق سفل
 وارتفاع المصلوب فيه نكال

(١) في الأصل « العراء » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان
 المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما بعد ان اذبح ظهر لك قلبى فمخبر منى اذبح
 وحده الى الرب بعد منى اذبح من اجزاء مال حبه الى الرب
 قال كذبت الى الرب الى مالك من طول نسو بالذبح فذبحه
 الى صله الذبح والقرابة بعده وبعده وكان مالك الى الرب من
 قرب مالك من الرب وان ابن مالك من اذبح من اذبح
 احسن معا شريك وان احب الناس الملك اهدام بالمسح
 عليك وان اهدام الى مودك من اذبح لك ولا الى اقول
 ولقد بلوت الناس من مودك ووصالك ما اطعوا من الاباء
 فاذا القرابة اذبح فاحطوا اذبح الودع اذبح
 قال ابو هلال رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزيّف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الخطورة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته .
قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبدع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواديها وشذاذها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهمل رخو ولا متجمد فج ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فإن سبق إليه بالجواب جل قدره وفخيم أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرفت القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمنادمته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السميان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسماً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطانته فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقي ملياً يتمكر فقال أبو الفضل : فند عند
 خاطرك حُداجة ، ثم قال هات أبيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أبقيتُ بعدى قوافى تُعجبُ المثنائينا
 لذيذات المقاطع محسكات لو أن الشعرَ يلبسُ لارتدينا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدي شوارداً إليك يُحمنَ الثناء المنخسلا
 مُتخالُ به بُرداً عليك محبِراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 ألدَّ من الساوى وأطيبَ نفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأثقلَ قيمةً وأقصرَ في سمع الجليس وأطولاً
 ويُزهِى به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الراوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياسة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدتُها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد ، وكان يقال له الاستاذ . وكان سائساً مديراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصصه جماعة من مشهورى الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٢٠ هـ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فمن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ هـ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعى لم تزل
هي جوهرٌ نثرٌ فأنث الله
في كل معترك وكل مقامة
فاذا القصائد لم تكن خفراءها
من أجل ذلك كانت العرب الألى
وتند عندهم العلاء الأعلى التي
قال وبقى الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ،
وفند هذا مخنث كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص ^(٤) ، وكانت بعثته
ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فمطر فتبدد الجرف فقال
تمست العجالة فقالت فيه :

بعثتك قابساً فلبثت حولا متى يأتى غياثك من نغيث
وقال الشاعر : مارأينا لغراب ^(٥) مثلاً إذ بعثناه لحمل المشملة ^(٦)
غير فند أرسلوه قابساً فتشوى حولا وسب العجالة
فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
السرعة فقبل أسرع من حداجة ^(٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع لحظي النضر بن شميل ^(٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللؤلؤ . (٢) في الديوان
المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرد القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجمع فيه
المقدحة بالآلاتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
(٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل إلى خراسان فشيعة من
البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال
حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت
أدخل على المأمون في سمره فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر
ما هذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد
بهذه الخلقان ، قال لا ولا سكتك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر
النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله
ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجهها كان فيها سداد من عوز » فقلت
صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي
طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة
لدينها وجهها كان فيها سداد من عوز » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال
يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا نحن قال ويحك أتأخذني
قلت إنما نحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فما الفرق بينهما ؟ قلت
السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو
سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد تغر
قال قبح الله من لا أدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قاتله العرب
قلت حمزة بن يسير ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثامة الهيئة . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب إلى العسرج
منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شبب
بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :

وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أستنمها بنعري

(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم
إلى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ و « بيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يَقُولُونَ لِي وَالْمَيُونُ هَارِزَةٌ أَقِمُّ عَلَيْنَا يَوْمًا فَلَمْ أَقِمِ
أَيُّ الْوُجُوهِ اتَّجَمَتْ قَلْتُ لَهَا وَأَيُّ وَجْهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ
مَتَى يَقُولُ صَاحِبَا سُرَادِقِهِ هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَتَسِمِ
قَدْ كُنْتُ أَسَلْتُ فِيكَ مُقْتَبِلًا فَهَاتِ ادْحُلْ أَوْ قِي سَلَمِي

فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، أَنْشَدَنِي أَنْصَفَ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَلْتُ ابْنُ غَزْوِيَةِ الْمَدَنِي

حَيْثُ يَقُولُ :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِي وَاعِرًا لَمَزَاحِمٌ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَاءِهِ
وَمُمِيدُهُ بَصْرِي وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مُسْتَزَحْزَحًا فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
وَأَكُونُ وَالِي سِرِّهِ فَأُصَوِّئُهُ حَتَّى يَحْبِينَ عَلَى وَقْتِ أَدَائِهِ
وَإِذَا الْحَوَادِثُ أَجْحَفَتْ بِسَوَامِهِ ^(١) قُرْنَتْ صَحِيحَتُنَا إِلَى جَرِبَائِهِ
وَإِذَا دَعَا بِاسْمِي لِيَتْرَكْ مَرْكَبًا صَعْبًا قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سَيْسَائِهِ ^(٢)
وَإِذَا رَأَيْتَ لَهُ رَدَاءً نَاصِرًا لَمْ يُلْفِنِي مُسْتَمْنِيًا لِرَدَائِهِ

فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، أَنْشَدَنِي أَقْنَعُ بَيْتٍ لِلْعَرَبِ قَلْتُ الرَّاعِي ^(٣) حَيْثُ يَقُولُ :

أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ الرِّزْقِ لِنَفْسِي فَأَجْمِلُ الْطَّلِبَا وَأَحْلُبُ الذَّرَّةَ الصِّفَاءَ وَلَا
إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا أَجْبَدَ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَالِبَا
وَالنَّذْلُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا رَغْبَتَهُ فِي صَنِيعَةِ رَغْبَا
مِثْلُ الْحَمَارِ الْمَوْقِعِ السُّوْلَا يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهْبَا
وَلَمْ أَجِدْ غُرَّةَ الْخِلَاقِ إِلَّا الدِّينَ لَمَّا اعْتَبَرْتُ وَالْحَسَبَا يُحَسِّنُ شَيْئًا إِلَّا إِذَا ضُرْبَا

إِلْيَاءِ آخِرِ الْحُرُوفِ وَآخِرُهَا ضَادٌ مُعْجَمَةٌ ، عَلَى مَا نَصَّ عَلَيْهِ فِي الْوَاقِفِ بِالْوُفَايَاتِ
وَالنَّاجِ ، وَيَضْبِطُهُ كَثِيرُونَ بِالْفَتْحِ وَهُوَ خَطَأٌ . (١) السَّوَامُ : الْإِبِلُ . (٢) السَّيْسَاءُ
بِالْكَسْرِ : مُنْتَظَمٌ فَقَارُ الظَّهْرِ ، وَمِنْ الْفَرَسِ حَارِكُهُ ، وَمِنْ الْحَمَارِ ظَهْرُهُ . الْقَامُوسُ .
(٣) هُوَ الشَّاعِرُ عُبَيْدُ بْنُ حَصِينِ الرَّاعِي الْنَمِرِيُّ ، مِنْ مُعَاصِرِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ .

قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِقُ الْمُقِيمُ وَمَا شَدَّ بِمَيْسَرٍ رَحَّالًا وَلَا قَتْبًا
وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالسَّرْحِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُفْتَرِّبًا
فَقَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، مَا مَالُكَ يَا نَضْر ؟ فَقُلْتُ أَرِيضُ لِي بِمَرِّ أَتَصَابِهَا وَأَتَمَذُّهَا قَالَ
أَلَا (١) نَفِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَالًا ؟ قُلْتُ إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرَاطَسَ وَكَتَبَ
وَلَا أَدْرِي مَا كَتَبَ ، قَالَ كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتَرَبَّ ؟ قُلْتُ أَتَرَبُّهُ ،
قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَتَرَبُّ ، قَالَ فَمَنْ الطَّيْنُ ؟ قُلْتُ طَنَّهُ ، قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَطَّيْنُ ،
قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ يَا غَلَامُ أَتَرَبُّهُ وَطَنَّهُ ، ثُمَّ صَلَّى بَيْنَا الْعِشَاءَ ثُمَّ قَالَ
لِخَادِمِهِ تَبْلُغْ مَعِيَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ . فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ يَا نَضْرُ إِنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ لَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَمَا كَانَ السَّبَبَ فَأَخْبَرْتَهُ وَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ
لَحَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتُ كَلَّا أَمَّا الْحَنُ هَشِيمٌ وَكَانَ لِحَانَةُ فَتَبِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَفْظَهُ
وَقَدْ تَبِعَ الْفُقَهَاءَ ، فَأَمَرَنِي الْفَضْلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَخَذْتُ ثَمَانِينَ أَلْفًا بِحَرْفِ اسْتِفَادَةٍ مِنْهُ .
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَخْبَرَنَا الصُّوْلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ
فَأَمَرْتُ أَنْ يُسْأَلَ أَبُو بَحْلَمٍ عَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ فَسُئِلَ بَعْدَ أَنْ أَحْضَرَ فَقَالَ أَحْسَنُهُ
قَوْلُ حَكِيمٍ وَهُوَ شَاعِرُ عَصْرِهِ الْفَرَزْدَقِيُّ بْنُ تَوْنِبِ الْعَمَلِيُّ (٢) :

وَفِيَّةٌ كَالسِّيَوفِ أَحْصَرَهُمْ لَا حَصَرَ فِيهِمْ وَلَا بَحْلَ
بَيْضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِّهِ وَبَلَّوْا (٣)
لَا يَتَأَرَوْنَ (٤) فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُنَادٍ أَنْ أَنْزِلُوا أَنْزَلُوا
لَا يَعْتَرِي شَرْبَنَا اللَّجَاءُ وَقَدْ تَوَهَّبَ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحَلَالُ
فَلَسْتُ حَسَنَ الْوَائِقِ الْأَيَّاتِ وَوَهَبَ (٥) أَبَا بَحْلَمٍ .

(١) فِي نَسْخَةٍ « أَفْلَا » . (٢) مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ كَبِيرًا

وَكَانَ وَجِيهًا جَوَادًا . (٣) الْوَبْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . (٤) تَأْرَى بِالْمَكَانِ : احْتَبَسَ .

(٥) فِي نَسْخَةٍ « وَوَصَلَ » .

فحاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقة اليه عتيده ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة اليه هذه الحاجة فوَقعت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام اليه حتى تهذب وتنقف وتشذب وتلدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألفي فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكاليف لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسيا إذا كان الغرض الذي
ينزع اليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه
ويدونه أورياسة أرادها فارتادها وسيادة طالب اقتيادها وليس ذلك للمتواهي المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرْتُ سَمْعِيَوْمَهُمْ وَأُنْسِتَ عَنِ الَّذِي قَاسُوهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقسام فأعلم لها صعداء مطاعها طويل
وقيل : إن السيادة والرياسة والعلى أعبأهن كما علمت ثقال
وقيل : وإن جسيمات الأمور منوطه مُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ
وقلت : * إن الأمور مريحها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لمن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَتَى دَرَكُ الْعُلَا إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَعَّبِ

ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستغندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
بعيدٌ علي من ليس يطلب حاجة وأما علي ذي حاجة فقريبٌ
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا أني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير مقنع يشقى الراغب ويكفي الطالب فجعلته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراغ : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجري معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظاماً وثيراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يعتمد والاقصار على أمر لا يتوخى سواء .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : في الخصال .

الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : في الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : في ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : في ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : في ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : في ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : في ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : في ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : في ذكر الشباب والمشيىب والعلل والموت والمراثى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : في صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طوله وكبر حجمه وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره في صغره وكبره ولكن ينبغي أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ومحدث بما ينشط لاستمائه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية ويكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمنت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالإنسان لا يسلم منه
خالقه وخلقه وقوله وفعله وقد شمل العيب كل شيء حتى صارت في وجنة القمر
سفعة ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تخبر أمره معائب حتى البدر أكلف أسفع
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاني والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قالته العرب قول النابغة الذبياني^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتدبذب^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنبغه في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب المعلقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بعد أن شبيب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والملك : الملك ، ويتدبذب : يضطرب .

بأنك شمسٌ والملكُ^(١) كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكبٌ
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز خدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأً لى جانب من الأرض فيه مُستترادٌ ومذهبٌ
مُلكٌ^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أحكمهم في أموالهم وأقرب
حكمتك في قوم أراك اصطفتهم^(٣) فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
يقول لانهني على شكرى وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أنى
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستسبق أخاً لانهني على شعث أي الرجال المذهب
فإنك مظلوماً فبعد ظلمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يعتب
يقول مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العتبي والرجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمسٌ والملك كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكبٌ
يقول ما صاحت لى أنت فاني لا أريد غيرك من الملك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملك» الموجودة في ديوان النابغة

المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك : (٢) وهم ماوك نسان . (٣) الذي في

ديوان النابغة المطبوع « كفضلك في قوم أراك اصطفتهم » .

الشمس لم يحتج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بعض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرَوِ بْنِ هِنْدٍ عُصْبَةً وَهَرَطَاتِبُ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكب
وقالت صفية الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَلَاكِ رَبِّ الزَّمَانِ وَلَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَنْزُرُ
كُنَّا كَأُنْجُمٍ لَيْلَ بَيْنِنَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَأَنَّ بَنِي نَبَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءَ الْكَوَاكِبُ
ومثل قول النابغة * احكم في أموالهم وأقرب * قول الأشجع (١) :

لَا تَعْذِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعْشَرًا خَطَبَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى بِالْأَمْوَالِ
يَتَزَحَّضُونَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ كُلِّ مُتَّكِئٍ مِنَ الْأَجَالِ
وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فأنت كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من فحول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

ماقاله فإسلا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نبطويه يذكر عن أنفراء قال قال السكسائي حضرت مجاساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في معاقبة اللغات ومجاريها ونواذر الاعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوازوائد الحطيم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا ^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة ؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلده فهو يجتليهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لعدو به مخرجه وسهولة مطالبه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتذراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عذرك وأصفح لقدرك عنك ثم أمر فنخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذاً معتذراً فقال له الحاجب الملاك على شرا بهقال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأئدة عند السكر فان يبلغ لي فلق المجد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ما تفي عنايتي بك بدون شكر لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوى ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ،

وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد أربعين سنة وخلف الأحر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكره فمن عنده ؟ قال خالد بن جعفر السكابي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا إن زياداً يقول إن قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول إن من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه رفق المستعين وناحيته من الشكر ماعلت وحاجتي ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليهنك أبا البسام حادث النعم قال خالد هناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فماذا لك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقاً يتأني الأمور ^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول :

ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
ثم قال والملاط والعزى لسكاني أنظر إلى أملاك ذي رعين ^(٢) وذى فائش ^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الأحساب ومناكب الأنساب في حلية أنت
- أبيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمم - لا وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لأنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك والنلات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فانقصب بين يدي النعمان وحياء بتحية الملك ثم قال أيفأخرك - أبيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب والنلات لأمسك أبهى من يومه ولقد لك

(١) في نسخة « يتأني للأمور » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمن

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذو فائش . أحد أذواء اليمن ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعشي ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أتمح من يمينه واجهدك أكثر من قومه وانفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهزلك أصوب من
جده ولفترتك أبسط من شبره ولأتمك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقُ بجدك جَلَّتْ مالهـا حصر في البأس والجودِ بين البدو والحضر
مُتَوَجِّعٌ بالمبالى فوقَ مَفَرِّقِهِ وفي الوغى ضيغُمٌ في صورة القمر
قال فتتهلل وجه النعمان بالسرور وأمر فحشي فمه دراً ، وقال لمثل هذا ترايح القلوب
وبمثله تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس
لعباس اني لا أعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفي الوغى ضيغُم في صورة القمر *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بَنُو المصطفى هارون بن سريه فخبر قيام حوله وقعود
يُقَلِّبُ الحِصَاظَ المِهَابَةَ يَبْنِيهِمْ عُيُونُ ظَبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسُودِ
وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن في سرجه بدرأً وضرغاماً *
وقلت : فتى على نفسه من نفسه رَصْدٌ يَصْدَهُ أن نطق الشين والذاما ^(٢)
ما زالَ يَفْسَمَ مَالاً ثم يغرُّمه ما زال للمسال غَنَاماً و غَرَّاماً
أغر أربع يحكي الغيث مَكْرُمَةً والنجم منزلة والطود أحلاماً
تجمله ^(٣) حين يبدو ان تقول له كأن في سرجه بدرأً وضرغاماً
وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذي هو منركى *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمي المولدين من طبقة بشار
وأبي نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطعم الناس
بالشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) في الأصل « يحمله » .

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيء أدر كته مغادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :
فأنت كالدهر مَبْتُونًا حَبَائِلَه والدهرُ لاملجأ منه ولا هَرَب
ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أَصْرُفُه في كل ناحية مافاتك الطلب
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :
وإنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَه كاللَّهْرِ لِأَعَادَ بِمَا فَعَلَ الدهر
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذ أبو تمام فقال :
خَشَعُوا لَصُورُكَ التي هي عندهم كَلِمَاتٌ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَاد
فَالْقَوْلُ هَمْسٌ وَالنَّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفَ اتِّقَامِكَ وَالْحَدِيثُ سِرَاد
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :
ومالامرى حاولته منك مَهْرَبٌ ولو رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِمُ
يَلِي هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ لَا مِع
وقال البحتري ^(٤) :

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الأمويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير ، مات سنة ٩٠ .
(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجرة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو العكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحتري - نسبة إلى جد اسمه بحتري - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده البحتري ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولو انهم ركبوا الكواكب لم يكن
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قائله العرب قول أبي الطمجان (١) :

أضاءت لهم أحسابهم وجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت كتائبه
ومثله قول الخطيئة (٢) :

نمشى على قول أحساب أضأت لنا كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدلجين اعتشوا (٣) بها صدع الدجى حتى يرى الليل ينجلى
وقال بعض الأعراب في رجل : مادفعته في سواد إلا محاد ولا قابلت به ملاماً

إلا كفاه . ومثل قوله * صدع الدجى * قول بعض المحدثين :
ومصباحنا قمر زاهر كقوس الجين يشق الدجى
وقلت : وأنشق ثوب الظلام عن قمر يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدني وكتب له بذلك فعظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعمت
إلى نفسي فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطف مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى
القيني من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو
حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً في رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضأت لنا ماضوات ليلة القمر للشارى
(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاءوا .

كَأَنَّمَا النِّجْمُ حِينَ قَابَلَهُ قَبِيْعَةٌ ^(١) فِي نَصَابِ مِرَاةٍ
وَقُلْتُ: بَلْبَلٌ كَمَا تَرَفُّوْا الْغَزَالَهُ أَسْوَدُ
كَمَا كَبَهُ زَهْرٌ وَصَفَرٌ كَأَنَّهَا
وَقُلْتُ: وَذِي غَنْجٍ يَأْوِي إِلَى فِرْعَوْنَ الدُّجَى
فَفِيهِ ظَلَامٌ بِالصَّبَاحِ مُقْنَعٌ
وَلَكِنَّهَا عَنْ وَجْهِهِ تَنْفَرُجُ
وَفِيهِ ظَلَامٌ بِالصَّبَاحِ مُتَوِّجٌ

وَقَوْلُ أَبِي الطَّمْحَانِ مَوْلَى ابْنِ أَبِي السَّمْطِ :

فَتَى لَا يُبَالَى الْمَدْلُجُونَ بِنُورِهِ
لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ
إِلَى مَابِهِ إِلَّا تَضَيُّ السَّكَوَاكِبُ
وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعَرَفِ حَاجِبٌ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

مَنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهُ بَنَى سَنَانٍ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَسَنِ يَافِعَا
كَأَنَّ الثَّرِيَا عُلِقَتْ فِي جَيْبِنِهِ
لَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعِيرَتْ ثِيَابَهُ
إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ غَضٌ كَأَنَّهُ
وَقَوْلُ الْآخَرِ ^(٢) :

إِخْتَرْتُ فِنَاءَ بَنِي عَمْرٍو فَاثْمُ
إِنْ يَسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ وَإِنْ جَهِدُوا
وَإِنْ تَوَدَّدَتْهُمْ لَانُوا وَإِنْ شَتَمُوا
هَيِّنُونَ لِيَسْنُونَ أَيْسَارُهُ ذُووُ يُسْرِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ
أَوْ لَوْ فَضُولٍ وَأَقْدَارٍ وَأَخْطَارٍ
فَالْجَهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارٍ
كَشَفَتْ أَذْمَارَ سِرِّ غَيْرِ اسْرَارٍ
أَرْبَابُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ إِسَارٍ
مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يُهْدَى بِهَا السَّارَى

(١) قَبِيْعَةُ السَّيْفِ كَسْفِيْنَةٍ : مَا عَلَى طَرَفٍ مُقْبَضُهُ مِنْ فُضَّةٍ أَوْ حَدِيدٍ .

(٢) تَرَوِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ عَنِ الْجَاهِظِ كَمَا سَيَأْتِي

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأشددنا أبو أحمد لميسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن ^(١) :
 إلى مُستدير الوجه طال بسؤدد تقاصر عنه الشايهق المتطاوُلُ
 مدحك بك بالحق الذي أنت أهله ومن مدح الأقوام حق وباطل
 يعيش الندي مادمت حياً فإن تمت فليس لي بعد موتك طائل
 وما لأمري عندي مُخيلة رعمة سواك وقد جادت على مخايل
 وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فتى لو ينادى الشمس ألفت قناها أو القمر السارى لأبقى المقالدا

وهذا وقول أبي الطمجان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو
 كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على
 ما هما عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل ^(٢) :

أنت ابن مُسند طح البطاح ولم يضرب عليك الحنى والنولج
 لو قلت للسيل دع طريقك والسموج عليه كالهضب يحتاج
 لارتد أو ساخ أو لكان له في جانب الأرض عنك مُنعرج
 وهذا من أعلى الغلو لأن السيل لا ترد وجهته هبة ولا مخافة ، والعرب تقول أجراً
 من السيل فيهزم ولا يهزم والهمز من الجراء وتترك الهمز من الجري ، ويقال في المثل
 لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما
 جئت به لكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه
 ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يؤمن أبي اسحق طالت يدُ العلا وقامت قناة الدين واشتد كاهله

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المري الأمير ولي خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفى الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموى وبألف في مدحه .

هو البحر من أي النواحي أتيتَه فليجته المعروف والجود ساحله
 تعود بسط الكف حتى لوانه أراد انقباضاً لم تطعه أنا مله
 ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله
 وقلت في قريب منه :

وكيف بيت الجار منك على صدى وكفك بحر جنة البحر ساحله
 أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
 قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطئون المعنى ان
 أحدهم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
 كأنها الشمس ، لم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
 لك اماماً ثم أنشدني :

إذا سألت الوردى عن كل مسكرمة لم تلف نسبته إلا إلى الطول
 فتى جواداً أعاد النيل نائله فأنسِلْ يشكر منه كثرة النيل
 وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموت يرهب أن يلقى منيته في شدة عند لف الخليل بالليل
 لو عارض الشمس التي الشمس مظلمة أو زاحم الغيم ألجأها إلى الميل
 أو بارز الليل غطته قوادمه دون القوافي كمثل الليل بالليل
 أمضي من النجم إن نأبته نائبة وعند أعدائه أجرى من السيل

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عالم الغيث الندى حتى إذا ما حكاه عالم البأس الأسد
 فله الغيث مقر بالندى وله اللث مقر بالجلد

وقد أفكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر
 والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
 بني أنف الناقة - عن ابن طائشة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبيل والجبيل أوعر ألا قلتم كما قال أيمن بن خزيم في فاتك في بني هاشم :
 نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليدكم صلاةٌ واقترأ
 أجعلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواء
 وهم أرض لا رجلكم وأنتم لا عينهم وأرؤسهم سماء
 وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله
 ابن جدهان ^(٢) :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياء
 كريم لا يُغيره صباحٌ عن الخلق الكريم ولا المساء
 وأرضك أرض مكرمة بنتها بنو تميم وأنت لهم سماء
 ونحوه قوله :

لكل قبيلة شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأس يُقدم كل هادي
 وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قومٌ يحلون من مجد ومن شرفٍ ومن غناء محلّ البيض واليلب ^(٤)
 حلوا محلّهما من كل ججمة نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يُسلم في شعره » حاش
 الى أن أدرك وقعة بدر ورثي من مات بها من الكفار .

(٢) هو التميمي القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،
 يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب
 فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان شبيب
 موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فندس
 عليه ما كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمثِّلُ بين الرأس والذنب
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض
وقلت : أبشر فانك رأس والعلاجسد
لولاك لم يك للأيام منقبية
ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
وأنت من فوقهم سماء
والجد وجه وأنت السمع والبصر
تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر بإسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يأمر المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
منى فقال ان كنت شبيهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قلت
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهات فقال الأخطل وما قالت يأمر
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كف امرئ متناول بها المجد إلا حيث ما نلت أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولو أطنبوا إلا الذي فيك أفضل
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون
قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرف وانقطع الندى من الناس إلا في قليل مصرد^(١)
وردت أكف السائلين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلاف مجدد
وليس بحسن عندي أن يقال للسودوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا مت لم توصل بعرف قرابة ولم يبق في الدنيا رجاء إنائيل
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشعر الحرام

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
وهذا أجود من الأول لأنه لم يخاطب به المدح ولو قيل لولا فلان لكان كذا
وكذا لكان كما قال علي بن جبلة (١) :

لولا أبو دلف لم تحي عارفةً ولم ينؤنؤ مأمول بآمال
يا ابن الأكرام من عدنان قد علموا وتالد المجد بين العم والخال
وناقل الناس من عدم إلى جدة وصارف الدهر من حال إلى حال
أنت الذي تنزل الأيام منزلهما وتمسك الأرض عن خسف وزلزال
وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بآجال وآمال (٢)
تزور سخطاً فتمسى البيض راضية وتسهل فتبكي أوجه المسال

وأخبرنا أبو أحمد في كتاب الورقة عن ابن داود قال قال أبو هفان اجتمع
الشعراء بباب المعتصم فقدم لهم محمد بن عبد الملك الزيات فقال ان أمير المؤمنين
يقرأ عليكم السلام ويقول لكم من كان يحسن أن يقول مثل قول النمرى في الرشيد :
خليفة الله إن الجود أودية أحلك الله منها حيث تجتمع (٣)
إن أخلف القطر لم تخلف مخايله أو ضاق أمر ذكرناه فيمتسع
فقال ابن وهب فينا من يقول مثله :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحق والقمر
تحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر
قال فأجازه وفضل ابن وهب . وبعض الشعراء في المهلب :

أمسى العراق سليماً لا أنيس له إلا المهلب بعد الله والمطر

(١) هو العكوك أحد المبرزين في الشعر ، عامة شعره في مدح أبي دلف

العجلي ، كان أعشى ، قيل ان المأمون قتله لمبالغته في مدح أبي دلف سنة ٢١٣ .

(٢) في شذرات الذهب « الإقضيت بأرزاق وآجال » .

(٣) سيأتي هذا البيت بصدر « ان المكارم والمعروف أودية » .

هذا يَجُودُ وَيُحْيِي عَنْ ذِمَارِهِمْ وَذَا تُعْمِشُ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ
ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لَمْ تَزَلْ لِلوَرَى ثَلَاثُ شُمُوسٍ وَجْهِكَ الْمُسْتَضَى وَالْقَمَرَانِ
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير ^(١) :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَمَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جعل الممدوح فرحاً بعرض يناله وليس هذا شأن
السكبر الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

وَلَكِنْ فَرِحْتَ بِمَا يُنِيلُكَ إِنْهُ لِمَا يُنِيلُكَ مِنْ تَدَاهٍ أَفْرَحُ
مَازَالَ يُعْطِي نَاطِقًا أَوْ سَاكِنًا حَتَّى ظَنَنْتُ أَبَا عَقِيلٍ يَمْرَحُ
فجعله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أَسَائِلَ نَصْرٍ لَا تَسْلُهُ فَإِنَّهُ أَحْنُ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ
وقال بعض الأعراب : مازال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو
ذلك أن الحجاج قال لايأس بن معاوية أي الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني
قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمع الطائي في خلاف ما قال زهير :
فَتَى لَا يَرَى سَوْقَ الْمُهَوَّرِ غَرَابَةً وَلَا غَالِيَاتِ الْمَالِ حَلِيًّا عَلَى نُحُورِ
فَتَى كَانَ مِكْرَامًا لِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ مُهَيِّنًا لِدُنْيَا غَيْرِ مَأْمُونَةٍ الْغَدْرِ
وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبدع في ذلك
البحثري في قوله :

سَلَامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلَامُ تَحِيَّةً فَوَجْهِكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِي الْمُسْلِمَ
ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سُلمى المضرى ، قال ابن
الأعرابي : كان زهير في الشعر مالم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً
وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

كأنما القطر من ندى بده
وقول أبي الأسود :

ولائمة لا منك يا فيسض في الندى
أرادت لتثني القبض عن عادة الندى
إذا ما أتاه السائلون توقدت
له في بني الحاجات أيد كأنها
وقريب منه قول أبي تمام :

عهدى بهم تستنير الأرض إن تزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
وقلت : إذا عبس الزمان فدل إليه
وقلت : كأنك في خد الزمان تورد
فمن بك ممدوحاً بنظم يصوغه
وقال البحتري :

وتواضع لولا التكرم عاقه
وفتوة جمع التقي أطرافها
وشببية فيها النهي فإذا بدت
طلق اليدين إذا تفرق ماله (٣)
جدلان (٤) يطرب للسؤال كأنما
وقال ابن الرومي :

والبرق من بشره ومن ضحك

فقلت فلان يقدح اللوم في البحر
ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
عليه مصابيح الطلاقة والبشر
مواقع ماء المزن في البلد القفير

فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
كأن أيامهم من أنسها جمع
تجده البشر في وجه الزمان
وفي فيه ضحك وفي وجهه بشر
فانك ممدوح بك النظم والنثر

عنه علو لم ينله الفرقد
وندى أحاط بجانيه السوداء (١)
لذوى التوسم فهمي (٢) شيب أسود
جمع العلا فيما يفيد وينفد
غناه مالك طي أو معبد

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ویدی أحاطهما بماء السوداء » .
وهو تحريف (٢) في الأصل « التيسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في
الديوان المطبوع « خضل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان
المطبوع « نشوان » مكان « جدلان » .

أغرَّ أبْلَجٌ يَكْسُو نَفْسَهُ حُلًّا
من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في صعد
ومن تواضعه للحق في صلب
كأنه وهو مسئولٌ وممدحٌ
غناه إسحقٌ والأوتار في صخب
يهنُّ عطفاه عند الحمد يسمعه
من هزة المجد لامن هزة الطرب
وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) ييفاع الأرض يشرفه
من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت : وقد يؤنس الزوار منك إذا التفتوا
سقاء عليه للطلاقة شاهد
وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجئته متعبا
كانك بالمنقاش تنشف شاربه
وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيّهم فكأنني
حاولت تنف الشعر من آنا فيهم
قمٌ فاسقنيها بالسكير وغفني
ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول جرير^(٢) :

ألستم خيرَ من ركب المطايا
وأندى العالمين بطونَ راح
وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليس الله بعزيز ذي
انتقام) (أليس الله بأحكم الحاكمين) (أليس الله بكاف عبده)
وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة
المديح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

ألستم خيرَ من ركب المطايا
وأندى العالمين بطونَ راح

(١) في الديوان المطبوع « موكلًا » . (٢) هو جرير بن عطية الخطفي ، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الاسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال اني لا أعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ فلا كعباً بَلَّغْتَ ولا كِلاباً

وقال في الافتخار :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَالْهَمِّ غَضَاباً

وقال في الغزل :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى :

فَكَلَّمَا أَزْدَادَت قَوَى أَجْفَانِهَا ضَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى ضَعْفِ الْقَوَى

وأمثال هذا كثيرة نردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَقَدْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَأْتُ بِيغْضَتِهَا ذُبَاباً

وقالوا امدح بيت قالته العرب قول حسان^(٢) :

يَغْشَوْنَ حَقِي مَاتِهِمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تذبذبهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصودة عارض بها الدريدية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحرث :

اتهمجوه ولست له بكفء فشر كما للخير كما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلة أكثرائهم بهم ولثقتهم يسأله أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تمام :

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم^١ لآية حربٍ أولأى مكان
وقال ابن هرمة^(١) في أثر الكلب بالضييف :

وَمُسْتَنْبِحٌ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ نَوْبَهُ لَيْسَقُطُ عَنْهُمْ وَهُوَ بِالثُّنُوبِ مَعْصَمٌ
عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لَيْبَحُ كَلْبٍ أُولَيْفِزَعٌ نَوْمٌ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرْيِ لَهُ عِنْدَ أَقْيَانِ الْمُهَيِّينِ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكْلُمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

وقال عمران بن عصام ، و يروى لنصيب :

أَعْبَدِ الْعَزِيزَ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرِهِ
فَبَابِكَ الْإِنُّ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَأْهُولُهُ عَامِرِهِ
وَكَلْبِكَ آتِسٌ بِالْمُعْتَفِينَ مِنَ الْأُمِّ بِإِنْسِهَا الزَّائِرِهِ
وَكَمْثُكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمُطِيرِهِ
فَنَاكَ الْعِطَاءُ وَمَاكَ الْبِنَاءُ لِكُلِّ مُخَبَّرَةٍ سَائِرِهِ

وقال الحطيئة في خلاف ذلك :

مَلَّوْا قِرَاهَ وَهَرَّتْهُ كَلَابُهُمْ^٢ وَضُرَّ سَوْهُ بِأَنْيَابِ وَأَضْرَاسِ

وقال بشار في قريب من المعنى الأول :

سَقَى اللَّهُ الْقَبَابَ وَتَلَّ عَيْدِي وَبِالشَّرَفِينَ أَيَّامَ الْقَبَابِ
وَأَيَّامَ لَنَا قَصَصَتْ وَطَالَتْ عَلَى فِرْعَانَ نَائِمَةِ الْكَلابِ
وَقَالَ آخِرُ : وَمَا لِي فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَانِي جَبَانَ الْكَابِ مَهْزُولِ الْفَصِيلِ

معناه أن الكلب يضرب إذا نبج الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو إبراهيم بن علي السكناني القرشي سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموي .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تم فيه مايسر صديقه على أن فيه مايسوء الاعاديا
 وهذا غاية المادح لأب الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كمل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضره ومنافع وأرى البرامك لا تضر وتنفع
 لا يعرف أهجاءهم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضر وافقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضر فأنما يُراد الفتى كما يضر وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جالس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم وقوف
 إذا نزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا فأنهم حتوف
 وقال آخر : فذل أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بنائل
 وقال محمد بن بشر الأزدى :

فتى وقف الأيام بالعتب والرضا على بذل مال أو على حد منصل
 وما إن له من نظرة ليس تحتها غمامة غيث أو ضبابه قصطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
 فلامن بغاة الخير فى عينه قذى ولا من زئير الأسد فى أذنه وقر

وقد أحسن البحتري فى هذا المعنى وهو قوله :

هو العارض الشجاع أخضل جوده وطارت حواشى برقه فتلهبا
 إذا ما تلظى فى وغي أصعق العدى وإن فاض فى أكرمته (١) غمر الربا
 رزين إذا ما القوم خفت حلومهم وقور إذا ما حادث الدهر أجلبا

(١) فى الديوان المطبوع « خاض فى أكرمته »

حياتك أن يلقاك بالجود راضيا وموتك أن يلقاك بالبأس مغضبا
 حرون إذا عاززته في ملة فان جئته من جانب الذل أصحابا
 إذا هم لم يقعد به العجز مقعدا وان كف لم يذهب به الحزن مذهبا^(١)
 وقال الأسدي في نفي الخبر والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخول :

فحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر
 وأنت لميح كلهم الحوار فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال غيره : شيوخ من بنى الجارو لاخير ولا شر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة فظننته شيخا يضر وينفع
 فاذا زياد في الديار كأنه مشط يقلبه خصي أصلع

وقد أحسن البحتري في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب للبأس والتقى^(٢) فله تقواه والمجد سائر
 له البأس يخشى والساحة ترجى فلا الغيث ثانيه ولا الليث عاثره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك للمجد والتقى وصولته لا يستطاع خطارها
 لقد نشأت للشام منك سحابة يؤمل جدواها ويخشى زمارها
 فطوبى لأهل الشام أم ويل أمها أتاها حياها أم أتاها بوارها
 فان سلموا كانت غمامة نعمة وخير وإلا فالدماء قطارها
 أبوك أبو الأملاك يحيى بن خالد أخو الجود والنعمى الباب صغارها
 وكان ترى في البرمكين من به ومن سابقات لا يشق غبارها

(١) في الأصل : إذا كف لم يقعد به العجز مقعدا وان هم لم يذهب به الهم مذهبا

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلا » .

طبيبٌ بأخبار الأُمور إذا التوت من الدهر أعناقٌ فأنت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي ^(١) قوله :

فنتى كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يبقى من المالِ باقيا
أشم طوال الساعدين شمر دل ^(٢) إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :
أشم طوال الساعدين شمر دل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد وبه ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ثاقب
اللفظة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :
فان يك باقي أفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعون فيكم فباقي عصا موسى بكف خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العناني الراجز في
صفة الفرس :

كان أذنيه إذا تشوفاً قادمة أو قلماً محرفاً
فقال له الرشيد دع « كان » وقل « تخال » حتى يستوي شعرك ، وكان قد لحن العناني

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان
من هجر الأوائل ونهى عن الحُر قبل الإسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجري وقد جاوز المائة .

(٢) الشمر دل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يفتن له أهل المجلس حتى قال له الرشيد ذلك فتعجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
يغشون حتى ماتهم كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وقبله : لله در عصابة نادمهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبرايبهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
ثم قال : فلبثت أزماناً طوالاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتي يحب المجد يجعل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله « ببيض الوجوه » معناه مشهورون ببهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرهما من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز : * فهن يحملن فتي وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (١)
وقال السموءل : وأيا من مشهورة في عدونا لها غرر معروفة وحجول
أراد بالغرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* ببيض الوجوه كريمة أحسابهم * فقال :

سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
يبكي فينرى الدر من نرجس ويلطم الوجه (٢) بعناب
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندب شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة « الورد » مكان « الوجه » .

يسكن فيندري البعر من كوة ويلطم الشوك يسلمو
وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأنني لم أفعل * من قول أبي كبير :
فأذن ذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدح مقالات العرب قول الخطيئة :

أولئك قوم^١ ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المسكان الذي سدوا
وبعداني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أنا بها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد
ولعمري ان معاني هذه الآيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناوها فافهم
استعارها من الخطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى الجند - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجند خلاف
الهلز والختار الحد بالخاء . يقول الخطيئة في بني لأمي بن شماس من قريش ، وكان
الزبرقان بن بدر لقي الخطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزبرقان أني أريد وجهاً فصر الى منزلي وكن هناك حتى أرجع فصار الخطيئة
الى امرأة الزبرقان فأنزلته وأكرمه فحسده بنو عمه وهم بنو لأمي فسدوا الى الخطيئة
وقالوا له ان تحولت البنا أعطيناك مائة ناقة ونشد الى كل طنب من أطناب بيتك
حلة محبرة وقالوا لامرأة الزبرقان ان الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك في نفسها فلما أراد القوم النجعة تخلف الخطيئة وتغافلت امرأة الزبرقان
عنه فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا فأخذ في مدحهم وهجوا الزبرقان فقال :

أزمت^٢ بأساً مبيناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر كالإياس
دع المسكرم لا ترحل^٣ لبغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يقدم جواربه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجواه ولكن ساج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستعطفه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حمر الخواصل^(١) لأماء ولاشجر
ألقيت كاسهم في قعر مظالمه فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لسن لا أنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسى وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال اني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤرتني وأبا بنيك فسأاني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
وقلت لامرأتى خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لسكاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تسكماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لي وجهاً قبح^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله
وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى مسيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الخواصل ». (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسامين فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :
وأخذت أطرار الكلام فلم تدع شتاً يضر ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرض البخيل فلم يخف شتمى وأصبح آمناً لا يجزع
وكان الخطيئة يذم البخيل كما ترى وهو ^(١) أبخل الناس اعترضه رجل وهو
يرعى غنماً له فقال له ياراعى الغنم وكان بيد الخطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
وقالوا أبخل من الخطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
وقال أعلى ان حملت عليه لا أموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
لكل جديد لذة غير أننى رأيتُ جديد الموت غير لذيذ
وقيل له أوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشماخ أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغرباً لا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
ولا تمسك بالعمد الذى عهدت إلا كما يمسك الماء الغرايل
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
وعباد بن سليم الحضرمي قال أنشد الخطيئة عمر :

مهاريس يروى رسماً صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الحضرات
عظام مقيل الهام غاب رقابها تباكر ورد الماء فى السبرات
يزيل القتاد جنبها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
وكان هجاء قومه فلما بلغ إلى قوله :
فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
لكم دقر مثل الثيوس ونسوة ^(٣) مماجين مثل الآئن التعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الخطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلتك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيت ابن خطاب تجاهر بعدما رأيت له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهمل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :
 اختر فناء^(١) بني عمرو فانهم أولو فضول وأقدار وأخطار
 إن يسألوا الخير يعطوه وإن جاهدوا فالجهد يخرج منهم طيب أخبار
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أسار ذوو يسر أبناء مسكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها الساري
 وهي على الحقيقة أمدح أبيات قيلت . وقالوا أمدح ببت قيل قول الخنساء في أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الأنباري عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطامة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتاني رسول المهدي
 فقال أحب فها أنا ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده علي بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلمي مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بأمدح بيت
 قالته العرب فتجريت ثم جرى علي لساني قول الخنساء :
 وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشئو لنحار
 أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا علي فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرني أبيات ابن مطير الأسدي :

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها

(١) في النسخ «ثناء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود

هنا فاستدركناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تسكدر عيشه وأخرى صفاء بعد اكدرار غدبرها
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حالوتها تقى ويبقى سريرها
 ثم قال حدثني يا مفضل فقلت أي الأحاديث يشتهي أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن بزيع أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 ما رضيت ان جعلت أخاها جبلاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الوري لخيار الناس كالشمس وشهرهم لشرار الناس سوار
 منه الذكـر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدني إذا خفي بكل مكان
 وقال بشار : أنا المرعث لا أخفي على أحد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني
 وقلت : أنا أمل أن تنال ندى كريم نداه أول والغيث ثاني
 ويجري والحجرة في عناب فلا يخفي على ناء ودان
 تصور في القلوب فليس ينأي على نأي المحلة والمكان
 إذا عبس الزمان فمل إليه تجده البشر في وجه الزمان
 وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للأذى وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع
 فتى بأثمه كالدهر مأمّن ملجأ ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع
 أغر شهير في البلاد كأنما به البسر يعلو أوسني الصبح بسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنان لو انك تستضيء بهم أضوا
لهم شمس النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء
وقالوا أمدح بيت قاله العرب قول الحطيئة :

متى تأتاه تمشو الى ضوء ناره تجد خيراً ناره عندها خير موقد
وقالوا أمدح المدح ما يكون بالفضل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان
أكرم من فلان ، ومن أجود ما جاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفاً^(١)
أحسنتم صفتي ولسكن كنت لي مثل الربيع حياً وكان خريفاً
وكلاهما اقتصد العلاء فركبتها في الذروة العليا وكان^(٢) رديفاً
وقال : كواكب مجدي يعلم المجد أنها إذا طلعت بادت بصفر كواكبها
وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الأعداء فليهنك النصر ودانت لك الدنيا وذل لك الدهر
فأنت كاقبال الشبيبة والصبا تطيب بك الدنيا وينعمر العمر
وليس كرام الناس إلا كواكبها على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
وفي الناس أجواد كثير وإعما أولئك أمماد وأنت لهم بحر
فان أظلم الأحداث واسود ليالها فهم شفق فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كانت قطوفاً

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسم فخرًا على المجد والعباد
غدت أرضنا منكم سماء مظلة
فإن الملا روض وأنت به زهر
ها أنجم من زهر أخلاقكم زهر
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤ من تعطه اليوم نائلاً
ترى الجود لا يدنى من المرء حتفه
بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
كما البخل للإنسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلى الاخيلية في توبة (١) :

فلا يبعدنك الله يا توب إنها
فنعم فتى الدنيا وإن كان فاجراً
لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر
وفوق الفقى أن كان ليس بفاجر
فتى كان أحيا من فتاة خريدة
وأشجع من ليث بخفاق خادر
فتى ينهل الحاجات ثم يعلمها
فيطلعها عنه ثنايا المصادر

يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الأولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضع حاجة بلبان أخرى كذاك الحاج ترضع باللبان
يقول فيرفعها المثنون عليه حتى كأنها ثنية رجع :

فأقسم أبكى بعد توبة هالكاً وأفعل من نالت صروف المقادر
وكان بيت الأعرشي :

تشب القرويين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق
يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأتاه تعشوا إلى ضوء ناره * على أن قول الأعرشي
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمحقق الممدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلت له أقبل فانك راشد وإن على النار الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلى الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تعد في الشعر بعد الخنساء .

وتوبة هو ابن الحجير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصر^١ فقره على نفسه ومشيغ^٢ غناه^٣

فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فتى إذا عدت تميم معاً سادتها عدوه بالخنصر

ألبسه الله ثياب العـلا فلم تطل عنه ولم تقصر

فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاث خلال قد عرفن له هل سب من أحد أو سب أو بخلا

فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فغاظني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب

الذي لم يؤت مثله :

لله در^٤ أبي المغيث فانه حسن^٥ الفعال ضعيف^٦ خبط^٧ الدرهم

وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله

* فلم تطل عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحت سليمان المقلب مدحة تجاوز حد الحسن لو كان يشكر

فعمى عنها ناظراه كأنما بعوراء عيني جده كان ينظر

سبغت عليه حلية ليس عيبها سوى أنها ظلت تطول وتقصّر

يهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وصحمت عم أبي يقول أمدح شيء قبل قول الأول :

قوم سنان أبوهم^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بعزهم أو مجدهم قعدوا

محسدون على ما كلف من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوهم سنان » .

لولا الخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ
للحاسدِ النعمى على المحسود
ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العود
وقال البحتري :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسدون كأن السكراتِ أبت
إذا أنت لم تدل عليها بحاسد
أن توجدَ الدهرَ إلا عند محسود
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناس منزلةً
من عاشَ في الناس يوماً غير محسود
وسمعه يقول من أوائل المدح الجيد الذي لا نظير له قول أمية بن أبي الصامت في
عبد الله بن جدهان ^(١) :

عطاؤك زينٌ لا مريءٌ إن حبوته
وليس بشينٌ لا مريءٌ بذلٌ وجهه
يبدل ^(٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
اليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلقَ يوماً على عدلاته هَرماً
لو نالَ حَيٍّ من الدنيا بمكرمة ^(٣)
يلقَ السماحةَ منه والندى خلقة
أفقَ السماءِ لثالت كفه الاقفا
قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرَمٍ
والسائلونَ الى أبوابه طرقا
وروى بعض الرواة للنابغة وروى لسعيد :

واللهِ واللهِ لنعمَ الفقى الا عرجُ لالنكس ^(٤) ولا الخامل
الحاربُ الوافرُ والجابر السمحروب والمرجل والجامل ^(٥)
والطاعنُ الطامنة يومَ الوغى ينهل منها الاسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي

النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .

(٤) النكس : الضعيف . (٥) في الأصل « المرجل والجامل » بـمـحـلات .

والقائل القول الذي مشهده
والغافر الذنب لأهل الحجا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :

خلقت أنامله أقائم مرهف
يلقى الرياح بوجهه ويصلده
ويقول للطرف اضطرب أشبا القنا
واذا تأمل شخص ضيف مقبل
أوما إلى الكرماء هذا طارق^(٢)
ولبت فائدة وذروة منبر
ويقيم هامته مقام المغفر
فهدمت ركن المجدان لم تعقر
متسريل سربال ليل أغبر
تحرني الأعداء أن لم تنحرف

وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله يحدث قول مروان بن أبي
حفصة^(٣) في معن بن زائدة الشيباني^(٤) :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
هم المانعون الجار حتى كأنما
بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن
هم القوم أن قالوا أصابوا وأن دعوا
ثلاث^(٥) بأمثال الجبال حيّاهم^(٦)
ولا يستطيع الفاعلون فعالمهم
أسود لها في غيل خفان أشبل
لجارهم بين السما كين منزل
كأولهم في الجاهلية أول
أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل^(٧)
وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغني أن يحيى بن خالد
البرمكي قال لشراحيل بن معن بن زائدة أي شعر قاله ابن أبي حفصة في أبيك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادى مثناة الرأء مراعاة : أكلاء ، والمرع : الخصب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامي الذي أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لما مدحه بقصيدته

السبعين التي مطلعها * إليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعم المناخُ لراغبٍ أوراها ^١ من تصيبُ جوائحِ الأزمانِ
معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبانِ
مطر أبوك أبو الأهله والذى بالسيف حاز هجائن النعمان
نفسى فداءً أبى الوليد إذا علا رهج السنايك والرماح دوانى
فقال يحيى أنت لا تعلم ما قيل في أبيك أين أنت عن قوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خفان اشبل
وأنشده الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابه يوماء علينا فأشكلا فما نحن ندرى أى يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغر محجبل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا
أبو يوسف القاضى - وكان عدل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد
أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنهم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحونى
بمثل قول القائل بنو مطر يوم اللقاء كأنهم : وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
يوسف فقلت له فيمن قبلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة
فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت
شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بخذا فيرها .

وأنشده بعض أهل الأدب قول ابن أبى طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف
لسكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم يُحمد الاجودان البحر والمطر
وإن أضاعت لنا أنوار غرته نضائل النيران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو حذ عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر

(١) الزبر : الاتهار والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبى طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على ما فى جنى الجنة فى تمييز نوعى المثنيين للمعنى .

من لم يكن حذراً من حدِّ صوابه لم يدرك المزعجان الخوف والحذر
 حاول إذا أنت لم تبعث مرارته فإن أمر فخلو عنده الصبر
 سهل الخلاق إلا أنه خشن كين المهزلة إلا أنه حجير
 لاجية ذكره في مثل صوابه ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكر
 إذا الرجال طغت أراؤهم وعموا بالأمر رد إليه الرأي والنظر
 الجود منه عيان لا ارتياب به إذ جود كل جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأَفوه :
 أوفوا من المجد والعليا في قلال شيم قواعدهن البأس والجود
 سببط اللقاء إذا شمت مخائلم بسل اللقاء إذا صيد الصناديد
 محسدون ومن يعلق بجبلهم من البرية يُصبح وهو محسود
 وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة بيضاء يندى بنائها قليل إذا اعتل البخيل اعتلالها
 جسود إذا أعطتك يوماً يمينه وعدت غداً عادت عليك شمائها
 ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

والقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكازم ينسب
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً فأرشدنا إلى من نذهب

وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيكم بقية حي قيس وهضبتة التي فوق الهضاب
 تبارون الرياح إذا تبارت وتمثلون أفعال السحاب
 يد كني مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشباب

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعموك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه لدمايته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن ألفاظه أنفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل الظنة عني وما أظلم من استهبرا فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدورا لتردفها بأعجاز قال ما اشتططت ولا كلفت إلا الذي من نكسب عنه حق عليه القول فدعا أبو دلف بدواة وقرطاس وكتب :

ريعت لمنشور على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيب جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لى في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنطلق بهما إلى رجلي قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمنزلة للظنة عنه ونسكن تبوأ حجرة من القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف (١) ثم قال :

أشرقن في أسود أزرين به كان دُجاء لهُوى البيض سبب (٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميت مطلبه فن الأدب

فنازل لم يتمج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أر كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الغض ظلاً يُستلب

كان الشباب لمسة أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطب

إذا أنا أجري وأبنا في غيه لا أعتب الدهر إذا الدهر عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمر في بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الرب عن أطفاله
 مطرد يرتج في أقطاره
 تحسبه أقعد في استقباله
 وهو على إرهاقه وطيه
 تقول فيه جنب إذا انثنى
 يخطو على عوج يناهين الثرى
 تحسبها نائمة حين خطا
 يرتاد بالصيد فعارضنا به
 لا يبلغ الجهد به راكبه
 إذا تظنينا به صدقنا
 ثم انقضى ذاك كأن لم تبقه
 وخلف الدهر على أعقابه
 فحمل الدهر ابن عيسى قاسما
 كروثق السيف ابتلاجا بالندى
 لاوسنت عين رأت غرته
 لولا الأمير لغدونا هملاً
 ولم يقم ببأس يوم وندى
 تكاد تبدي الأرض ما ضممه
 ويستهل أملاً وخيفة
 وهو وإن كان ابن فرعي وائل
 وبعلاده وعلا آبائه
 يا واحد الدنيا وباب الندى
 بأعوحى دافى المنتسب
 كلما جالت فيه ريح فاضطرب
 حتى إذا استدبرته قلت أكب
 بقصر عنه الخزمان واللبب
 وهو كمثل القدح مافيه جنب
 لم يتواكل عن شظا ولا عصب
 كأنها واطئة على نكب
 أو ابد الوحش فأجدى واكتسب
 ويبلغ الرياح به حين طلب
 وإن تظنى فوته الطرف لزب
 وكل بقيا فالى يوم عطب
 فى القدح فيه وارتجاع مأوهب
 ينهض به فراج هم وكرب
 أو كغراره على أهل الريب
 واستيقظت نبوته من النوب
 لم يمتثل مجد ولم يرع حسب^(١)
 ولا تلاقى سبب إلى سبب
 إذا تداعى خيله هلا وهب
 إذا استهل وجهه وإن قطب
 فبسماعيه ترقى فى الحسب
 تحوى غداة السبق أخطار القصب
 ويأججر الرعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أونسب» واعلموا إشارة للنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قریش^(١) عرفت ولا العرب
بخذها امتحاناً من ملأ بالحجا سكنه غدير ملأ بالنشب
وقرّ بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب

قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف^(٢) إليه حتى مست ركبته ركبته فلهما
بلغ قوله * سكنه غدير ملأ بالنشب * قال لا ملائى الله إن لم أملاك يا غلام كم فى
بيت المال ؟ قال ما قبضته من عامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقليل
له ذلك ؟ قال فأقبل عليه عتيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
ظهرانى قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه على .

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة :

كفى القبائل معن كل معضلة يحمى بها الدين أو يرعى بها الحسب
كنز الحامد والتفوى ذخائره وليس من كنزه^(٣) الاوراق والذهب
أنت الشهاب الذى يرمى العدو به فيستدير وتخبو عنده الشهب
بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرز القصب
ان الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهل الحلوم وأهل الشغب ان شغبوا
قل تلجوا الذى يسعى لسكره أقصر فمالك إلا الفتوت والطلب
قوله فمالك إلا الفتوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشدّه

اختصاراً وهو من قول زهير :

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يلاموا فلم يألوا
وقال طريح^(٣) :

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) فى الاصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل الثقفى ، أكثر شعره فى مدح خليفه الوليد بن يزيد الأموى .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهلوا
يرفضك الله بالتسكرم والتسوقي فعملوا وأنت مقتصد
وقلت في قريب منه :

إذا عن مجد أو تعرض سُودد^١ تسامى له ضخم^٢ الهموم^٣ همام
إذا اهتز^٤ للهبجاء فهو مُهند^٥ أو اهتز^٦ للافضال فهو غمام
تواضع وهو النجم عزاً ورفعة^٧ وخف^٨ على الأرواح وهو شام^٩ (١)
ارجيه يوماً أو الأقيسه ساعة^{١٠} فيخصب لي عام^{١١} ويمر عام
يريدون منه أن يضمن^{١٢} وأنسا^{١٣} أرادوا جود^{١٤} الغيم وهو ركام
ولا عيب فيه غير أن ذوى الندى^{١٥} خساس^{١٦} إذا قيسوا به ولثام
بلغت من العلياء ما فاتهم معا^{١٧} كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فمن مبلغ^{١٨} عني الأكارم انهم^{١٩} إذا استيقظوا للمكرمات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميث^{٢٠} (٢) في عبدالله بن طاهر (٣)
قالت ركت فقلت^{٢١} إن وراءكم^{٢٢} ان قد كبرت ومن يعمر^{٢٣} يركع
وعهدتني أمضى لشأني مطلقاً^{٢٤} فبليت^{٢٥} بعدك بالنسا والأجدع
يا من يؤمل^{٢٦} أن تكون خياله^{٢٧} كخالل عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورة والذي^{٢٨} حج^{٢٩} الحجيج^{٣٠} اليه فاقبل أودع
أصدق وعف^{٣١} وجدوا نصت واحتمل^{٣٢} واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خليلد شاعر مؤدب . (٣) عبدالله بن طاهر
الخرزاعي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيده المشهورة التي مطلعها :

أطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولسكن مطلع الجود
وفي سفره أبي تمام هذه ألف الحماصة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانه
كتب فاختر منها الحماصة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يعيب على
 قلبه ^(١) فأنى بما لا ينطق ^(٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
 هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
 ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحتري :
 ذات حنين لو استزادت من الحسن إليه لما أصابت قزيذا
 فهي الشمس بهجة والقضيب اللدن ^(٣) ليناً والريم طرفاً وجيذا
 وقال في هذه القصيدة :

وإذا ما عدت يحيى وعمرا وإياساً ^(٤) وعامراً ووليداً
 وعبيداً ومسهرأ ^(٥) وجدياً وندولاً وبجوتراً وعثوداً
 لم أدع من مناقب المجد ما يقنع من هم أن يكون مجيداً
 وقلت في المديح :

حليف علاء ومجد وفخر وبأس وجود وخير وخير
 أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البسود
 وقلت في المديح أيضاً :

من الغر لا حواشئ ماضية ومضواضي وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا
 ومن المديح البليغ قول الأؤل :
 متبذل في الحى وهو مبجل متواضع في القوم وهو معظم
 وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
 ديوان البحتري «الغض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحتري
 «أبانا» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «عامراً» مكان «مسهرأ» والتصحيح
 من ديوان البحتري المطبوع .

إذا أحسن الأتقوامُ أن يتناولوا بلا مِنةٍ أحسنتَ أن تتطولا
فعمّمتَ عن ذاك التعظم منهم وأوصاك نبل القدر أن تتنبلا
وقال البحتري في التواضع مع علو الرتبة :

دنوت تواضعاً^(١) وعلوت قدراً فخالاك انحداراً وارتفاعاً^(٢)
كذلك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع
فأتيت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟ كما انحط ضوء البدر وارتفع البدر
وأجود ما قيل في صفة الرجل الخازم الجلد من قديم الشعر قول لقيط بن يعمر^(٣)
فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحق^(٤) مضطلعا
لا مترفاً أن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعاً
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه^(٥) هم يكاد حشاه يحطم الضلعا
حتى استمر على شزر مريرته مستحكما الرأي لا قحماً ولا ضرعا
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرفني ولا جازع من صرفه المتقلب
وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازل أخداف الرجال وانه لمجد ثناء ثم يزد^(٧)
ويخرج من العزاء الشدة مصدقا^(٨) وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذي في الديوان المطبوع :

دنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشأنك انحدار وارتفاع

(٣) الأيادي شاعر جاهلي ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلها الجرحا» .

(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) في النسخ تصحيف . (٦) أصله

من هو وزن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الإسلام ولم يسلم .

(٧) كذا . (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه ضرة القر جرة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :

كميشُ الأزار خارجٌ نصفُ ساقه صبورٌ على المزاء^(١) طلاعُ النجد
قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غد
إذا سارَ بالأرضِ الفضاءِ تزينتِ لرؤيته كالماتم المتبدد
فلا يبعدنك الله حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الأرض يبعد
موضع هذه الايات من باب المرائى وإنما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
للمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعززت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا
قطب الخشونة والليان بنفسه^(٢) فغدا جليلاً فى العيون لطيفا
هزته معضلةُ الأمور وهزها وأخيفَ في ذات الآله وخيفاً
يقظان أحصدت التجارب جزمه^(٣) شرراً وثقف عزمه تنقيفاً
وسلكن من أترابه الشعل التى^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفاً
وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الانابة
عليه وهو قوله في مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هزيماً
وبلايل لو أنهن ما كل لم تخطيء الغسلين والزقوما
وكرمى بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما

ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :

مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) لعله « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فغدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) فى الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشعل التى » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى
أيقنت أن من السماح شجاعةً
ومكارماً عتق النجار تليدةً
متوقدً منه الزمانُ وربما
ووغى ومبدي غارة ومُعيدا
تدمى وإن من السماحة جوداً
إن كان هضب عمايتين تليدا
كان الزمانُ بآخرين بليداً

وقال البحتري :

أغر لنا من جوده وسماحه
ولما جرى للمجد والنجوم خلفه
وهل يتكافأ الناس شتى خلاهم
إذا ارتد صمتا فالرؤس نواكس
وأغلب ما ينفك من يقظاته
جنان على ما جرت الحرب جامع
جدير بأن ينشق عن ضوء وجهه
تذود الدنيا عنه نفس أبيه
بعيد مقبل السر لا يدرك التي
ومنكم التديبر ليس بظاهر
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه
لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً
يستوفي مثل هذه المعاني في أكثر مدائحهم إلا البحتري .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الخازم قول زينب بنت الطهرية :
إذا جدَّ عند الجدد أرضاك جدُّه
وذو باطلٍ إن شئتُ أهلك باطله

(١) في الديوان (به) . . . (٢) في الديوان (كجد) .

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أَخُو الْجَدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إِذَا مَا عَدَدْتَ النَّاسَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لِهَارُونَ الْإِمَامِ نَظِيرٌ
فضله على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبي نواس :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّيْبَةَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَمُخَلَقًا كَمَا قَدْ الشَّرَاكُنْ
فَجَعَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَمُحَمَّدِينَ هَارُونَ سَوَاءً فِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ .
وبعد بيت النمرى أبيات جواد منها قوله :

مَنْعَ الْحَمَى لَكِنْ أَعْنَاقَ مَالِهِ بِظُلِّ النَّدَى يَسْطُو بِهَا وَيَسُورُ
كأنه من قول كثير :

مُرَّ إِرْدَاءٍ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لَضَحِكَتِهِ رِقَابُ الْمَسَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِكَمَا فَذَا النَّدَى عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذِّلِّ حَتَّى كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ
يُرُوحُ وَيَغْدُو سَاجِيًا فِي وَقَارِهِ عَلَى أَنَّهُ يَوْمَ الْمَرَامِ ذَكِيرٌ
وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا عَرَتْ بِمَكْتَرَتْ لَكِنْ لَهِنَّ قَهُورٌ
يَرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بِاسْطِجْهَدِهِ يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ نَظِيرٌ
ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى في هارون :

إِنَّ الْمُسْكَرَمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْمَعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية»

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :
 أذاك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لَهُ بمجتمع السيول
 وأخذ ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
 تركت فيك التي وأنتَ منها بمجمع الطرق
 ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أفعدو بمستن العيون مخيما وأنتَ بعيب العالمين موكل
 وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحکم الرأي مُستغن بوحده عن الرجال برب الدهر مضطلع
 يقرى العدو المنايا والقناة ندى من كل ذاك القرى أحواضه ترع
 إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا للحادثات بحمد الله نخشع
 لما أخذتُ بكفى حبل طاعته أيقنت أني من الأحداث ممتنع
 ان الخليفة هارون الذي امتلأت منه القلوب وجارت تحته ترع
 ان أخاف الغيث لم تخلف مخائله أوضاع أمر ذكرناه فيتسع
 أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولي عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
 إلى العتابي طلقاً استمر بامراته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابي دواؤه معك
 أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
 قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أوضاع أمر ذكرناه فيتسع
 فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى نجوم السماء بسمي أمم
 سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست تم
 إذا عرضَ اللهم في صدره لها بالعطاء وضرب البهم

فقل للخليفة إن جئتُ
إذا أيقظتك جسامُ الأمور
فتى لا يبيتُ على رمة
يحبُّ العطاءَ وسفك الدماءِ

وقال البحتري :

إذا المهتدى بالله عُدَّتْ خِلالُهُ
وقلت : كم غاية لكم تقاصرُ كونها
يعاو كرام العالمين وإنما
وإذا تسامى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكدم أن يُبددَ شملها
ذلت له نوبُ الزمان وأصبحت

وقال البحتري :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرضُ ابتدوها كأنما
ودون علامهم للمسامين برزخ
بتدبير مأمونٍ على الأمر رأيهُ
وفوها جسٍ لا يحجبُ الغيبُ دونه

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن عبد الله بن الحسن عن البحتري قال سمعت إبراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفاً إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبوب التيجي شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن مما قد (١) أسر وأضرما
يناجي له نفساً ترسع بهمة إلى كل معروف وقلباً مُطهرما

ويخضع إجلالاً له كل ناظر
ويأبى خوف الله أن يتكبّر
طويل نجاد السيف مضطمر الحشا
طراه طراد الجيش حتى تجسرا
رفل إذا ما السلم رفل ذيله
وان شمرت يوماً له الحرب شمرا
فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبه فروع الإحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النظير قول أمانة بنت الجلاح الكلبيّة : أخبرنا
أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية
الرصاصاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني
السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليّ الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد
مرتداً رجلاً عزيزاً متبع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهت إلى بني شيبان
ابن ثعلبة فدفعني إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط
ورمحه مرمون يلمع سنانه فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردّ
على نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور بعيون كميون أخشاف
الظباء فقالت إحداهن اطمئن يا حضري فقلت وكيف يطمئن المطلوب أو يأمن
المرعوب وقلما ينبجو من السلطان طالبه وانطوف غلبه دون أن يأوي إلى جبل
يعصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب
كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضم فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحى
سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان أخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحى
في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا
وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبيّة حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته
بكل معدى وكل يمانى
وفى بهم حملاً وجوداً وسودداً
وبأساً فهذا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه
كأن تلالي وجه القمر ابت
أغرأر ابني نزار ويعرب
وأوثقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلاهم فعلاً بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطعمهم من دونه بستان
كان العطايا والمنايا بكفه سبحانه مقرونان مؤلفان

فقلت الآن ذهبت عن الوحشة وسكنت الروعة فأنى لي به قالت يا جارية
أخرجي فنأدى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيئة حتى جاءت وهو معها
في جمع من بني عمه فرأيت غلاماً حسناً ^(١) اخضر شاربه واختط عارضه
وخشن جانبه فقال أي المنعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب في
ذمك وقد ضمننا له ما يضمنه مثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ بيدي وجلس
وجلس ثم قال يا بني أبي وذوي رحى أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري
فمن أرادته فقد أرادني ومن كاده فقد كادني وما يلزمني من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه وتطمئن إليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هي أول منه مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع اللزم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سئح
الى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلي .

ومن المديح البارع قول الأخطل :

شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم ^(٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدرُوا

أخذهُ خارقة بن مليح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتجب الليلُ في ظلماته زهروا

قومٌ إذا شومسوا لجَّ الشماسُ بهم ذاتَ الآباءِ وإن يأسرَتهم يسروا

(١) في الأصل « حين » .

(٢) في الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

وقد ألبوا من جمعهم ما تألوا
لما شاء منهم طائعين تحببا

أبوك الذي لما أتى مرج راھط
تسنا للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحتري :

حرون إذا عاززته في مُلمة
ونحوه : كريم يغض الطرف فضل حياؤه
وكالسيف ان لا يئته لان مئته
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجعي :
إذا غاب عنا الفجر خضنا بوجهه
وقال خارجة أيضا :

سبيل المطايا بالوجوه السوافر

ويسفر للسارى إذا جن ليله

وقال ادريس بن أبي حفصة :

وافي الرضا بين أيديها باقياد
ومن رجائك في أعقابها حادى
عن الروع^(١) وتلهينا عن الزاد

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نور تستضيء به
لها أحاديث من ذكراك تشغلها

ولا أعرف في معناها مثلها :

كفى خابط الظلماء ضوء المصابيح
فكم ثم من آسى جراح وجراح
الجواد قول أبي الأسد الدينورى :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوههم
وان ناب خطب أو ألت مُلمة
ومن أجود ما قيل في صفة الرجل

فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
ومن ذا الذي يثنى السحاب عن القطر

ولائمة لأمتك يا قيص في الندى
أرادت لتثنى القيص عن عادة الندى

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلاد القفر^(١)
ولا أعرف في معناها مثلاً . وقلت :

تقضى مآربه من كل فائدة لكن من المجد ما تقضى مآربه
أفاده العز آباء ذوو كرم وزاده الخلق المخضر جانبه
لقد فضلت كرام الناس كلهم فهم مناسب مَسجد أنت غاربه
يا ليت شعري هل يستطيع شكركم دهر مساعيك فيه مناقبه
وحين أرضيتكم كنتم نوافله وأتم حين أسخطتم نوابه
منكم على الدهر عين لا تناومه وللحوادث قرن لا تغالبه

ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع^(٢) في جعفر بن يحيى :

يروم الملوك جدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لامرئ مطمع ولا دونه لامرئ مقنع
إذا رفعت كفه معشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفع الناس من خطه ولا يضع الناس من يرفع
رأيت الملوك تغض العيون إذا ما بدا الملك الاتلع
بديته مثل تدبيره متى هجته فهو مستجمع

أخذ قوله « بأوسعهم في الغنى » من قول الأول :

له نار تشب بكل أرض إذا النيران جلت القناعا
وما إن كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرحبهم ذراعا

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورث الرشيد بعد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيته في حال تكون بها أدنى إلى كل خير منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى الله خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتاني وأهلي بالعراق نداهم كما صاب غيث من تهامة في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام بمجدكم بعدى
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمي
حمص إلى منبج فقال :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد
هم حضروني والمهامه بيننا كما أرفض غيث من تهامة في نجد
إلا أن قوله * هم حضروني والمهامه بيننا * أبدع وأحسن من قول
نهشل * أتاني وأهلي بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجعفر لما أتانا كما سُرَّ المسافرُ بالأياب
كمطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب

وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :
لعمري لنعم الغيث غيث أصابنا ببغداد من أرض الجزيرة وأبسله
ونعم الفتى والسد بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبح الغيث داره ولم يحتمل أظمانه وجمائله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحة خالد فجعلتُ مدحته إليه رسولا
فليرحان إليك نائل خالد وليكفينَّ رواحلي الترحيلا

وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توبة :
نفسى فداءً أبى العباس من رجل لم ينسني قط في نأى ولا كشب

يقرى وبالرقة البيضاء منزله^١ من بالعراقيين^(١) من عجم ومن عرب
أغنيتمني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النشب
وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بعث عبد العزيز بن
مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريد فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
بنفسي امرأً والشام بيني وبينه^٢ أتدني بيشري برده^٣ ورسائله
قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
هكذا ، معناه أفدى .

أتى زمن^٤ البيضاء بعدك فاتتني على العظم حتى مات قوم حوافله
فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
فيوم تحيط المسلمين جياته ويوم عطاءه ما يفرح نائله
ومن المديح البارع قول إبراهيم بن العباس :
أسد^٥ ضار إذا هيجته وأب^٦ بر^٧ إذا ما قدرا
يعلم^٨ إلا بعد إن أثرى ولا يعلم^٩ الأدنى إذا ما افتقرا
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سماطان من وجوه الناس
إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكاله فقال أصلى الله الأمير إني امرؤ فدحتته كربة
وأوحشته غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمعار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشتت
به أعداؤه وجناه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولاً ولا جازي
نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلى الله الأمير ممن لا تجهل

(١) العراقيان : السكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق العجم . كما في

جنى الجنة في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أسرته ولا تضع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلقي ويجبر خصاصتي فعل فقال
ابن هبيرة ممن الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره يبتُّ المجد والعزُّ فيهم فزاره قيسٌ يحسبُ قيسُ فعاها
لها العزة القمصاء والشرفُ الذي بناه لقيسٌ في القديم رجاً لها
وهل أحدٌ أن مدَّ يوماً بأنفه إلى الشمس في جَوْ السماء ينالها
لهبها ما أعياء القرون التي مضتْ ما أثرُ قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأدب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم
أنت لك ؟ قال تسع وعشرين - فالحن الفتى - فنبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقة ، شبهه بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيئته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر به أسلطانه ويزين بهامشده ويتبوا بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فإن كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على إصلاحه ببعض ما أوصلناه إليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فإنه لولا هذا اللسان لسكان الإنسان كالبهيمة المهمة
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الغيم
وكأنَّ ترى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم

ومن بارع المديح :

ولى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه وأنتَ امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهرَ موعدا
وعودتى أن لا تزال تُظلنى يدُّ منك قد قدَّمتَ من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكار : الجراث . (٣) في الأصل «يخلف» .

فلو أن مجرداً أوندى أو فضيلةً تَحْلِدُ شيئاً كنت أنت المجدداً
ومن بايع المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصُّوْلَى عن أبي العيْناء عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرْكٌ أَىُّ جَنَّةٍ خَائِفٌ وَمَتَاعٌ دُنْيَا أَنْتَ فِي الْحَسْرِثَانِ
مَتَخَمِطٌ بِطَأِ الرِّحَالِ غُلَبَةً (١) وَطَأُ الْفَنِيْقِ (٢) دَوَارِحِ الْقِرْدَانِ
وَتَفْرَجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رَتَاؤُجِهِ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ بَابَانِ
وَتَبْعُهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ فِي ابْنِ أَبِي دَاوُدَ :

فَلْتَبْكِي الْإِحْسَابُ أَى حَيَاةٍ وَحَيَا أَرْزَمَةٍ وَحَيَاةٍ وَادٍ
طَاتِقٌ مُعْتَقٌ مِنَ اللَّوْمِ (٣) إِلَّا مِنْ مَقَاسَاةٍ مَغْرِمٍ أَوْ نَجَادٍ
وَمِنْ أَجُودٍ مَاقِيلٍ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ قَوْلُ كَشَاجِمِ :

وَمَهْذَبِ الْأَلْفَاظِ مَنَظَقُهُ مَا فِيهِ مِنْ كَخَطِلٍ وَلَا تَمِينٍ
مَا شِئْتُ مِنْ ظَرْفٍ وَمِنْ شِيمٍ مَا فِي مُحَاسِنِهِنَّ مِنْ شَيْنٍ
مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا الْكَمَالِ إِلَى عَيْبٍ يَوْقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ
قَدْ أَحْسَنَ وَظَرْفٌ وَلَمْ يَقْصُرْ فِي تَفْهِيلِ الْحَزِّ وَأَصَابَةِ الْمَفْصَلِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :
يَا كَامِلَ الْآدَابِ مُنْفَرَدَ الْعِلَا وَالْمَكْرَمَاتِ وَيَا كَثِيرَ الْحَاسِدِ
شَخْصَ الْإِنَامِ إِلَى كَمَالِكَ فَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَ الْعَمَالِ وَقَدْ نَكَبَ :

لَا يَسْتَطِيعُكَ بِالتَّنْقِصِ حَادِثٌ وَأَبَى لَكَ التَّكْمِيلُ أَنْ تَزِيدَا
وَكَأَنَّنِي بِكَ قَدْ نَحَوْتَ مُحَمَّدٌ فِي النَّائِبَاتِ كَمَا دَعَوْتَ مُحَمَّدَا
فَطَاعْتَ كَالسِّيفِ الْحَسَامَ بِمَجْدَاً لِلْحَقِّ أَوْ مِثْلِ الْهَلَالِ بِمَجْدَا

(١) المتخمط : القهار الغلاب . والغلبة بضممةين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : النخل المسكرم لا يؤذى لسكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه عنهم الدجى
 ومثله قول الآخر :
 فما كنت إلا السيف جرد في الوغي
 ومن أبلغ المديح :
 بديته وفكرته سواء
 وصدره فيه لهم اتساع
 ومن أبلغ المديح قول البحترى :
 أخذوا النبوة والخلافة وانثنوا
 وإذا قرئش فاضلتك فضلتها
 وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن كرمها^(١) ونبيها ابن نبيلها
 لو سارت الأيام في مسعاتهم
 رفعتهم الآيات في تنزيلها
 وإذا انشعبت أخذت خير فروعها
 وقلت : لئن قل أرباب المكارم والعلا
 يذكرني جود الغنائم جوده
 تخال به بدرًا مع الليل باهراً
 يدبيل من الأيام والدهر منصف
 يبرز من الانجاء كل مساور
 بخلق كتن الصخر في كف لأمس
 ورأي كصدر الراغبة شارع
 على بلدة يسقي الضراغم ماؤها
 ومن بارع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «وكريمها ابن كرمها» .

رأيت أعياشٍ خلائفَ لم تكن
له كرمٌ لو كان في الماء لم يفيض
أخو عَزَمَاتٍ بذله بذل مُحْسِنٍ
يَهْوُكَ أَنْ تَلْقَاهُ فِي صَدْرِ مُحْمِلٍ
وما ضيق أخطار البلاد أضاقني
وهذي ثيابُ المدح فأجر ذبولها
وقد أحسن التلوخي في أبيات له منها :

وفتية من حمير شمر الظبي
شموس مجد في سموات علا
وقلت : ما المجد إلا سماء أنت كوكبها
فكل سابق قوم أنت سابقة
بالعقد تحسكمه والأمر تبرمه
بيض العطايا حين يسود الأمل
وأسد موت بين غابات أسل
والجود إلا غمام أنت سلسله
وكل فاضل حزب أنت تفضله
والعرض تمنعه والمال تبذله

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
ابن حاتم العسكي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
الهواء قليلة الأدواء قال كيف ليها قال سحر كله قال صدقت إنها لطيفة قال لك
طابت وبك كملت وابن بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسهلة صفراء وشجرة
خضراء فياف فيج بين قيصوم وشيخ . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأُنَافُسُ بِرَدِّ النَّدَى . فيه فتهديه لِنَارِ الهمومِ

وقال ابن الرومي * كَأَنَّ أَيَّامَهُنَّ كَالْبَكْرِ * وقلت :

أَيَّامُنَا فِي جَوَارِهِ بَكْرٌ وَلِيلُنَا فِي فَنَائِهِ سَحَرٌ

ومنها قول أبي نواس :

فتدققا فكللا كما بحر

أنت الخصيبُ وهذه مصرُ

أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ

ويعلمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

وقوله : قَتَّى يَشْتَرِي حَسَنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ

وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

فما جازه جودٌ ولا حل دونه

وقول أبي العتاهية :

إِلَيْهِ تَجَرُّ أَذْيَالُهَا

أَتَتِ الْخِلَافَةُ مِنْقَادَةً

وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

وَلَمْ تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ

لَزَلَزَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا

وَلَوْ رَأَى أَحَدٌ غَيْرَهُ

وقول مسلم إلا أنه مرثية :

لَكَ الْغَمَدُ يَوْمَ الرُّوحِ فَارِقَهُ النَّصْلُ

وَأَيُّ وَالِاسْمَاعِيلَ يَوْمَ وَفَاتِهِ

فَكَالْوَحْشُ يَدْنِيهِامَنْ الْآنَسِ الْمَحَلْ

فَأَنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُ أَوْ أَزُورَهُمُ

الآنس جمع مثل خدم . وقول بعض الأعراب في معن بن زائدة :

فَأَنْ مُقَدِّتَ فَمَا جُودٌ لَوْ جُودُ

أَنْتَ الْجَوَادُ وَمِنْكَ الْجُودُ أَوَّلُهُ

لَا بَلْ يَمِينُكَ مِنْهَا صُورَةُ الْجُودِ

أَضْحَمْتَ يَمِينُكَ مِنْ جُودٍ مَصُورَةٍ

وَمِنْ ثَنَائِكَ يَجْرِي الْمَاءُ فِي الْعُودِ

مِنْ نُورِ وَجْهِكَ تَضْحَى الْأَرْضُ مَشْرِقَةً

وقول البحتري :

دَعِ الْمَجْدَ فَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ شَاغِلُهُ

وَقَدْ قَلَّتْ لِمَعْلَى إِلَى الْمَجْدِ طَرَفُهُ

وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شِمَائِلُهُ

صَغَتْ مِثْلَ مَا تَصْنُو الْمَدَامُ خِلَالَهُ

والعرب تتمدح بطول القامة فمن أجود ما قيل فيه قول أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعى تزال إلى الوغى
من المطربين الأولى ليس ينبجلى
جعلت نظام المكرمات فلم تدر
إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
ورأيتهم رجلى كأنهم ركب
بغيرهم للدهر صرف ولا كرب^(٢)
رحا سودد إلا وأنت لها قطب
مجنبتى مجد وأنت لها قلب
ومن أجود ما قيل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب^١ كأن عليه من شمس الضحى
عريان لا يكبو دليل^٢ من عمى
شرف على أولى الزمان وإنما
لوم تكن من نبعة^٣ نجدية
مطر أبوك أبو أهلة^٤ وأبل
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا
أكفأة تلد الرجال وإنما
أخذته السرى فقال في المهلبى :

نسب^٥ أضاء عموده في رفعه
وشمائل^٦ شهد العدو بفضلهما
وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبى العلاء فضيلة^٧
وقلت : قد نلت بالرأي والتميز منزلة^٨
وبالتسكرم والافضال مرتبة^٩
قالوا أيطر من محل ألم^{١٠} به
مال^{١١} يبدد^{١٢} في جمع مكرمة^{١٣}
كروضة أخذت بالغيث زخر^{١٤} فها
حتى يسلمها إليه^{١٥} عدها^{١٦}
مانالها أخواك البحر والمطر^{١٧}
لم يعطها خادماك السيف والقدر^{١٨}
فقلت قد تمطر الانهار والغدر^{١٩}
فالمجد^{٢٠} مجتمع^{٢١} والماء منتشر^{٢٢}
فالروض منتظم^{٢٣} والغيث منتشر^{٢٤}

(١) في ديوان البحترى «كأذا» . (٢) في نسخة «لرب» وهى الشدائد .

مناقب^١ ما يكاد الدهر يهدمها
فابشر فانك رأس^٢ والعلا جسد
لولاك لم تك للأيام منقبة^٣
وقلت : هل أنت إلا البدر تم تمامه
والسيف^٤ أرهف^٥ المضاء غراره
أنت الربيع^٦ الغض^٧ رق^٨ نسيمه
خلق كنشر^٩ الروض^{١٠} طل نباته
الأولياء رخاؤه ورخاؤه
يامن أدل على الزمان زمانه
يدنو فيغمر^{١١} كل^{١٢} شيء^{١٣} فضله
ما ان يزال من المآثر^{١٤} والعلا
عال^{١٥} تسور^{١٦} فوق قمة^{١٧} سودد^{١٨}
يبدو فيبدي الصبح^{١٩} غرة^{٢٠} وجهه
سبق الجياد^{٢١} فما^{٢٢} بشق^{٢٣} غباره
ولئن أبر^{٢٤} على الحسام^{٢٥} عزيمة^{٢٦}
وكأنما^{٢٧} أقلامه^{٢٨} أسيافه^{٢٩}
ما المجد إلا المقد^{٣٠} جودك^{٣١} شذره^(١)
والجود^{٣٢} في يدك^{٣٣} اليمين^{٣٤} عنانه^{٣٥}
ما زال فوتك^{٣٦} في اللواء^{٣٧} موليا
فاعمر على زمن^{٣٨} أغر^{٣٩} محجل
وقال آخر وأحسن :

(١) الشذر : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل
بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

كم صغروا منهم والله يكلوهم
وقال أبو يعقوب الخزيمي :

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها
جريت على مهل فأتعت من جرى
ويبذل ديناه ويمنع دينه
وقلت : وقفت على يحيى رجائي وأنا
إذا ما الليالي أدركت ما سعت له
إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا
إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا
فتى لم نزنه بالقوافي وإنما
من الغر لا حوا أشمسا ومضوا ظي
رأيت جمال الدهر فيك مجددا
وقلت : في فتية أخلاقهم وفعالهم
حل السرور حباهم في مجلس
فهم إذا نظروا الصديق كواكب
أوقيل تلتف الجياد بمثلها
فالليل منهم شامس والصبح منهم دامس والدهر منهم وارس
وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى
كذلك فوارض الثمرات تدنو لجانيها فتتمكن كل جاني

وأخبرنا أبو أحمد عن العبسي عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختري وهب
ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور
بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضيل نصيب من العلاء ورأس العلاء طراً عقيد الندى وهب
وما ضر وهباً عيب من جحد الندى كما لا يضر البدر ينبحه الكلب
فثنى له الوسادة وهش إليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البختري ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من ردف سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن المات لكل حي وقيت به من الحدثن محيا
وقال خلف بن خليفة :

ان استجبلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجبلوا عظم الجمل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أوتخاطرت النزل
مواعيدهم فعل إذا ماتكموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلاء فضائل آباء تلها فضائله
فحاز طريف المجد بعد تليده رفيع بطول النجم حين يطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشمائله
وما هو إلا المزن تصفو خلالاه ويعلو مبواه ويبكر هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قالوا أنفر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أناني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأنشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم نصب ما أردت فأنشد :
جزينا بني شيبان قدما بفعلهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم نصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قالته العرب قال قول جرير :
فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت ففاح بني نمير على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قالته العرب قال قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنفر بيت قالته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قالته العرب قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة للنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طلى التجار بحضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم تر أن جمعثن وسط سعد تسمى بعد قضتها الرحابا (١)

ترى برصاً بأسفل (٢) إسكتيها كمنعقة الفرزدق حين شابا

قال فما أهبجن بيت قيل قال قول جرير :

طرتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمي بسلام

قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا واسكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أر شعراً

أرق في الوزن ولا أملاً للغم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلاً وكتب إلى عامله باليمامة أن ينصف من خصم تظلم منه .

وقد قال عمار بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأثيت جاهداً وإن عدتم أثيت والعود أحسن (٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلى قد طاب الشراب المبرد وقد عدت بعد النسيك والعود أحمد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

ممن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائص .

(٢) في النقائص (بمعجم) مكان (أسفل) . (٣) لهله «أحمد» .

ثياب بنى عوف طهارى نقيه وأوجههم عند المشاهد غران

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيك ما ظلمت قريع بأن يدينوا المسكرم حيث شاؤوا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

قال اجلس لاجلس والله لقد خفت أن تفخر على .

وقالوا أفخر بيت قائمه العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ورواه لنا أبو على بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف

والايماء إلى قدام، والناس يجعلون هذا البيت لجميل فى قصيدته التى يقول فيها :

وكانت تحيد الأسد عنا مخافة فهل يقتلنى ذو بنان يطرف

لقد أخلفت ظنى وكانت مخيلة وكم من مخيل يرتجى ثم يخلف

إذا انتهب الأقوام مجداً فاننا لنا مغرماً بمجد وللناس مغرماً

وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيهم إذا الناس طففوا

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى الشعاعون به كي يلمسوه (١) وأين اللمس من راحل

وعند الناس قصيدته الفائبة أحسن وأسلم من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم

قوله * وكم من مخيل يرتجى ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً فقصر دونه فيارب مظنون به الخير يخلف

وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التى كنت أعرف

وما كل من تهواه يهواك قلبه وما كل من أنصفته لك منصف

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العتسي عن العتسي قال من أحسن مامدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشيرتي بمنهضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولايَ عند جناية ولا خائف مولاي من شر ما أجنبي
وإن فؤادي بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضائي في الشعر واللب أني أقولُ على غِلمٍ وأعلمُ ما أغني
فأصبحتُ إذ فضلت مروانَ وابنه على الناس قد فضلت خير آب وابن
وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لمسكين الدارمي :

ورُبَّ أمورٍ قد برت لحالها وقومت من أصلا بها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فان خفتُ من دار هوانا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيالٍ وان حقُّ عراني أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلا مددتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصامتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غدا أن يعطف الودُ بيننا ومظالمه مني بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدٌ ولكن وجهي في الكرام عريضُ
أصحُّ ^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضُ
وقلت في معناه :

وخلَّ الجهولُ وُبغضِي له فاني لبيبٌ أحبُّ الليبيا
يصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أرَ بدا عجبيا
وأستعملُ الحلمَ مالم أكن أصبتُ من الذلِّ فيه نصيبيا

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروباً
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان : « فان تسألني عننا فانا حلى العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلى العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري اثنى بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماء كل
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه له حلية من نفسه وهو عاقل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن توبل في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فان تلك أثوابي تمزق عن بلى فاني كمثل السيف في خلق الغمد
ولأبي هفان أيضاً :

تعجبت دُرٌّ من شيبتي فقلت لها لا تعجبي من بياض الصبح في الصدف
وزادها عجباً أن رحت في سَمَلٍ^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدر في الصدف
فرايت في هذا المعنى تكلفاً فقلت :

غيرتني أن رحت في سَمَلٍ والدر لا تزرى به الصدف
وله أيضاً في هذا المعنى :

يُعيرني عربي رجالٌ سفاهةً فعزيت نفسي مصدراً ثم مورداً
بأني مثل السيف أحسن ما يرى وأهيب ما يُلقى إذا هو جرداً
في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أورده
في مصراع وهو * والسيف أهيب ما يرى مسلولاً *
ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قل زهير إن شتعت سراتنا فلسنا بشتامين للشتيم
واسكننا نأبي الظلام ونعتصى بكل رقيق الشفرتين مصمصم
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم
هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سَمَل الثوب سمولاً : أخلق فهو ثوب سَمَل .

لقيط بن زرارة :

أغرّمُ أنى بأحسنِ شِيمةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحشِ أقرقُ
وانك قد سابتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أحققُ
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزدق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فاوأن ما أسعى لأدنى معيشة كفاى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مؤثّلٍ وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالى
قيل له فأياها أحكم قال قوله :

اللهُ أنجحُ ما طلبت به والبرُّ خيرُ حَقِيقَةِ الرجل
قال فأياها أرق قال قوله :

وما كُدرت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشارِ قلبٍ مقتل
قال فأياها أحسن قال قوله :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

ويبئر بدرٍ اذ يَرُدُّ وجوهكم جبريلٌ تحتَ لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطمان وعامرٌ وإذا جَزِ عنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا علوا لم يضعجروا يومَ اللقاءِ واذا علوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيقُ الصديقَ رافئى واحاطى وقد يشتكى منى العداةُ الأبعادُ
وذى ترّةٍ أوجعتهُ وسبقته فقصر عني سعيه وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألُنِي هَوَازِنُ أَيْنَ مَالِي وَمَالِي غَيْرِ مَا أَنْفَقْتُ مَالاً
 فَقُلْتُ لَهَا هَوَازِنُ أَنَّ مَالِي أَضَرَّ بِهِ الْمَلَهَاتُ الثَّقَالُ
 أَضَرَّ بِهِ نَعَمٌ وَنَعَمٌ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَبَالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائق .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوَّلِنَا وَلَا تَغِيبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
 وقول أبي جندب :

قُلُوْا نَزَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ نَزِدْ وَلَوْ فَقَدْنَا مِثْلَهُمْ لَمْ نَفْتَقِدْ
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الككبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبد الرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجاً في الجاهلية
 فإذا أنا بشاب حسن العيدين وضئيء وبشيخ يسأله قال فسببه الفتى ثم إن الشيخ
 غيره بأن أمه من بني الأصفر فخرى الفتى فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل أرقال الذنابة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سَأَلْتُ وَخَلْتُ فِي إِيَادِ بْنِ مَعْدٍ هَلْ كَانَتْ الرُّومُ عَبِيدًا لِأَحَدٍ
 هُمُ الرِّبْعُ وَالسَّنَامُ الْمُعْتَمِدُ وَالذُّرُوءُ الْعِلْيَاءُ وَالرَّكْنُ الْأَشَدُّ
 وَأَنْتَ حَرَمِي لَتِيمُ الْمُسْتَنْدِ عَصَاةُ اللُّؤْمِ الَّتِي فِيهَا تَلْدُ
 فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فودي حتى آتيت منى فاذا رجل على جمل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هجاهم لأنه مربا لأوس والخزرج فمجاهم لا هجوته فنظر إلى قباب يبيض
 في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقد بنى تميم من هذيل فأما وقال :
 هَلْ هَهُنَا مِنْ وَلَدِ قُرْدٍ مِنْ أَحَدٍ أَعْطَاهُمْ مِنْ رَجَزِي الْيَوْمَ وَغَدٍ

نُفْرَجُ أَبُو جَنْدَبٍ وَهُوَ يَقُولُ :

نِعْمَ غُلَامٌ مِنْهُمْ جَسَدٌ عَتَدَ
يَنْفَرْنَ مِنْ وَقْعِ الْعَصَى وَالْقَدَدِ
وَابْنُ مُهَذِلٍ وَابْنُ أَشْيَاخٍ مَعَدَ
فَلَوْ نَزَادَ أَلْفَ أَلْفٍ لَمْ نَزِدْ
فَارْجِعْ إِلَى مَعْرَاكَ تَيْسًا ذَاجِدَ
قَالَ خَلَفْتُ أَنِي لَا أَهْجُو أَحَدًا مَا دَامَ أَبُو جَنْدَبٍ حَيًّا .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * إلا كثيرين حصي
والأطيين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتَ لَهَا إِنَّ السَّكْرَامَ قَلِيلٌ
وَمَا قَلَّ مِنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلُنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعَسَا وَكَمُولٌ
وَمَا ضَرَّ نَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها شهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لَنَا جَوْهَرٌ لَوْ خَالَطَ الْأَرْضَ أَصْبَحَتْ
مَقَامَاتُنَا وَقَفَتْ عَلَى الْحِلْمِ وَالْحُجْبَا
إِذَا زِينَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ أَعْرَضَتْ
لِيَفْتَخِرَ بِجُودٍ مَنْ أَرَادَ فَانَهُ
جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى
فَتَى ذَخِرَ الدُّنْيَا أَنْاسٌ وَلَمْ يَزَلْ
وَمِنْهَا : كَلَامٌ إِذَا طَلَّ الْكَلَامُ لَدَى الْوَعْيِ
بِخَيْلٍ لَزِيدِ الْخَيْلِ فِيهَا فَوَارِسٌ
طَوَى بَطْنَهَا الْآسَادَ حَتَّى لَوَانَهُ
وَبَطْنَانَهَا مِنْهُ وَظَهَرَانَهَا تَبَرُّ
وَأَمْرُدُنَا كَهْلٌ وَأَشْيَبُنَا حَبْرٌ
فَازِينَ مِنْهَا عِنْدَنَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
عَوَانٌ هَذَا الْخَلْقِ وَهُوَ لَنَا بِكَرٍ
بِهَا الْقَطَرُ يَوْمًا قِيلَ أَيُّهُمَا الْقَطَرُ
لَهَا بِأَذْلًا فَانْظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذَّخِرُ
وَأَرْمَاحُهُمْ مُحَرٌّ وَأَلْوَانُهُمْ صَفَرُ
إِذَا نَطَقُوا فِي مَسْهَبِ خَرَسِ الدَّهْرِ
بِدَالِكَ مَا شَكَّكَتْ فِي أَنَّهُ ظَهَرَ

صبيته ما أنت تُحدثُ نفسها
فإن ذممتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
مساعٍ يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله : مضوا وكان المكرمات لديهم
بهايل لو عابلت فيض أكفهم
وأى يد في الجدر مُدَّت فلم تكن
أصارت لهم أرض العدو قطائعا
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا
يبدون بالبيض القواطع أيديا

وقلما تجد في الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلٍ باع الدهر بالعرف ضيق
وواقع نهماه عن الحر طائر
متى ما يصبنى بالقوارع طرفه
وهات مثلى للخطوب جواب
تربك اشتعالاً بالنجوم طوالعاً
وتزرى على البيض الطوالع ان مضت
تخافى الأيام فهى تخيفتى
ولو كن في عيني لما قذيت بها
أطلع منها في ديارى طوالع
يقارع منى بأسلاً ذا حفيظة
فتى بآتم الفضل ليس بقائع
فما صحبتته للأنام صنيعة

على كل ذى عقل وبالنكر واسع
وطائر بلواه على الحر واقع
أصابته همتى وهن قوارع
كما أنهم للخطوب دوافع
وهن إذا لاحت نجوم طوالع
وهن على العلات بيض قواطع
وللتكس تهديد إذا ريع رائع
فكيف ترى أنى إذا صلت خاشع
بسوء وهمتى عليها طلائع
يقوم أزاء النصر حين يقارع
ولكن بأذى بأفة العيش قانع
ويصحبهم منه وفيه صنائع

وكل مصادي منة متواضع
وذكر بأطراف البسيطة شائع
وكم ضرر المرء فيه منافع
بلى حيث ضاع المجد مثلي ضائع
إذا كان مجهول الفضائل خاضع
فان ينقلب وجه الزمان فتابع

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل سامان باذخ
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة
وقال ديك الجن ^(١) يفتخر بكاب :

حواء من عرب غر ومن عجم
كل وحدهك والدين لم يرم ؟
والدين أمرد لم يبيع فيحتلم
فقد حقنا دم الاسلام فابتسم
بغير أحمد لم تقعد ولم تقم
يرتج طوداه من نعي ومن تقم
لنجدت عدت الآجال في الحوم
للعدم من طول ما انتاشوا من العدم
إلى الثرى عمراً بفضي إلى الهرم

كلب قبلي وكاب خير من وكدت
وعسيرتنا وما ان ظل را ؟
غلاة مونة والاشراك مكتهل
ان تعبسى لدم منا هريق بها
أقعد وقم عالماً ان لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى ؟
كم عرضوا أيدياً بيضاً مكرمة
أسديرون الردى المنفى بأنفسهم

وقال الجاني :

وحطت مساعينا على حطط الفخر
وعن سخطنا تدنى ألوف المتائف

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال : بنا يستشار العز عن مستقره

وقال ابن المعتز :

فقري فتى وشبابي كمل و كل فضل لي عليه فضل

أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلابي ، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي .

وقرأت لقابوس بن وشيكير ^(١) الخليلي ^(٢) رسالة في الافتخار والعقاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الإنسان خلق ألوفاً وطبع عطوفاً فلا بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لغيثه مخيلة ولا تحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يليه العقاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق ^(٣) من صفاة الدهر حجر ^(٤) بنوه فقد نبأ عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إباء مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي يمد الوهم فهما وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علماً وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت إليه رهاية الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدود وللألف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشر وفي مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذي يجلي به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليعتزل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الانقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وإن أحست منه بجفوة أجدبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالي والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجدته في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاهة العيش باعراضه وتقبض الأرزاق بانهباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهى على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكو كبت لعبادته السكواكب واستجارت بعزته المجرة وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

(١) في النسخ (وشيكير) . (٢) لعله (الجبلى) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشئ . (٣) أعلمها مقحمة (٤) في نسخه « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع أسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمعرض الانسان وكل
العيون بصور الغيلان وأنت العشب على البحار وألبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومنازمة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بحبل كان بهيما لا شية به ومن لم يأو منه الى ظل
ظليل ظل صريماً لا عصمة له ولم لا يسترد عازب الرأي فيعلم أنه مالم يعاود الصلة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه ان أقام على الفرقة مغبون أظنه يقدر أن
الاستغناء غنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الالتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بماله وعرضه ومتعزز بسمائه وأرضه ولا يشعر أن كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافي وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحي على سيدي مستعيداً وصاله ومستصلحاً بالالحاف خصاله وغدى عليه
هذه العجائب لاستمالاته من جانب الى جانب لا شيء يمن يرغب في راغب عن وصلته
أو ينزع الى نازع عن خلته أو مؤئل حالاً عند من ينحت أثله^(١) ومقبل بوده على من
لا يجعله قبلته فاني لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمي لما وضعت عليها
جانبا وان السماء لا تتوق الى تقبيل هامتي لما رفعت اليها طرفاً ولو كني أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحمد ويجنب جنبه اكليل المجد ويظل وجهه الوفاء بقبضه
على يده مسود اوركن الاخاء بفته في عضده منهدا ولا يعجبني أن يكسوه ضوء مكارمه
كلف الخمول ويأذن لطوال معاليه بالا قول فان فضل سيدي الخلود على الوجود والعدم
على الوجود ونزل من شامخ الى خفض ومن حالق الى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال إلى الملل ولم يصل نار الوصال حلت عنه معبود خنصري وشغل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
وفي الناس ان رمت جبالك واصل^ه وفي الارض عن دار القلي^ه متحول
وفي بعض ألفاظ هذه الرسالة تسكف إلا اني أوردتها لعلو معانيها .

وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^ه بحسامه^ه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^ه
وقال ابن المعتز^(١) :

سألتك بالله ما تعلماني ولا تكلم شيئاً فمعدك خيري
أرفع^ه نيران القرى لعفاتها وأصبر^ه يوم الروع في ثغرة الثغري
وأسأل^ه نيلاً لا يُجدد بمثلها فيفتح^ه بشري ويختمه عذري
ويارب يوم ما توارى نجومه مددت^ه إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقعت إلى القوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجدداً لقومي وأحسابا

وأنشدنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادت^ه فيه اللين والنقطة
لا يملأ الأمر صدرى قبل موقعه ولا يضيق^ه به ذرعى إذا وقع
كلأ لبست^ه فلا النماء تطرفني ولا تخشمت^ه من لأواشها جزعا

وسألت بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت
قول^ه الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأبى على يسير^ه

فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي النشاش :

على أي شيء يصعب الأمر قد ترى بعينك ان لا بد أنك راكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أولع بالشعر

ونبع فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في إحدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتي العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تستصعبُ الأُمـرَ لا ترى منه بُدا
بادر وخـلِّ الهويـنا وجدَّ كما تجـدا
فلن تلاقى جـدًّا حتـى تلاقى كـدا

ومن بليغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ولا لسيفي أسوى وقعه من لسانيا
وهي من قول حسان * ويبلغ مالا يبلغُ السيفُ مذودى *
وقلت : ولي لسانٌ إذا أطلقته عرضاً سعى مساعيَ ضرغامٍ وثمان
وقد تمتنى أبحادُ جحاحجهُ من نجل ساسان تزهو نجل ساسان
هم الكواكبُ في أطرافِ داجيةٍ أو العنان على أتباج أعنان
قومٌ إذا ما أتوا بالسوء ما اعتذروا ولا يمتنون إن منوا باحسان
وقلت : من يكن صائلاً بمثلِ لسانى لم يضره أن لم يصلُ بسنان

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ماوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك السكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغد لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً تحل به السحاب في كل مغدى ومآب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشمخي :

ألم تعلمي يا عمر كـ الله أني كريمٌ على حين السكرامُ قليل
واني لا أخزي إذا قيل مُسقى جوادٌ وأخزي أن يُقالَ بخيلٌ
فان لم يكن عظمى طوبلاً فاني له بالخصال الصالحاتِ وصول
وإن ألك قصداً في الرجال فاني إذا حلَّ أمرٌ ساحتني الجليل

إذا كنت في قومٍ طوالٍ فضلتهم
 ولا خير في طولِ الجسومِ وعرضها
 ولم أر كالمعروفِ أمّا مذاقه
 وقلت : غنّاي غني نفسي ومالي قناعتي
 ونفري إسلامي وذخري أمانتي
 ولي عزمت كالسيوفِ قواضيا
 وتغشى صدورَ النائباتِ صدورُها
 ألا لا يذمّ الدهر من كان عاجزاً
 فمن لم تبلغه المعالي نفسه
 ولا أعرف في افتخار الجاهلية أجود ولا أبلغ من قول عمرو بن كلثوم^(١) :
 ونحنُ الحاكمون إذا أُطعنا ونحنُ العانفون إذا عصينا
 ونحنُ التاركون لما سخطنا ونحنُ الآخذون لما رضينا
 وقد أحسن إبراهيم بن العباس في قوله :
 إمّا تربيّ أمّامَ القومِ متبعاً فقد أرى من وراء^(٢) الخيل أتبع
 يوماً أنبىخُ فلا أدعى على نسب واستبيحُ فلا أبقى ولا أدعُ
 لا تسألني القومَ عن حيّ صحبتهم ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
 وقال : أميل مع الذمام على ابن عمي وأقضي للصديق على الشقيق
 أفرق بين معروفٍ وبينى وأجمع بين مالي والحقوق
 فاما تلفني حراً مطاعاً فانك واجدى عبدَ الصديق
 وهذا من قول الأول :

(١) في الأصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب
 المعلّقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام
 بنحو نصف قرن . (٢) في الأصل « ورأى » .

وإني لعبدٌ الضيفِ مادامَ ثاوياً وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد *

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :
أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضباً
قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما يسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والأسر والنكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوماً فقال : ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخامص أقدامنا وإن أقصى منا هم لا دنى فعا لنا . وقال أبو دلف العجلي :
وكن على الدهر فارساً بطلا فاعما الدهر فارساً بطلا
لا بدَّ للخيّل أن تحولَ بنا والخيّل أرحامنا التي نصلُ
مرةً باللجين ننقلها ومرةً بالدماء تنقل
حتى ترى الموت تحت رايتهنا تطفأ نيرانها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني ﴾

لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
النابعة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبالغه فيه إلا البحتري فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم يذكر
لأحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع النابعة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكرك سيف بن ذى يزن وأتينا به بالفرس
ومحاربته بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في رأس غمدان دار منك محاللاً
تلك المكارم لاقعبان من ابن شيبه بماء فعادت بعد أبو الـ^(٢)

أخذه بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في شاذ مهروودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تقصده من هوزة بن علي وابن ذى يزن
ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لأزلت مبشر أعياد وتطويها تمضى بها لك أيام وتشهيا
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظم في لياليها
العيد والعيسد والأيام بينهما موصولة لك لا تقى وتغنيها
ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصر والأيام مقبلة إليك بالفتح معقود نواصيها
أمت هرقلة تدمي من جوانبها وناصر الملك والاسلام مدميها
إن الخليفة سيف لا يجرده إلا الذى يملك الدنيا وما فيها
مقارع الدين والدنيا عدوها بمثل هارون راعيته وراعيا
وقلت : ما ليالى والأيام منقبة غراء تسمو بها إلا مساعيك
ربى يبيقك ماتهوى على فرح كما يلقىك ماتهوى ويعليك
لألف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تباهيه وينميك
ولا تزال لك الأيام موطاة تمضى قضاياك منها فى أمانيك

(١) فى الاصل « ينسب » . (٢) فى الاصل « شييا بماء فعادت بعد أبو الـ » .

(٣) فى النسخ « غرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قيل في التهنية بالنوروز قول هارون بن
عليّ لعليّ بن محمد الحواري :

عليّ ياذا الجود والمعالي	يا معدن الانعام والافضال
يا من به نيّطت عرى الآمال	فيكم الآمال في الاموال
جود بلا من ولا اعتلال	مبتداً يُغنى عن السؤال
قابله النوروز بالاقبال	ونعم تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوال	شبهك في تصرف الاحوال
فليله أزهري ذو اشتعال	كأنه وجهك في الجمال
وصبحه بالمال ذو انهمال	يحكي ندى كفك ذا الأسيال

جری بماء و جرت بمال

ومنها : قول غدا يوفى على الأقوال كمثل ما توفي على الرجال
فاشبهة الأجواد بالبخال وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذبال بعزّ ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليّس : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجري لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدهم منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبة من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهيمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالكه
وما يحويه ملكه وتباعه مقدراته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهمة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتى مع
الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصدق فقالت:

أبا الصقر لازالت من الله نعمةٌ تجدُّ دُها الأيام عندك والدهرُ
ولا زالت الأعيادُ تمضى وتنقضى وتبقى لنا أيامك الغررُ الزهرُ
فأنك للدنيا جمالٌ وزينةٌ وإنك للأحرارِ دخرٌ هو الدخرُ
رأيت الهدايا كلها دون قدره وليس شيء عند مقداره قدرُ
فلا فضلَ إلا وهو من فضل جوده ولا يرُّ إلا دونه ذلك البرُّ
وأهديتُ من حلى المديح جواهرًا منصلةً يرهى بها النظمُ والنثرُ
مدائحُ تبقى بعد ما نفذ الدهرُ ونهى بها الأيام ما اتصل العسرُ
شكرتُ لاسماعيلُ حُسنَ بلائه وأفضل ما تجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هنان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم فيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لا تقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست الناسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى الى كرائم مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقتضى نفسه
بشكرك وفرغت الى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
واني ان جعلتهما هديتي لم أجد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة
ولم أسالك^(١) سبيلاً ألتس بها ما أعتد به في مجازاتك الا وجدت فضلك قد سبقني
اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك
هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخيرة
او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكرى فهو ممرته بجميل فعلك آخر الدهر
والشمس تستغى إذا طلعت أن تستغى بسمه البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني
بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة ، ولا أعرف لهاتين الرسالتين
في هذا الباب نظير آفي رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً كثرهما معاني ،
وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف
أهدى إلى المأمون سفض ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها
هذا يوم جرت فيه العادة بالظاف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى لا قليل بقدره لقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشا كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزداد : النفس لك
والمال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي
لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة الاتباع الأولياء باهدائهم إلى
السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سننه^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسألك» . (٢) في النسخ بمهملة من النقط .

في وسعنا ما يغني بحقك علينا فنسكوت من الكاذبين فاقنصرنا على هدية تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن فقلت : لازلت أيتها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمر بك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتدخلها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب لله عتصم : النفس لأمير المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وباقيه من كلام أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره المعلى بن عبيدة الرياحي لم يزد سعيد بن حميد فيه شيئاً .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أمتع الله الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطول له وملاؤه من العز أمدّه وأكمل له وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ومهد له من العيش أرغده وأفضله وجمع له من الخير آخره وأوله .

والصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التمهاني قليلة النظير منها ما كتب يهني بالوزارة : أنا أهني أطل الله بقاء سيدي الوزارة بالقائها الى فضله مقادتها وبلوغها في ظله ارادتها وأنحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من كفايته بغرة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر اليها حتى قررت لديه قرارها وأثقت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقاً من استشراف أيادي النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو فهي وليدة ذراه قد آلت لا تخط خطته وعاهدت لا برحت ساحتها فالحمد لله الذي أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحسادية معثرون في ذيول الخيبة ويتسقطون في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه فقد شرح صدور المجالس وشهد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى وليه بحقين قديم وحديث وبفضلين مكتسب وموروث .

وكتب : الأستاذ الربيع الذي يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بالحيارها الى امضائه وتدبيره فـ لا اكتسى الدهر حلة أبهى من حصول عنائه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال أمراً ناهياً سامياً عالياً تنهناً الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فغيته متشبه بكفه واعتداله مضاه خلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر الممادة بما يحضر ما خلا الكتب التي لا يرفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير لازال جنابه موروداً بالعلم ومنحماً عنه بالغنى .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حله التي استعارها من شيعته ومبدياً حليه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جودة وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتنوا هديه وأسعده سعادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والامل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهنأ سيدي الموهبة التي ساقم اليه ومدد رواقها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن ملك الأرض وولي البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدير الخافقين أدام الله سلطانه وأبد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتباؤه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدي محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله مباهن أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلاها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقبوله له ابذان توأمان: وصل كتاب الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن تسنح موحدة حتى تيسرت منحنان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن وطلع من النجيبين أبي القاسم وأبي كالنجار أدام الله عزها طالعا ملك ونجما سعد وشهابا عز وكوكبا مجدد فتأهلت بهما رباع المحاسن ووطئت لهما أكناف المكارم واستشرفت اليهما صدور الاسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته حمداً مكافئاً جسيم ما أتاح وعظيم ما أفاد واكتنفتني من السرور ما فسح مناهج الغبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأولياء بمسارها وأزججت قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتمام مآدناه من الاميرين السيدين من سعادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبليغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود وتعالوه الجود حتى يستغرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد الفخر ويرحما صروف الدهر ويغبطا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .

وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن أنسها الله وحرسها بذكر ما لقاها كرم مولانا وورقاه اليه من مراتب تشريف لا تكمل القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تتسع الخواطر لالتماسها واقتضاؤها فحمدت الله ولي الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسأنته أن يطيل بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مآدرعه من شرف لا يرحل مقيم ولا يتعيف عميمه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن سماع المكره إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نبأ التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بضيرة ولا من ترك التهلك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلاً إلى خبر البشرى فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للموكل ببلوغ المعتر يقول فيها :

يا كاليَ الاسلام في غفلاته ومقيمَ نهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتر بشري يندت فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلادُ ملكك مخبرٌ بقريب عهدٍ كان من ميلاده
تمت لنا النعماءُ فيك مُمتعا (١) بمالو همته وورى زاده
وبقيت حتى تستضيء برأيه وترى السكول الشيب من أولاده
وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه لاعمز قرب والسمك نسيم
فلأمره التسميم (٢) كيف تصرفت حالاته ولشأنه التغميم
فابشر فقد وإفاك يوم رزقه حظاً بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنائه حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً ومهد سد الليل وهو بهيم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجهه كتنوير الرياض وتحتنه خلق لمحسود الرياح وخيم
فلا أهله شرف به متوطد ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عيناً فان خلاه تصفو وتلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النعماء فيه ممتعا » . (٢) في الاصل مهمله .

ولحمده التصميم حين تلاحقت أقرانه وشاهده التقدّم

ومن أعجب ماجاء في التهنئة والتعزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قيل للرّشيد ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرّشيد ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له : ولد لأُمير المؤمنين في هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين سرّك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرّك وجعلها واحدة بواحدة ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرّشيد : أهذا الذي زعموا أنه يصنع الكلام مارأي الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة . وقلت في تهنئة بمولود :

فاستقبل الخيرَ في نجيب	عما يعيبُ الوري نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ	يملكُ أبصارَ ناظره
بملاها ^(١) بهجة إذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
دُرّ قفه كاملاً سوياً	تكثرُ علات عائبه
جنى لذيذ المذاق حلو	يقربُ من كفٍّ مجتنيه
وعن قليلٍ يصيرُ شهما	يشقى به جسد كاشحيه
ألا فعمش في ضمانٍ خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بنيهِ

وقلت في تهنئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه	فانك قد فصلت بالشر جوهرها
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً	وطيرتهُ في الأفقِ نشرًا معطراً
هو اليمينُ لم يعدمك محبوبةً دنت	ومكروهة شطت وصعباً تيسراً

ومن عجائب المعاني تهنئة لأبي اسحق الصابي مشوبة بالعقد ^(٢) لرجل زوج أمه :

قد جمالك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلوص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة في محظور تحله فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره ويأوى

(١) في الأصل « بملاها بهجة » . (٢) في الأصل « بالعقبة » .

إلينا من إيقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
إمتاعك - وبين فلان ماعلمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توحيها ومشقة فيها تجسمتها
وأنك قد جددت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وإن يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأبنت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جددت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال « جدد الحلال أنف الغيرة » .
وهنا بعضهم بخروج الحمية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائد من نعمه توافق مصالحهم وتطابق
حوادثهم في تصارييف نشوهم الطفولية والابقاع والشبيبة والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتفاء والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السعي والهمة وغاية في الطلب والبغية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يعطاها قبل بلوغ أدواته منتهاها يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى إذا تعالى في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه ولله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كساك بالحمية حلة الوقار ورداك بها رداء البرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن يصحبه حافظاً وجعلك بما جمل
من صورتك وكل من ادانك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونفى
عنك ذلة الاحترار من أهل المراتب والاختار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام فى المشاهد الجامعة مسوعاً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نطقت
 آمناً من انصراف الأَبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جملة الرجال على الجملة الى أن تكشف مخابرك بالحنة
 ونعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخاو فيه
 كل واحد منكما من رُفد يمدده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليده من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان عارياً من هذه الكسوة الشريفة
 والخلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاستهغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها فى جمال غشاك وكال
 أتاك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستنداراً للمزيد فى احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وعزبة بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أحوال مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها متفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمه الله تعالى ما ازعجنى وأبهم طرق السأوة دونى وإن كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الأحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد أهلك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أهلك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإشاراً لك وبراً وقد لمعنى وفقت حين وصلت بحبك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله لئلا تفقد من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعا بعد فراقه والعدد موفوراً بعد انتقاصه جداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الأرق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاها
 وزادها محاسن ترفل فى حلها وتبخر فى حلها واكتنفها بيمين يمرع جنبها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة فى

تقريب رُكَّاب مولانا أطال الله بقاءه وكتب أعداءه وكتب حساده وزادهم رغباً
بزيادته تعالى إياه نعماً لا ير حل مقيمها ولا يتحيف عميمها ماختلف العصران وتعاقب
النيران واستقبل به في وفدته ما ينقاد له أقصر الأمار ويحتوى عليه أربعة غايات
الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداء ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمه
ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية
لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
والحمد لله الذى أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿كتاب المبالغة﴾

في أوصاف خصال الإنسان المحمودة من الجود والشجاعة والعلم والحلم
والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿الباب الثانى من كتاب ديوان المعانى﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قالته العرب قول مسلم
ابن الوليد ^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الغواني، تأدب في الكوفة وعظم شأنه في الشعر، مات بجرجان .

يجردُ بالنفس إن حُصَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عتبة: ^(١)

تجودُ بنفسٍ لا يجادُ بمثالها فانتَ بها يومَ اللقاء خصيب
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
عند العطاء فقد جاد بنفسه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم: ^(٢)

طلبت هديةً لك باحتيالي على ما كان من حسي ونسي
فلما لم أجد شيئاً نفسيّاً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي
وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني أنا موقر من بلائه وفي الطاعة
له كيد وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفاه من ماله وقد
بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبلائه وخدمته . وقال أبو تمام :
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتق الله سائله
وقد أنكر خلف بن خليفة أهداء النفس : قدم أخ له من سفر فافتضاه خاف

الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشدُ الركبا
فقلتُ له هل جئتنا بهديةً فقال بنفسى قلتُ أنحف ^(٣)
هي النفسُ لا آسى عليها إذا نأت ولا أنمى ما حبيتُ لها قربا
إذا هي وافت من ثمانينَ قامةً فلا السهلَ ألقاها إلا آتةً ولا الرحبا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ ببغداد وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه إلى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ

ولعله سقط « بها التريا » أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزائن .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذى أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلى عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن السامحة لم تزل معقولةً حتى حلت براحتيك عقالها
وإذا الملوكُ تسأرت في بلدةٍ كانوا كراكبها وكنت هلالها
فلم يثبه فقال :

هزرتك هزة السيف المحلى فلما ان ضربت بك انثنت
فهيها مدحة ذهبت ضياءاً كذبت عليك فيها وافترت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فرأى أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرفدُ
الا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردَّ وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشية السؤال في عينه الحية الاسود

-
- (١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتهر بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من يؤمهم فأتى أرى الناس قد أصلدوا
 وإلى أرى الناس قد أبرقوا بلؤم الفعالي وقد أاعدوا
 ثم مضى قليل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أهلك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع مدحك وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول علي بن جبلة وقال له أبو دلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو دلف كالطبل يذهب صوته وباطنه خلوه من الخير أخرب
 أبا دلف يا أ كذب الناس كلهم سواي فأتى في مدحك أ كذب
 وأخذ البحتري قوله * كانوا كوا كباها وكننت هلالها * فقال في المتوكل :
 اذا غبت عن أرض ويممت غيرها فقد غاب عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاق البلاد خصيبة وهل تمحل الدنيا وأنت ثمالها (١)
 فأما قوله : كأنك من خشية السؤال في عينه الحيسة الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيديك وجه ليل مظلم وحفيف نافحة وكلب موسد
 وأخوك محتمل عليك ضغينة وخسيف قومك لائم لا يحمد
 والضيف عندك مثل أسود سائح لا بل أحبهما اليك الأسود
 ومن جيد ما جاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامسك
 قول ديك الجن :

قالوا السلام عليك يا أطلال قلت السلام على الحيل محال
 حاج الشقي مراده دمن البلى ومراد عيني قلة وحبال
 لا ناد من (٢) الراج وهي زلال ولا طرقن البيت فيه غزال
 ولا تركن حاليها وبقلبه حرق وحشو فؤاده بكبال

(١) في الأصل « ثمارها » . (٢) في الأصل (لاخاد من) .

وليشفين^(١) حي فم^ه وخفي يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يديك ما
 قد تسلم الأوكال^ه وهى مواكل
 ورجال^ه هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمعه^ه
 ولم يكن لك مال^ه يوم تكسبه^ه
 تحب^ه من أجله الدنيا وتورثها
 سترته^ه عن عيون الناس كاهم
 ان لم تبكر اليه^ه فى نوابه^ه
 وقد أحسن القائل :

إذا أعجبتك خصال^ه امرىء
 فليس على الجود والمكر مات
 هو المال ان أنت لم تخترب
 أباح لك الدهر ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ما كان مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْمِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمنى يا ابن ورد فانى
 ومن يؤثر الحق^ه النؤوب^ه يكن به
 تعود^ه على مالى الحقوق^ه العوائد^ه
 خصاصة^ه جسم وهو طيان ما جد
 وقال عبد الملك بن مروان ماوددت ان أحدا من العرب ولدنى لإقائل
 هذه الأبيات :

(١) فى الأصل (ولاشفى) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال
 عبد الملك بن مروان : من قال ان حاتم^ه أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبى دهرُنا اسماقنا في نفوسنا فاسمعنا فيمن يُحبُّ ونكرمُ
فقلت له نعمالك فيهم أتمها ودع أمرنا ان المهمَّ المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدحوح أهمَّ له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحتري :

سحابٌ عداني جودٌ وهو هامر وبجرٌ خطاني فيضه وهو منعم
وبرقٌ أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلى منه أسودٌ مظلمُ

ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لهُ همٌّ لا مُنتهى . اسكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهرِ
له راحةٌ لو أن معشارَ جودها على البرِّ كان البرُّ أندى من البحرِ
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعتُ في فؤاده همم ملءُ فؤادِ الزمانِ إحداها

وموضع التقصير فيه أن الأول جعل همته الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي
أحدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ
في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى
يرمقه فلم يسأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجبتين وضع
المخدة على رأسك وإنما أعطيتكما لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما
المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطئي في
الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم
الخبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصَّعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
فاستخر اللهَ وخذ مُرهناً وافتك بأهل الشرفِ والغربِ
ولا تمت إن حضرت ميتةً حتى تميتَ السيفَ بالضربِ

ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عرقاً في خيله أعلم منه بحمداءِ أبله^(١)
قد لعبت أبدي النوى بشمله متمماً مضطجعاً بحمله
مُمنصلاً كالسيفِ عند سله مولودةً همته من قبله
قد دان ذو الفضل له بفضلِهِ كالصابِ من يذقه لا يستعملِهِ

إلا بأن يسكن تحت ظله

وقال : همّةٌ تنطاحُ النجومَ وجدُّ ألف للحضيضِ فهو حضيضُ

أبلغ ما قيل في يمن النقيية^(٢) قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً ينبع لأوريت نارا

الحصاة مع النبع لا تورى قال فأنت من يمن نقييتك لو قدحت بهما لا توريت .

وقال بعض الأعراب :

يذكركني سعداً دعاءً بالقرى لو أشرف القومُ على أرضِ العدى

واختلطَ اليبِلُ بألوانِ الحمى وأرسلوا سعداً إلى الماءِ سرى

من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعين وراءَ شاوه إلى العلى والمكرماتِ مطرح

قد شح بالعرض وجاد بالهمى فحوى المجد بما جاد وشح

فاذا همَّ بأمرٍ ناله فسواء جدّ فيسه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقيية : النفس ، يقال فلان ميمون النقيية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقيبت
ولما يفرره تقلب دهره فقلت لعلَّ الدهرَ لم يتقلب
وبدنوا له المطلوبُ حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :
سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيتي أيادي لم تُمن وإن هي جلت
فتي غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زات
رأى خلقي من حيث يُخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجأت
قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الإنسان إذا
قذبت عينه صرف الهممة إلى نقلتها من غير اشتغال بشيء غير ها وهو على قوله « من
حيث يخفي مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :
إذا ليلةً نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أتعملُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذي طُرقت به دوني فمبنى تحمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمي^(١) :
أشدُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تتبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فن الثلاثة
عنزة^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكُ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلمُ
وإذا صحوتُ فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمي

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبل
الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنزة بن شداد العبسي من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على
شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً تمكو قريسته كشدق الأعم
هلاً سألتِ الخليل بابنة مالكِ إن كنتِ جاهلة بما لا تعلمي
يخبرك من شهد الواقعة أني أخشي الوغى وأعف عند المغنم
ومدحج كره الكماة نزاله لا ممن هرباً ولا مستسلم
سبقت يدائي له بعاجل طعنة ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)
نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر غيلة لنفس المنعم

ثم قال: إذ يتقون في الاسنة لم أحرم عنها ولكني تضايق مقدمي
قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنزة هجيناً أمه
أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجناء فكان يرعى ثم اتخذ
سلاحاً وصنع مهراً فأغارت طيء على عبس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع
القوم ثم جنبهم حتى آتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
أباه وأمّه ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فسكر عليهم فقتل
منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد
السكر وإنما يحسن الحلب والصر يترعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلجقه
أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنزة يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
تسمى زبيبة وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنزة » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلى بها حذر الموتِ وإني لفرور
ولقد أعطفها كراهةً حينَ للنفسِ من الموتِ هريز
كل ماء لك متى خلق وبكل أنا في الروحِ جدير

فقال « وإني لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كالون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذاك مني خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال الفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك مني خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهاك وإنما الشأن في أن يمدح بإقدامه وفي قريب من ذلك قوله :

فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصاماء روى لنا أبو أحمد عن العباسي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدي كرب وخالد بن الصمغصم الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصمغصم فحمات عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمغصمة فأخذت رأسه فقال خالد حالا أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بحديث فاسمع فانما نرهب هؤلاء المعدي . مسترعفين أي متقدمين ، وقوله حالا أبا ثور أي قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحمل أي لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلاق والسعالى حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :

وادم حببت^(١) حليابه فياجارتا أنت مأهولا

فطالبتها بضعها فأنثت بوجه تهول واستغولا

وكننت إذا ما هممتُ اعتزمتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلاً

وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ما تقضت رسائله
له نسبُ الانسى يعرفُ نخله وللجنِّ منه خَلقه وشأله
وقال عبید بن أيوب :

فللهِ درُّ الغولِ أى رفيقه لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعلمه الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبني وذكر أنه ذهب الى جبل فناداه فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقال قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه اني وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنثمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الأشعري في أى كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أبياتاً قلتها :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرفِ الهجرانِ ان كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيمه اذ لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ
ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمر ك ما أدري واني لا وجلُ *
حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنثمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظهري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة وقد رأيتني ليلة صفين وما يحبسني إلا أبيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عفتي وأبي بالأي وأخذني الحمد بالثمن الريح

واعطائي على المكروه مالي وضربي هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صاف ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشد على البكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والثبات

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غمار الموت منغمس إذا تأنى على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فافلقا

بضربة لم تكن مني مخالسة ولا تعجلتها جيناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بعثر بصطاد الرجال إذا ما لا يث كذب عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما رتموا حتى إذا ظعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
ابن حمام^(١) :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يغيش به عزيزاً أو موت بجوته شريفاً .
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بحر شواء بالعصا غير منصج
دعوت إلى مانأبى فأجانبى كريم من الغتيان غير مزج^(٢)
فتى بملا الشيزى^(٣) ويروى سناناه وبضرب في رأس السكى المدجج
فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخراعى وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول كعب بن مالك :
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
ورأى بعض العرب سبياً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :

خطو ترى الصارم الهندى منتصراً به من المارن الخطى منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بنى سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضميم ،
يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه أدرك الإسلام .
(٢) مزج كمعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزى بالسكسر
خشب أسود للقصاع أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .

وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لِنَفْسٍ لَا يَجَادُ بِمِثْلِهَا أَقْلِي شَكُو كَأَنَّيْ غَيْرُ مَدِيرِ

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :

قَالُوا وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا فَاتَّجِدْهُمْ جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ لَا يُحْصَى لَهُ عَدْدُ
إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضًا لَبَسُوا مِنَ الْيَقِينِ دُرُوعًا مَاهِلًا زَرْدُ
نَاءٍ عَنِ الْمَصْرِحِ الْأَذْيِ فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَدَدُ
وأجود ما قيل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين

قول مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد الشيباني :

لَوْلَا يَزِيدٌ لَا ضَحَى الْمَلِكُ مُضْطَرِدًّا أَوْ مَائِلَ الرَّاسِ أَوْ مُسْتَرْخِيَ الطَّوْلِ
حَاطَ الْخِلَافَةَ سَيْفٌ مِنْ بَنِي مَطَرٍ أَقَامَ قَائِمُهُ مِنْ كَانَتْ ذَا مِيلٍ
سَدَّ الثُّغُورَ يَزِيدٌ بَعْدَ مَا انْفَرَجَتْ بِقَائِمِ السَّيْفِ لَا بِالْخُتْلِ وَالْحِيلِ
مَوْفٍ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يُسْعَى إِلَى أَمَلٍ
يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا بَعَا الرِّجَالُ بِهِ كَلُمَاتٍ مُسْتَعْجَلًا يَأْتِي عَلَى مَهْلٍ
يَكْسُو السُّيُوفَ نَفُوسٌ ^(١) النَّاكَثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ ^(٢) تَيْجَانِ الْقَنَا الذَّبِلِ
يَغْدُو فَتَغْدُو الْمَنَايَا فِي أَسْنَتِهِ شَوَارِعًا تَتَحَدَّى النَّاسَ بِالْأَجْلِ
قَدْ عَوَدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقْنَ بِهَا فَهِنْ يَتَبَعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْحَلٍ
إِذَا انْتَضَى سَيْفُهُ كَانَتْ مَسَالِكُهُ مَسَالِكَ الْمَوْتِ فِي الْأَبْدَانِ وَالْقُلُلِ
الزَّائِدِيُونَ قَوْمٌ فِي رِمَاحِهِمْ خَوْفُ الْخَيْفِ وَأَمْنُ الْخَائِفِ الْوَجَلِ
كَبِيرُهُمْ لَا تَقُومُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ حَلَمًا وَطِفْلُهُمْ فِي هَدْيٍ مَكْتَهَلٍ
إِسْلَمَ يَزِيدٌ فَمَا فِي الْمَلِكِ مِنْ أَوْدٍ إِذَا سَلِمَتْ وَلَا فِي الدِّينِ مِنْ خُلَلٍ

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة للنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانفر فمالك في شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل
 وقوله : سلّ الخليفة سيفاً من بني مطر
 كالدهر لا ينثنى عسايم-م به
 تظلم المال والاعداء من يده
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك
 تمضي المنايا لما تمضي أسننته
 وله أيضاً :

يلقى المنية في أمثال عدتها
 كالليث بل مثله الليث المصور إذا
 كالسيل يقذف جلوداً بجلود
 غنى الحديد غناء غير تغريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فسا بل في مستنقع الموت رجله
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
 غدا غدوة والحمد نسج ردائه
 وأخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :

لا أبتغي اللحد ولا أبتغي السكفن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحري :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم
 تسرع حتى قال من شهد الوغى
 وصاعقة في كفه ينكفي بها
 وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب

سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الأصمعي أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وقال المحدث في معناه * ماضاع عرف وان أوليته حبراً * وقال الإفوه^(١) :
والخير تزداد منه ما كفيت^(٢) به والشر يسكنك منه قلما زاد

وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيد الله الأبرص :
الخير يبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا
محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بحديث عن أبي هريرة قال قال رسول
الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا
إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن
عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه
يعني من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم
ولبيد ينشد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت ثم أنشد
لبيد رأس البيت * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت فأسكت القوم
ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال
لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزا رجل من قريش فظلم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الأودي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائهم

وساداتهم وفرسانها . (٢) وفي رواية « لقيت » .

له الوليد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تظلم الى مثل ما لقيت صاحبتي
فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرء ماذا يُحاولُ الحبُّ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
جبائلُهُ مبشوءةٌ بسبيله ويفنى إذا ما أخطأته الجبائلُ
إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ حاملُ
وأجود من هذا سبكاً ورصفاً قول الصلتان :

نروحُ ونغدو لحاجتنا وحاجةُ من عاش لا تنقضي
وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته
العرب قال الناس يقولون « كل امرئ في شأنه ساعى » وأنا أقول :
كأن مُقلاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقي من الناس مذنبُ
وأصدق بيت قاله محدث قول البحرى :

نصليكَ في الاءِ كرومتين فانما يسودُ الفتي من حيثُ يسخو ويشجع
زرعتُ رجاءً في ذراك مُبكراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرع
أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بابُها
وان قرابَ البطنِ يغنيك ملؤه ويكفيك سواتِ الأمورِ اجتنابُها
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوةِ
فكل ماشئت يغنيك عن العذبةِ والحلوةِ
وطأمن شئت يغنيك عن الخناءِ في الذروةِ
فكم أنساك ماتوا هُنيئُ الشيءِ لم تهوهِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعٌ يوماً غزاني غزوتُهُ كتائب ناسٍ كرهاً واطرادها
أمصُّ نَمَادِي والمياه كثيرة أعالج منها حضرها واكتدادها
وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأي أن ترضى النفوس ثادها
وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفسُ رَاقِبَةٌ إذا رَغِبَتْهَا وإذا تَرَدُّدٌ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً دون ما ترضى بأذى مالك
وذمَّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا تكير
دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به إلا الأذلَّان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يُشجُّ فلا يرى له أحد

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللثيمُ مطَّحاً حاجبيه وذادَ عن حريمٍ درهميه
فأترك عنانَ البخل في يديه وقم إلى السيف ^(١) وشفريته
واستنزل الرزقَ بمضريبه إن قعدَ الدهرُ فقم إليه
وقلت : سأسئ مطفُ الأيام حتى تردني إلى جانب منها يلينُ ويسهل ^(٢)
وأقنعُ لا أن القناعة لي هوى ولكنَّ صونَ العرض بالحر أجمل
وقال ديك الجن :

لأنقم للزمان في منزل الضيم ولا ترتبطك رقةُ حال
وإذا خفت أن يراهقك العد مُفْعِذٌ بالمتقنات العوالى
وأمن نفسك الكريمة للمو ت وقحم بها على الأحوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلمعري الموتُ أجملُ بالحرِّ من العيشِ ضارعاً للرجال
 أى ماءٍ يجولُ في وجهك الحرِّ إذا ما امتننته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفَ الدهرُ بأهل الندى وأهل النوال
 فقليلٌ من الورى من تراه يُرتجى أن يصونَ عرضاً بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدوى فاستراحت رحيل سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعلَّ المنية قبل القبول
 لعمر التي وعدتك الثراء بجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجملت لك غير الجميل
 ساقى العفاف وأغنى الكفال فليس غنى النفس جودُ الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعدُّ لدم البخيل
 وأعلم أن بنات الرجاء تحلُّ العزيز محلَّ الذليل
 وأن ليس مستغنياً بالكثير من ليس مستغنياً بالقليل

قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيت به نبي الشعر . وقال البصير :
 قلت لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهي فلم أفعل ولم أكدر
 لا تجمعوا ابن تهبونني وأكرمكم ولا تمدوا إلى نيل اللئام يدي
 تبالغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم في يومكم لغد
 فرب ملتبس ما ليس يدركه ومدرك ما تمنى غير محتمد
 أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فنهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) في الأصل « ابن المعتزل » . (٢) من شعراء العصر العباسي نشأ في البصرة .

فقالوا الرقيبهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فزاره ولا بأس ثم رأوا غيرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خالطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرج اللّوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزية أن غوت غويتُ وإن ترشد غزية أرشد
وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه ، ووجه المبالغة في هذا
الكلام أنه أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد
كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي
ربيعه وروى غيره :

وذى ودّ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميحاً
أطافَ بغيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنب الامر الفظيحا
أردتُ رشادهُ جهدي فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزي :
تمخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طالقٍ للنصيح ولاهش
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسعته من زور قول ومن غش
وقال آخر :

ألم تعلم يا ابنى رجاجة أنى أغش إذا ما النصح لم يُقبل
ومن جيد ما قيل في النصيحة قول مخيس بن أرطاة :
عرضتُ نصيحةً منى ليحي فقال غششتنى والنصح مر
ومابى أن أكون أعيب يحيى ويحي طاهرُ الاخلاق بر
ولكن قد أتانى أن يحيى يقالُ عليه فى نقعاء شر

فقلتُ له تجنبُ كلَّ شيءٍ يُقالُ عليك إن الحرَّ حرٌّ
ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إن أخا الصدق الذي إن يخدعك ومن يضرُّ نفسه لينفعك
ومن إذا صرفُ زمانٍ صدعك شتتَ شملَ نفسه ليجمعك
وان غدوتَ ظالماً غدا معك

ففسروه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما
أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »
وقال ابن ميارة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزم نصحتك هشيمةٌ من أهل نجد
نهيبتك عن رجال من قریش على محبوبك الأَصْلَابِ جرد
ووجداً ما وجدتُ على رباح وما أغنيت شيئاً غير وحدى
وقال العباس بن جرير :

إرعَ الأخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيتَ منافساً في نيل مكرمة فكنه
إن الصديقَ هو الذي يراك حين تغيبُ عنه
وإذا كشفتَ غطاءه أهدت ما كشفت عنه
مثل الحسام إذا اتضا ه أخو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما تسمي له كرمًا وإن لم تستعنه

ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من مصيبة زيدٍ أربى فتي إذا نهته لم يغضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرض بالمتاع المحب
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقين له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بلدتُ من شكري ما لم يبدل لما جدد أجلّ إذ لم أجعل
يحمل من ثقل ما لم يحمل فمرّ في عيني حين ذلّ لي
إن جمال الحرّ في التجميل وقد يكون العزّ في التذلل
والجدد شهد يجتني من حنظل

ومن قديم ما جاء في هذا النحو قول أوس :
وليس أخوك الدائم العهد بالذي يلومك إن ولي ويرضيك مقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا أضرّ أعضلاً
أبلغ ما قيل في التائي وأجوده وأشدّه اختصاراً ما أنشدناه أبو أحمد المرار الفقعسي :
تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعها النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إن هذا الدين متين فأوغل فيه
يرفقي فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهي شدة السير . وقلت في نحو قول المرار :

وحطّ بهأ كوار خوص لواغب يقلّ لك كشار الذميل ذميلها
نفص عبدة حلّ الفراق عقابها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيمٍ على الدار يسقى ظلمن طولها
ومن المشهور في التائي قول القطامي :

قد يدرك المتائي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقال غيره :

ومستعجل والمكث أدنى لرشدٍ ولم يدرك ما يلقاه حين يبادر
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفاً مردوداً وكثيراً ما يقع « كل » في
الشعر قلق المكان كوقوعه في بيت ابن طباطبا :

فبالأعني دعني أغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلمتُ عُتْبَةً أَنِّي منها على أجلٍ مطل

وشكوتُ ما ألقى اليَـسَمَ والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتُ بما أشكوكما يشكو الأذل

قالت فأى الناس تعرفُ ما تقولُ فقلتُ كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين فطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

وأول الأبيات :

رأنا أم عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظرُهُ زرىُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الوريُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلجُ بُخترىُّ

وانى حين تختلفُ^(١) العوالى الى الابطال أكيس قسورىُّ

كلبنى للندى والبأسِ انى بكل بسالة وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القوم حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيفَ أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر ثقله) معناه اختبر من شئت تجدد دون ما أظنه فيه

وتطلع على ما تنكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) في الأصل «يختلف» .

دعني الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلفتكم ما توسمته وقل حميد على تجربته
 وكم لمة خاتما روضة فأفيتها ديمنة معشبه
 ظلتكم لا تطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عني على الحساب مع الحسبه
 فهل تعذروني كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذرت بعذر فلا معتبه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر « لا تحمدن امرأ حتى تجربه » سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد « الشكر كفؤ النعمة » ولا أطرف من قول البحتري « الشكر نسيم النعمة » وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيد وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر قول يحيى بن زياد الحارثي أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حرم ما عنه لاركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل لإغاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منة على المرء إلا منة الشكر أثقل
 فن شكر المعروف يوماً فقد أتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

سميت ابتغاء الشكر فيما صنعت بي فقصرت مغلوباً وإني اشكر
 قوله وإني لشاكر مع قوله مغلوباً أحسن الموقع ، وهو مأخوذ من قول الآخر :
 فراق حبيب لم يبين وهو بائن
 لأنك توليني الجيل بداهة
 فأرجع مغبوطاً وترجع بالتي
 وقول الآخر :

ولو أن لي في كل منبت شعرة
 وقول دعبل :

هجرتك لأعن جنوة وملاة
 ولكنني لما أتيتك راغباً
 فلان^(١) لا آتيك إلا معذراً
 فان زدت في برى تزايدت جنوة
 وقول أبي نواس :

قد قلت للعباس مُعْتَذِراً
 أنت امرؤٌ قلدتني نعماً
 لا تسدين إلى عارفة
 من ضعف شكره ومعارفا
 أوهت قوى شكرى وقد ضعفا
 حتى أقوم بشكر ما سلفا

وهو أول من أتى بهذا المعنى إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء
 الكلام فضل ألفاظه على معانيه . وقال البحتري :

هاتيك أخلاق اسماعيل في تعب
 أدابت شكرى فأمسى منك في نصب
 لا أقبل الدهر نبلاً لا يقوم له
 لما سألتك وافاني نذاك على
 من العلاء والعلاء منهن في تعب
 أقصر فإلى في جدواك من أرب
 شكرى ولو كان مسديه إلى أبي
 أضعاف شكرى فلم أظفر ولم أخب

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداهُ باعُ شكري قصورَ الزجَّ عن زلقِ اللسان
وآسى أن تطولَ يداي منه إلى ما لا يطاولُه لسانى
كأن ندى يديه عناقُ بين فليس يسرُّنى إلا شجاني
لهجتُ بذكره لا بينَ عنه فضاقَ بوصفه ذرعُ البيان
حنانى ثقله ولو أنَّ قوساً تلقى منكبيَّ لما حناني
فها أنا منه منتقرٌ وغاب وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحتري :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشةٌ لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
أخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليدُ البيضاء
وقطعتني بالجوْدِ حتى أنى متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت في الناسِ وهي قطيعةٌ عجباً وبرٌّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركبُ شعري سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء محمداً أبداً كما تمت لك النعماء
فظلُّ تحسدك الملوكُ الصيدى وتظل تحسدنى بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرنى سوء رأيك فيَّ فما أهتدى
أطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تطفئنى من حسن رأيك
فأضوى ولا تسقطنى عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحتري :

من معينى منكم على ابنِ فراتٍ ومكافاةٍ ما أنالَ واسدى
كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى له أياديه عبداً

سمعت عم أبي يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
مسار: ما أدري النعمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عني فجعل مامنعه
نعمة والناس يحملونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم في المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافقة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملته من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا أعرف لها متعلا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فخير نقيصته بالاعتراف والنقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المعيشة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيداً والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل طارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلاء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جرده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتأملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلي بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنحلت عن ساحتي خطوته وهذه نعم أعيانها بكرها فكيف أطعم في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بمقوق الأنواء إذا تحلى بيوافقت الأنوار والآلئ الأنداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكك فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى جُعباً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بال وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الشكلاان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسيره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبخة حصد الفقر إني والله لما علمت أن هذا يكتنم المعروف بالفعل ما حفات بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأثنوا بالذی أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق
ثم قال أعلمت أن ناس أبرویز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكياء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .
وقد أجاد ابن الرومی في هذا المعنى فقال :

حال تبیح بما أولیت من حسن وكل ما تدعيه غير مردود
كلی هجاء وقتلی لا یجل لکم فما یداو بکم منی سوی الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .
ومما یجری فی باب الشکر وهو من أبدع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
نشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

وإني وإن أحسنت في القول مرة فمنك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت غصناً من حناي لغارسي
أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الأصمعي :

لا تُنكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جل وعز يشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه
وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكارم ضخمة غادرت فيها مملكت قتيلا
فرأيت أكثر ما بذلت من اللهی نزراً وأصغر ما شكرت جزيلا
وقد أحسن ابن الرومی :

هاجرتُ عنك إلى الرجا ل فكانَ عرفهمُ كنسرك
ورجعتُ من كسب اليـسـك مفرغاً نفسى لشكرك
ولما أروم بما أقو ل زيادة في رفع ذكرك
لكنه حق أوفيه عوانك بعد بكرك

كَمْ نَعْمَةٍ لَكَ مَلَأَ فَكَّرِي لَا تَلَاظَهَا بِفَكْرِكَ
(أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةِ لَاهِيَا وَذَلِكَ رِزْءٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنْ صَبْرِي يَا أَمِيمُ جَمِيلُ
وَبَعْدَهُ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلَا صَفَاءِ مَالِكٍ وَعَقِيلُ

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ مَعَ الشَّرْحِ قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ :

وَتَجَلَدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمْ أَيْ لَرِيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُضُ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوءَةٌ بِصَفَا الْمَشْرِعِ كُلِّ يَوْمٍ تَقَرُّعُ
وَقَوْلُهُ : وَإِنِّي صَبَرْتُ النَّفْسَ بَعْدَ ابْنِ عَنَسٍ وَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشُّؤْنِ لُجُوجُ
لَأُحْسِبَ جَلْدًا أَوْ لَيْنًا شَامِتٌ وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فُرُوجُ

وَأَجُودُ مَا قَالَهُ مُحَدِّثٌ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ أَنشَدَنَاهُ أَبُو أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ الْمُسَيْبِ

رَوَايَةُ ابْنِ الرُّومِيِّ عَنْ أَبِيهِ الرُّومِيِّ :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَفِيهِ مَذَاهِبُ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ
هَنَّاكَ يَحْقُ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبُ
فَشَدَّ أَمْرُهُ بِالصَّبْرِ كَفَسًا فَانَهُ لَهُ عَصْمَةٌ أَسْبَابُهَا لَا تَقْضِبُ
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمَنْجَى لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ مَكَارُهُ دَهْرٌ لَيْسَ عَنْهُمْ مَهْرَبُ
لِبُوسُ جَمَالِ جُنَّةٍ مِنْ شِمَاتِهِ شَفَاءُ أَسَى يَثْنَى بِهِ وَيُثَوِّبُ
فِيَا عَجَبًا لِلشَّيْءِ هَذَا خِلَالُهُ وَتَارَكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَطِّ أَعْجَبُ
وَقَدْ يَتَظَنَّى النَّاسُ أَنْ أَسَاهُمُ وَصَبْرُهُمْ فِيهِ طَبَاعُ مَرْكَبُ
وَأَنَّهُمَا لَيْسَا كَشَيْءٍ مُصَرَّفٍ بِصَرْفِهِ ذُو نَكْبَةٍ حِينَ يَنْكَبُ
فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَأْسَى أَطَاعَ لَهُ الْأَمْرُ وَإِنْ شَاءَ صَبْرًا جَاءَهُ الصَّبْرُ يَجْلِبُ

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو ، أسلم وعاش إلى زمن عمر.

وليس كما ظنوها بل كلاهما
 يصرفه المختار منها فتارة
 إذا احتج محتجاً على النفس لم يكده
 وساعدها الصبر الجليل فأقبات
 وإن هو منهاها الأباطيل لم تزل
 فنضحي جزوعاً أن أصابت مُصيبة
 فلا يهزرنَّ التارك الصبر نفسه
 لسلل لييب مستطاع^١ مسبب
 يراد فيأتى أو يزاد فيذهب
 على قدر ما يمنى له يمتب
 إليها له طوعاً جنائب تحب
 تقاتل بالغيب القضاء فتغلب
 ونمى هلوغاً إذ تعذر مطلب
 بأن قيل إن الصبر لا يتكسب

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواءَ له
 فاستشف منه بصفح أو معاتبه
 واجعل طاباك بالآوتار ماء عظمت
 ثم قال يمدحه :

وخبرٌ سجيّات الرجال سجيّة^٢
 وما الحقد إلا توأمُ الشكر في الفتى
 فحيث ترى حقداً على ذى إساءة
 ولولا الحقودُ المستكناتُ لم يكن
 توفيك ما تسدى من القرض والقرض
 وبعضُ السجايَا ينتسبنَ إلى بعض
 فتم ترى شكراً على حسنِ القرض
 لينقض وتراً آخرَ الدهرِ ذو نقض

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
 الخير والشر عندي . أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تسكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
 عم أبي يقول : الصبر مشرية تشعراوية^(١) وقال * نفرج أيام الكربة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزعٌ يُجدي على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد . وقلت :

قالوا صبرت وما صبرت جلادةً لكن لقلّة حيلتي أتصبر
وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل السكر كرة حتى يد ميه . ويقولون :
أصبر من عود بجنيبه جلب قد أثر البطان فيه والحقب
قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن إبان بن عيينة بن حصن :
أصبر من ذى ضاغطٍ مُعسّركِ ألقى يوانى صدره للمهركِ
ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من القشف واليبس . وقالوا حيلة من
لا حيلة له الصبر . وسمعت والدى يقول لعن الله الصبر فإن مضرت حاجته ومنفعته
آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة في العاقبة ولعلها تفوتك
لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل إلى نفع . فنظامته
بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تحبه صبرٌ ونفعٌ من لأم في الهوى ضرر
من كان دون المرادِ مُصطبراً فلست دون المرادِ أصطبر
منفعة الصبر غيرُ حاجلة وربما حال دُونها الغير
فقم بنا نلتمس ما ربنا أقام أولم يقم بنا القدر
ان لنا أنفساً تسودنا أمانهن ^(١) الزمان أويذر
وابغ من العيش مأسرٌ به ان عذل الناس فيه أوعذروا
وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها في الحلم ما سمعت عم أبي يقول الحليم
ذليل عزيز وذلك أن صورة الحليم صورة الذليل الذى لا انتصار له واحتمال السفه
والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحليم مطية الجهول لاحتمال
جهله وتركه الانتصاف منه . وقال الأول :

وليس يتم الحلم للمعري راضياً إذا كان عند السخط لا يتحلم
 كما لا يتم الجود للمعري موسراً إذا كان عند العسر لا يتكرم
 ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذي يصبر عليه وقال الشاعر
 ان يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لا أقوام
 وبشتموا فتري الألوان مسفرة لا صفح ذل ولكن صفح أحلام
 وسمعته يقول الحلم عقل الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وإن أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا في هذا المعنى :
 وتخرج نفس المرء عن وقع شتمه وبشتم ألفاً بعدها ثم يصبر
 ولا أعرف في الحلم معنى أحسن من معنى معاوية في قوله اني لأرفع نفسي أن
 يكون ذنب أورثه من حلمي وما غضبي على من أملك أو ما غضبي على من لا أملك .
 يريد اني اذا كنت مائلاً للمذنب فاني قادر على الانتقام منه فلم ألزم نفسي
 الغضب وإن لم أكن أملكه فليس يضرم غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسي
 ولا أضرمه . وقال الشاعر في الحلم والاغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مغض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره
 وأسمع بعضهم الشعبي فقال له ان كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء في هذا الباب وأحسنه . وأجود شيء قيل في الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه على الجرائم
 وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقام
 فأما الذي فوق فأعرف فضله وأتبع فيه الحق والحق لازم
 وأما الذي مثلي فاب زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالعز حاكم
 وأما الذي دوني فاب قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم

قسم هذا الشاعر ثم فاحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ما روى في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن عاصم بابن له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤ لا يعترى خلقي دَسَّ يغيرُهُ ولا أفنُ
من منقر في بيت مكرمة والفرع ينبت فوقه الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيضُ الوجوه مصاقعُ لسن
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطرن
ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة (١) :

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهمُ وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلمًا قال المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الإنسانُ إلا ليعلمها
ومن أشرفِ نعوتِ الإنسان أن يدعى حليماً لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً
وعالماً ومصطبراً محتسباً وعتوًّا وصالحاً ومحتملاً وكاظمًا ، وهذه شرائفُ الاخلاق
وكرائمُ السجاياءُ الخصال . وقد خولف هؤلاء فقل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلم أحياناً من الجهلِ أقبحُ
إذا كان حلمُ المرءِ عونَ عدوه عليه فإنَّ الجهلَ أعفى وأروحُ
وقال غيره :

قليلُ الأذى إلا عن القرن في الوغى كثيرُ الأيادي واسمُ الذرع بالفضل
ويحلم ما لم يجب الحلمُ ذلَّةً ويجهل ما شدت قوى الحلم بالجهل
وقال غيره :

ترفعتُ عن شتمِ العشيقةِ انى رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى
 حلِيمٌ إذا ما الحلمُ كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحلم لم ينفعك فالجهلُ أحزم * وقالوا ليس شئٌ خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لأخ لى لرأيت تغمدته والصفح عنه
 إجلالاً لقدّر مولاه واعظاماً لى صاحبهِ فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .
 وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفعكُ من سعدٍ إلينا قطوعُ الرحمِ بادية^(١) الأديم
 ونغفرها كأن لم يفعلوها وطولُ العفو أدربُ^(٢) للظاوم

أجود ما قيل فى المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابى حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمى قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله فى
 أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها فى أبى مسلم ، أولها :

أبا جعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائم وما سالمٌ عما قليلٍ بسالم
 على الملك الجبارِ يقتحمُ الردى وبصرُعه فى المأزقِ المتلاحم
 كأنك لم تسمع بقتلٍ متوجٍ وعظيمٍ ولم تعلم بهلك الأعاجم
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلام نائم
 وقد ترد الأيام عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائم
 ومروان قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليل الجرائم
 وأصبحت تجرى سادراً فى طريقهم ولا تتقى أشباه تلك العقائم
 تجردت للإسلامِ تعفو رسومه وتعرى مطايا لليوث الضراغم
 فما زلت حتى استنصر الدينُ أهله عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارم

لحى الله قوماً رأسوك عليهم
 أقول لبسام عليه جلالة
 من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
 سراج لعين المستضى وتارة
 إذا بلغ رأى المشورة فاستعن
 ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
 وما خير كف أمسك الغل اختها
 وخل الهوينى للضعيف ولا تسكن
 وحارب إذا لم تعط إلا ظلامة
 هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأذن على الشورى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غيرك أتم
 فإنك لا تستطرد الهيم بالمنى ولا تباغ العليا بغير المسكارم
 وما قارع الأقوام مثل مشيع أريب ولا جلى العمى مثل عالم
 وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجمحي قال سمعت المازني
 يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشار هذه أحب إلى من ميميتي جرير والفرزدق .
 وقيل لبشار ما أحسن أبيانك في المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بشمرته
 أو خطأ يشارك في مكروهه فقليل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد
 التي لا شبیه لها قول عبد الملك بن صالح في ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا تكبر
 على وتصاغت له ودخلتني الدلة فعليك بالاستبداد فإن صاحبه جليل في العيون
 مهيب في الصدور فإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعضع شأنك ورجفت
 بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يغنه
 عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاءه . فذم المشورة كما ترى وهي ممدوحة بكل لسان .
 وقال رومي أفارسي نحن لأنما لك من يشاور فقال الفارسي نحن لأنما لك من

لا يشاور ، وقد أجمع الناس ان الفرس أعقل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت ملأت . ويقولون
الطمع طمع ، والطمع الدنس وأنشد :

لاخير في طمع يدعو إلى طمع وُغفَةٌ من قوام العيش تكفي
والغفَةُ القوت وأصلها الغارة ^(١) وسميت بذلك لأنها قوت لاسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنه ^(٢) :
ألا تئى عميرة أن رأيتى عزفت النفس عما لم ينالا
أحزم كلمة سمعتها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلقى ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلعنك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
ممسكاً ساقاً » أى لا يترك معتمداً إلا اذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أنى أتيج لها حرباء تنضبة ^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً
أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :
ومخرقٌ عنه القميص تخالهُ بين البيوت من الحياء سقياً
حتى إذا رفع اللواء رأيتهُ تحت اللواء على الخنيس زعيماً
أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناق والقمم
إذا غدا المسك يجري في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٣ وأصيب عينه فجعل

عليها قطنه فمرف بها . وفي الأصل (ثابت بن قطنه) .

(٣) في أمثال الميداني « يلت بأشوس من حرباء تنضبة »

وقال غيره :

كريمٌ يغضُّ الطرفَ فضلُ حياتهُ ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوان
وكالسيفِ إن لا يلمتهُ لأن مسهُ وسدَّاهُ إن خاشيتهُ خشان

وقال أبو دهب :

تزرُّ الكلامَ من الحياءِ تخالهُ صمتاً وليس بجسمه سقم
عقمَ النساءُ فلا يلدن شبيههُ إن النساءَ بمثله عقم

غيره : أنى كأتى أرى من لأحياءَ لهُ ولا أمانةً بين الناسِ عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والاختبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الأول :

ومالبُ اللبيبُ بغيرِ حظ بأغنى في المعيشة من فتيل
رأيتُ الحظَّ يسترُ عيبَ قومٍ وهيباتُ الحظوظِ من العقول

والعرب تقول «اسع بجَدِّ أودع» .

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس ممّا في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخطت وسمحت لم تتطاع إلى مال الغير كما أنها إذا ضاقت
وحرصت ناقت إلى ماليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال :

ومننظر سؤالك بأعطايا وأفضل من عطاياك السؤال
إذا لم يأتك المعروف طوعاً فدعه فالتنزه عنه مالٌ

وما أحسب أنى سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إن القناعة خيرُ مال لدى كريمٍ يروحُ بغيرِ مال
وإن تصبر فإنَّ الصبر أولى بمن عثرت به نوب الليالي
تجمل إن هليت بسوءِ حال فإن من التجميل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأي والفظنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا ينتفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضي الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت ما رأيت . وقلت :

أما نك مصروف^١ إلى كل راهب^٢ وسيدك موقوف^٣ على كل راغب^٤
تباشرت الدنيا بجذالك واكتفت فلم تتبأشر بالغيوث الصوائب^٥
تبسم منك الدهر^٦ عن زائن^(١) له وعين عليه في اختلاف الفوائب^٧
بصير^٨ له دون العواقب فكرة^٩ تكشف عن رأى وراء العواقب^{١٠}
ليشكر^{١١}ك مجد^{١٢} لا تزال تحوطه^{١٣} وتحميه بالنصليين عزم وقاضب^{١٤}
كأنى إذا أمسكت^{١٥} منك بعروة^{١٦} أخذت باهداب الغيوم السواكب^{١٧}

وليس في المضاء والعزيمة أجود من قول أبي تمام :

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه^{١٨}
لأمر عليهم ان تتم صدوره^{١٩} وليس عليهم أن تتم عواقبه^{٢٠}
ماخوذ من قول الأول :

غلام وغى تقحمها فأودى وخان بلاد^{٢١}ه الزمن الخؤون^{٢٢}
وكان على الفتى الاقدام فيها وليس عليه ما جنت المنون^{٢٣}
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذي به يُصان رداء الملك من كل جانب^{٢٤}
بأنك لما استخذل الأمر^(٢) واكتسى اهابي سيفي في وجوه التجارب^{٢٥}
تجلته^{٢٦} بالرأى حتى أريت^{٢٧} به ملء عينيه مكان العواقب^{٢٨}
سلت له سيفين رأيا ومنصلا^{٢٩} وكل لنجم في الدجنة ثاقب^{٣٠}
وكنت متى تهزز لخطب تغشه^(٣) ضرائب أمضى من رفاق المضارب^{٣١}
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائم^{٣٢} كانت كالقنا والقنابل^{٣٣}

(١) في هامش النسخة (راقب له) إشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) في الديوان (النصر) . (٣) في الأصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيل في كتمان السر قول الأول :

تلاقت حيازي (١) على قلب حازم
أواخي رجالاتك أطلع بعضهم (٢)
وقال الآخر : سأ كتمه سري وأحفظ سره
علم فينسى أوجهول يذيعه
كتموم لما ضمت عليه أصابعه
على سر بعض ان قلبي واسعه (٣)
ولا غرنى أنى عليه كريم
وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضل قسم الله للمرء عقله
إذا كمل الرحمن المرء عقله
يعيش الفتي بالعقل في الناس انه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتي في الناس صحة عقله
ويزري الفتي (٤) في الناس قلة عقله
فليس من الخيرات شيء يقاربه
فقد كملت أخلاقه وضرائبه
على العقل يجري عليه وتجاربه
فدو الجد في عقل المعيشة غالبه
وان كان محظوراً عليه مكاسبه
وان كرم أعراقه ومناسبه

ونحوه قول الآخر :

ولم أر مثلاً للفقر أوضع للفتى
ولم أر من عدم أضرب على الفتى
إذا طاش بين الناس منعدم (٥) العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه (٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حياذمي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المسال ما قضيت
منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى
ما فيها فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الأحنف ومن قيس بن
عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمية وأشجع من بسطام وأبين من سحبان
وأرمي من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلعلهم لم يستكملوا
عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده
ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن
رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم
قال أبو الصنفدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حمهم دخولها فلما
رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق
ويحرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج فلما طال
مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسد أدبه ، وقال له عبد
الملك ان الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره
عن نفسك فقال أنا حديد حنود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بحذايره وجمعه
بزوره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو
هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بعبث نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل
عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجد رائحته من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدب لا نضاف مال إلى علمي وآدائي
فتمَّ جاهي عند الناس كلهم وطاب عيشي في أهلي وأصحابي
عز السكال فلا يحظى به أحدٌ فكلُّ خليق وإن لم يدْرِ ذوعاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في
نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعرافه يجرى المذكى وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل على رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيته يلبس السكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً لسانه مقبلاً على شأنه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبيد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرج بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمناسبة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتُ عمراً بعضَ ما في جوانحي وجرعتهُ من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدَّ من شكوى إلى ذي حفيظة إذا جمعت أسرارُ نفسي تطامع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :
إذا ضيعت أولَ كلِّ أمرٍ أبتَ اعجازهُ إلا التواءُ
وإن حامتْ أمرك كلَّ وغدٍ^(٢) ضعيف كان أمرُكاً سواءُ
وإن داويتَ دنيا بالتناسي وبالليان أخطأتِ الدواءُ
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتلك لا تستطيعها فخذ طرفاً من غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنالَ جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو غيره
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يغضى حياءً ويغضي من مهابته فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ
جعلهُ مهيباً في السكون والاغضاء ولو جعلهُ مهيباً مع الصولة والبطش لمساكن

(١) في النسخ غير منقوطة ، واللبيس : الثوب قد أكثر لبسه فأخلق بكافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء
هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجواب فما يراجع هيمه والسائلون نواكس الأذقان
هدى التقى وعز سلطان النهى وهو المهيّب وليس ذا سلطان
ومن أحسن تشبيه جاء في الهيمه قولهم (كان على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب
تسكن جوارحه فكان على رأسه طائرًا يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمر في القلب عتاباً له فان بدا أنسيت من هيئته

ومثل هذا في النسب كثير وشبيهه قول الأول :
أهابك إجلالاً وما بك قسرة على ولسكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس أنك عندها قليل ولا أن قل منك نصيبها
لأترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبليغ ولعلك
لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيمه تملأ الصدر . وقال
وتملأ عين الناظر المتوسم . وقال ابن الرومي :

في فتية من ولد المنصور أملأ للعين من الدور
وقال آخر : إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم . وقد أجاد أبو تمام في صفة
الهيمه والخافة فقال :

ثبت المقام يرى القبيلة واحداً ويُسرى فتحسبه القبيل قبيل
وقال :

قد أترعت منه الجوانح هيمه (١)
لو لم يزاحفهم لزاحفهم له
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيش إذا غدوت وحيداً ووحيدي في الجحفل الجراء

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المجد يكثر معشرا
وقال الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي المأمونة :

شدّ الخطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يصلح الساطان إلا هيبه تلقى البرى بفضل جرم المحرم
منعت مهابتك النفوس حديثها بالشئ تكرهه وإن لم تعلم
ونهجت من حزم السياسة منهجاً فهمت مذاهبه الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد :

وأثبت حياً في الحروب محاهم والجيش باسم أبيهم يستهزم
يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
نبيك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمام بالردنية السمر
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيفا والبيجاد بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحررك يلتظي لهبا
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا
فجعلها تستحسن الرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاضلام
فاذا تنبه رعبه وإذا غفنا^(١) سلت عليه سيوفك الاحلام
فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :
قاسيت فيه الهموم والأطما وصرت فيه بين الورى علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمت كان لي حلا

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ «نُصرت بالرُّعب» وما وصف أحد هبة صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحتري في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشم سميدع
يقومون من بُعد إذا أبصروا به لا بلج موقور الجلالة أروع
ويدعون بالاسماء مثني وموحداً إذا حضروا باب الرواق المرفع
وان سار كفّ اللاحظ عن كل منظر سواه وغض الصوت عن كل مسمع
فاست ترى إلا إفاضة شاخص إليه بعين أو مشير بأصبع
وقوله: تراءوك من أقصى السماط فقصروا خطاهم وقد جازوا الستور وهم عجل
ولما قضوا صدر السلام تهافتوا على يد بسام سجيته رسل
إذا أسرعوا في خطبة قطعهم جلاله طلق الوجه جانبه السهل
إذا نكسوا أبصارهم من مهابة ومالوا بلاحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولي وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقوم فوق سروجهم تناثرت الأشراف منهم على الأرض
وقال البحتري :

ومبجل وسط الرجال خفوفهم لقيامه وقيامهم لقعوده
فالله يكلؤه لنا ويحوطه ويعزه ويزيد في تأييده

أبلغ ما جاء في وصف العلم قول علي رضي الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
وشد به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولأعرف في مدح العلم وعدّ خصاله أبلغ من كلامه رضي الله تعالى عنه خاطب به
كميل بن زياد أئبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
ابن الزيداني حدثنا علي بن حكيم الأذري حدثنا الربيع بن عبد الله المدني حدثنا
عبد الله بن حسن عن محمد بن علي عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي
رضي الله تعالى عنه فلما أصحرتنا قال يا كميل إن هذه القلوب أوعية وخيرها أوعاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعا
أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق
يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تسكنسب به الطاعة في
حياتك وجميل الاحدثة بعد وفاتك والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
مات خزان المال والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة هاهنا ههنا لعلماء جاً لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً (١) غير مأمون
يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو منقاداً للحملة الحق
لا بصيرة له في اجفائه فيقدح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، ألا إذا
ولأذا فهمهم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
الدين أقرب شبيهاً بهم الانعام السائمة اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة
إما ظاهر وإما خائف أثلاً تبطل حجة الله وتبينه وكم وأين أولئك الأقلون عدداً
الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها
في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلنوا
ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
أرواحها متعلقة بالخل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
والدعاة الى دينه هاهنا شوقاً الى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت
بسفينتك سبوح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالقرب—حجة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضمته صحف الضمائر » كان

أجود ، وقال غيره :

استودع العلم قرطاساً فضيعه وبئس مستودع العلم القراطيس
وقلت : تقل غناء عن جهول مغمر دفاتر تلقى في الظروف وترفع
تروح وتغدو عنده في مضية وكأن رأينا من نفيس يضيع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف أعي ولم يثن اللسان على هجر
بصرف بالقول اللسان كما اتجى وينظر في إعطافه نظر الصقر
ونحوه : لا خبر في حشر الكلا م إذا اهتديت إلى عيوبه
وأجود ما قيل في إقامة الأعراب وترك التغيير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
وبعجبني زى الفتى وجهاله ويسقط من عيني ساعة يلحن
على أن للأعراب حداً وربما سمعت من الأعراب ما ليس يحسن
ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزين

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الأنباري عن أبيه :

شفاء العي في طول السؤال وعدلك في المقال وفي الفعـال
وبحثك في الأمور عن المعاني وتخرج المقال من المقال
وقولك بالصواب إذا أنارت شواهدك ورفضك للجدال
وصمتك حين تسمع من حكيم ليفهمك الصحيح من المحال

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العملي حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومزيرد الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحث المودة وحاصد يذهب بالضعفين ومُله يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به بالكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبد العزيز التنوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا بباب الأوزاعي وفينا أعرابي من بني عليم بن ضاب لا يتكلم فقبل له بحق ما سميت خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني اسماعيل

ابن عبید الله قال قال جدی : الصمت منام العاقل والنطق يقظانه ولا منام الا بيقظة ولا يقظة الا بمنام . قال أبو هلال : وأنا أقول الصمت يورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدير بالقول كان أطلق له : أخبرني بعض أصحابنا قال ناطقت فتی من بعض أهل القرى فوجدته ذليق اللسان فقلت له من أين لك هذه المداقة قال كنت أعمد كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز على ذلك مدة حتى صرت إلى مآثری . وسعى البيان سحرًا لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول الله ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البيان : حدثنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائني قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زياد عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب أخبرني عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه ليعلم مني أكثر من هذا وإن كنت حسدني . فقال عمرو : أما والله يارسول الله أنه لزم المرءة ضيق العطن أحق الوالد لئيم الخال وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الأخرى رضيت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول الله ﷺ (إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة) وإنما تعجب رسول الله ﷺ من نقضه وإبرامه في حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مرأى وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فيه في كتاب صنعة الكلام .

ومما يدخل في باب ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثني الطيب بن محمد الباهلي قال : موسى بن سعيد بن عن أحمد بن يوسف الكاتب . قال دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال له ما تقول في أخوالي قال هم هامة الشرف وخرطوم الكرم وغرس الجود إن فيهم خلصاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم أنهم لا أطولهم أمماً وأكرمهم

شيئاً وأطعمهم طعماً وأوفاهم ذمماً وأبعدهم همأًهم الخجرة في الحرب والرفد في الجذب
والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسن
فزاد أخواله في الفخر فغضب أبو العباس لأعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى
أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من
بين ناسج برد وسائس قرد ودافع جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملككتهم
امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت
عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع
معانيهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المذهب سنة لكان قليلاً
فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل
المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأي جدد بلغ المزاح
ومثله : صارَ جـدّاً ما فرحت به رُبَّ جدٍّ جرّه لعبٌ

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه
أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن حاصم المنقري بوصى ولده وقومه
وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعابنته وقال
يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق
الكبير . وأكرموا مسلمة بن عبد الملك فإنه نأبكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي
به تستجرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن
يوسف فإنه الذي وطأ لكم المغابر وذل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر
وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن حاصم لبنيه :

بصلاح ذات البين طول بقاءكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يمدد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أسيد
 عزت ولم تكسروا إن هي بددت فالوهن والتكسير لا تبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر مائتان فان كان في نفوسكما شيء من بيمة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئنا قالوا بل رضينا أكل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلنا لما قبلنا ثم رفع طرف فراشه فإذا تحتها سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وأبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا ، ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت يال للناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكك أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكك هلك واحدٍ ولكنه بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فاطممه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التميمي :

إذا سيدنا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسلمة الصبيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في صمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقبل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم الذابغة وقال بعضهم
 الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظنارَ ضغنه
 إذا ستمته وصلَ القرابةِ سامنى
 وأسعى لىكى أبى وبهدمِ مصالحى
 يحاولُ رغبى لا يحاولُ غيرهُ
 فان أنتصر منه أكن مثلَ رائس
 فبادر منى النأى والمرءُ قادرُ
 فان أعف عنه أغض جفناً على القذى
 حفظتُ الذى قد كان بينى وبينه
 فما زلتُ فى نين له وتعطف
 لأستل منه الضغنَ حتى سلانه
 يحلمى عنه وهو ليس له حلمُ
 قطيعتها تلك السفاهة والظلمُ
 وليس الذى بينى كمن شأنه الهدمُ
 وكلوتِ عندى أن ينال له رغمُ
 سهامِ عدوٍ يستهاضُ بها العظمُ
 على سهمه مادام فى كفه السهمُ
 وليس له بالصنم عن ذنبه علمُ
 وهل يستوى حرب الأقراب والسلمُ
 عليه كما تحنو على الولد الأمُ
 وإن كان ذا ضغنٍ يضيق به الحزمُ

فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الآيات فما أحسنها وأرضاها قال معن

ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبيه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى
 فأقبل يحيى بن أكرم فتمت إليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجة فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيل قلت
 ان الله قد أتحنك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأتى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه رفق المستمعين وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) ففعلت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فتذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن من الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماضاءه جحد الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فإذا عجلته هنأته وإذا صغرت عظمته وإذا سترته تمتته إن بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناؤه ونفخه فبهما أتيت من معروف فأنما أتيتك لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفأ وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أنتم » فقالوا نتذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وإن كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك إلى رضوانه وجنته . أما بعد فأنك كنت روضة من رياض الكرم تبتسج النفوس بها وتستريح القلوب إليها وكنا نعفيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وإدخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الإخوان فيها فانتجعتك وأنا بانتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحى من إعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر همته وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبداً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسره	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم	تقدر على سعة لم يظهر الجود

بت النوال ولا يمنعك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بعث اليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ما جاء
في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثل المعلى	وجدت عدوك الترب الذليل
رأيت المطل ميداناً طويلاً	يروض طباعه فيه البخیل
فما هذا المطال فدتك نفسى	وباعك بالندى باع طويل
أظنك حين تقدر لي نوالاً	يقول ليدى لي منه الجزيل
فلا تقدر بقدرك لي نوالاً	ولا قدرى فيحقر ماتنيل
وأطلق ماتهم به عساه	كغافى أيها الرجل النزيل
وإلا فالسلام عليك منى	نبت داره فاسرع بي الرحيل
إذا ضاقت على أمل بلاد	فما سدت على عزيم سبيل

وقال غيره :

وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى
ولكنه خيم الرجال وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤال وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوث بن ذفر بن الحارث السكلابي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظتني فقال قد أمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أماما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيته مؤنة السؤال ؟ قال لا أنى رأيت الذي
أخذت منى بمسألتى إياك بوجهي أكثر مما نالني من عرفك وكرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقوقك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بي لإقبلتها فقبلها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقل له قد أقللت فقال وكيف لا أقل
ومى ذل المسألة وحيرة الطالب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سأل حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحوال :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأنى أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لأنى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :
فأنك لا تدري إذا جاء سائلٌ أننتَ بماتعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجة أن منعه من اليوم سؤلاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بصر ناسبيل الحمد ووقفنا على طرق الدم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونسعمله في حينه ونلحقه بمسئله إذ ذكّر من أحبه فقال (نعم العبدُ إنّه أوّابُ)
ووصف من مقتله فقال (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَعِيمٍ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَنِيمٌ عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ) فدم قوله وفعله وعاب شيمته وخلقه وهتك
بالشتم عرضه وسود بالدم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميم الفعل ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعى إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراقٌ جميلٌ خيرٌ من صُحبةٍ على دَخْنٍ » والدخن والدخل الفساد والمداخل الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ما جاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تُريدنَ كما تجمعينِ وخالدًا وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمد

يقول لأُم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هويها فامتنعت عليه فخرج يوماً يتصيد فيختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ يا شبيهةً أمَّ عمرو إذا طابتنا لا تأمنينا
فعمينك عينها إذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا
وساقك ساقها^(٢) ولأُم عمرو خدجك يضيقُ بها البرينا
ورأسك أزعر ولأُم عمرو غداثُ ينغزرتُ وينثينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أينع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) « تنظرينا » غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل اليها خالد بن ابراهيم ^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركت أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تبعد ^(٢) لاعدى
رعى خالد سرى ليالى نفسه
فلما تراماه الشباب وغيه
لوى رأسه غنى ومال بوده
تعلقه منها دلال ومقلة
وما أنفس الفتيان إلا قرائن
فأجابه خالد :

لا يبعدن الله حليمك اذ غزا
لعلك إما أم عمرو تبدلت
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها
وهذا جواب لا ترى أقطع منه لأنه ذكر أنه إنما جوزى بمثل فعله :
فان البى فينا زعمت ومثلها
لعلك ولكنى أراك تجوزها ^(٦)

- (١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على مافى ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرز من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر معلق ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فمات قبل وصوله بليلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم رجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) فى نسخة «تغش» .
(٣) فى ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) فى الاصل (ويثنى) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل ينحور إلى أمه فتجيبه ، بمعناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أى تعدل عنها . وفى الديوان (تجوزها) .

ألم تنقذها من ابنِ عُويمر وأنت صفيُّ نفسه وسجيرها
فإن يك يشكوك من قريب مخانة ^(١) فتلك الجوازي عتبتها ونصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب :

يُرَى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكينٌ على الخلقِ حاذق
ثم إن وهباً بعث ابنه عمرًا فوهب لها ذات يده فواصلته وكان اعمر وعلانيته
ونخالد سرها فجاء خالد ليلاً وعمره معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فتبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه :

اعمر أبو الطيرِ المربة غدوة على خالدٍ إن قد وقعن على لحم
كليه وربى إن تعودى بمثله عشيةً لاقته المنية بالردم
فأنك لو أبصرت مصرع خالد منعت ^(٢) الستار بين أظلم فالحرم
علمت بأن الباب ليست ؟ ولا البكر لاضمت يداك على غنم
ضروب لها مات الرجال بسيفه إذا التفت الأبطال مجتمع الحرم
ومن قديم العتاب المزوج بالشكوى قول جميل :

لحى الله من لا ينفع الودُّ عنده ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العين نظرة تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على العهدِ خوانٌ لكل أمين
ومن هو عند العين أما لقاءه فحلوه وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب : لو كنت أعلم أنك تعتب إذا عاتبتك سلكت في
ذلك مذهباً لا أبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تمسكيت ولا توقيف
ولسكن شر القول مالا يسمع وليس لقائل فيه منتفع وأشبه البر بالعقوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمن في المودة شافع^١ إذا لم يكن بين الضلوع شفيع^٢
وكتب السرخي : قد واصلت أياماً تباعاً غدو^٣ إليك ورواحا حتى ماني البكور
وسئمتي التهجير وشكائي الطريق ولحائي الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

والأخير في ود^٤ امرئ متكره^٥ عليك ولا في صاحب لا تواقه^٦
وهذا ذره^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمان الصبر فان عطفتك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملني الانسان إلا ملته^٧ ولا فاني شيء^٨ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاء دائم^٩ ولست إذا مال الصديق على حرف^{١٠}
إذا أنال^{١١} أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثات إذا كنى^{١٢}
ومن أطف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتي ولييك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتياً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أنزمت لقلت وليكني
أسامحك ولا أشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى^{١٣}
مقبولة ولولا أن للحجة موقعها لقصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١٤) أتيناكم نعودكم^{١٥} وتذنبون^{١٦} فنأتيكم ونعتذر^{١٧}
ولا نرى كلاماً أطف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضي الوفاء بكثرة اللاحاح فأنقل عليك ولا أقابل الجفاء بترك العتاب فأغثتم

(١) في القاموس : ذره من خبر : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقي العتاب » . وقلت :

أمنعاً إذا جثتكم أستميرُ فكيف إذا جئت أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشري فلامز عندهم منكب
يقرب مثلي إذا ما نأى ويكرم مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا للقلبي وواصل صديقاً ما عتبت

ومما يجري مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيت أزوراراً من أخى ثقة ضاقت على برحب الأرض أوطاني
فإن صددت وجهي كي أكاثره فالعين غضبي وقلبي غير غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم ليالي عودكم حلوا المذاق وفيكم مستعقب
فالآن إذ ظهر العتب منكم ذهب العتاب وليس عنكم مذهب

ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطال فلا خلود حاجة مقضية أو بر ينفع
واعلم باني لأسر بحاجة إلا وفي عري بها مستمتع

ومن جيد المعانيات قول أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملك النأي بفرته^(١) وجوده لرجي^(٢) جوده كذب
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملاً إن السماء ترجى حين تحتجب
مادون بابك لي باب أود به وما وراءك لي مشوى ومطلب

وقوله في أبي سعيد :

لعمرك ليأس غير الميرث خير من الطمع الكاذب
والريب تحصره بالنجاح خير من الأمل الخائب

وقال يعاتب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الأصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « لمراعي » .

سأقطع أرسان العتاب بمنطق
وان أمراً ضمنت يده على امرئ
أخذه من قول مسلم :

وأحببت من حبها الباخلين
إذا سئل عرفاً كسا وجهه
يفار على المال فعل الجواد
وقول أبي تمام :

لا آل وهب أكف كلما اجتديت
قوم تراهم غيارى دون مجدهم
ومنها: دنيا وليكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدم أرى بيهجته

وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقوم استعان بهم فأعانوا خصمه :
تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خيراً ناصراً
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي
قفوا موقف المذمور مني بمنزل
هي النفس إما أن تعيش عزيزة
عماء على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عماء على الدنيا إذا مستحقها
وسأل بعض الرؤساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخل بالقرطاس والخط عن أخ
وكفالك أئدى في العطايا من المزن

(١) في ديوان مسلم المطبوع «ثياباً من الأوم حمراً وسوداً» . (٢) في الديوان «أن يجوداً» .

فلا يكن المبذول للوم ^(١) سميحه وقرطاسه بين الصيانة والحزن
وهي طويلة. وقال جمحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكره والخ للزمل الجليل شكور
لسكن رأيت بيباب دارك جفوة فيها لصفو صنيعة تكدير
مابال دارك حين تدخل جنة وبياب دارك منكرو ونكير
غيره : ^(٢) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
إذا لم أجد يوماً إلى الأذن سلماً وجدت إلى ترك الحجب سبيلاً
وقول أبى تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأول :
وإني لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحاملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاتبة ابن أبى دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت العلام معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً ^(٣) وقرّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليلة تجلى لنا من راحتك نهـارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول غارها
فلا تمكن المطل من ذمة الندى فبئس أخوالاً يدي الكبار ^(٤) وجارها
فان الأيادي الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قدبات بالأمس صادقاً ^(٥) إذا ماسمأ اليوم طال انهارها
وخير عدات المرء ^(٦) محتضرائها كما أن خيرات الأيالي قصارها
وما العرف ^(٧) بالتسويق الا كخلة تسليت عنها حين شطّ مزارها

(١) (الزوم) ساقطة من الأصل فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

(٢) نسبوا ابن خلصكان لأبى العيشل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (الاقاء)

في موضع (الحجب) . (٣) في ديوان أبى تمام « جاشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارباً » .

(٦) في ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً لملك بن طوق وقد حججه :
 قل لابن طوق رحاسم إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحفها حلهماً وكيسها علماً ودغفلها
 مالي أرى الحجرة الفيحاء ^(١) مقفلة عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عمل زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته .

وكتب الصاحب أبو القاسم ^(٢) إلى بعضهم بعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبه
 يطير من يدي خلفته ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 ونجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تمل صديقاً صدوقاً وشقيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجو نظاماً ولا عندي أنك تقل وبحر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقلت فتسأمني كما
 سئمت حادثك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالعي بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت طابت الصديق ولم يكن يودك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد سوامه وغربها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخطط الماء الزلال بآجن من الماء تخبث ما تطيب مشربه
 وكتبت جواباً عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من ذنوب الخطاب ووضع الدماء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصاحب بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدعاء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تردد فقيرا وأنا في درجتي لم أنقص قطعا فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عيبك مالا يتصور لديك
 وكفناك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختار لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاد أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدرأ ولا الشبل ليثاً ولا الغصن
 ساقاً ولا القطوف معتاقاً . والعرب تسمى الكبريتيها وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولولم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلي بقبح سمته
 ورسمه لكان العاقل حقيقاً بتركه وخليقاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذي يضرك ولا ينفعك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الإخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

مأبال من أوله نطفة^{هـ} وآخره جيفة^{هـ} يفخر^{هـ}

ولبعض بني هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولرب مولى لا يغض^{هـ} جراحه^{هـ} طول العتاب ولا عناء العدل^{هـ}
 يطغى عليك وانت تلام^{هـ} شعبه^{هـ} والسيف يأخذ من بنان الصيقل^{هـ}
 ضاق الزمان فضاق^{هـ} فيه تقلى^{هـ} والماء يجمع نفسه في الجدول^{هـ}

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازل^{هـ} محله^{هـ} ؟ فنزلكم للحمد والشكر منزل^{هـ}
 رأى الناس فوق المجد مقدار^{هـ} مجدكم فقد يسألوك فوق ما كان يسأل^{هـ}
 وقصر عن مسعاكم كل^{هـ} آخر^{هـ} وما فاتكم ممن تقدم أول^{هـ}

بلغتُ الذي قد كنتُ أملة لكم
ومالٍ حقٍّ واجبٌ غير أني
قلتُ أنتم أنعمتم وبررتم
وان كنتم أوليتموني تفضلاً
وكم ملحفٍ قد نال منكم رغبة
وعودتموني قبل أن أسأل الغنى
وقال ابن الرومي :

من الخيفِ تحسيس^(١) النوال ومطله
وكن نخلة تلوى وتسنى عطاءها
وقال : ياشبيه البدر في الحسن
جده فقد تنفجر الصخرة
فمجل خسيساً أوفاجبل موفراً
وإلا فكن عفتاً أقل وبسراً
وفي بعد المثال
بالماء الزلال

وله في المعانيات مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمت وزارته
ان كنت أحسنت في وصف ما أكرم
وإن أكن قلت مالا أستحق به^(٢)
ان المديح إذا ماسار منفرداً
فقد بعز بليغ في بلاغته
أسهمت فيكم لسي أهل فطاطني
ان السلايم لا تبنى أطاولها
لكن ليصعد انجاداً تشرقه
وقد هبطت بما شيدته لكم
لا تجمعن على العار والنار
فأثروا في بالاحسان آثارا
منكم ثواباً فردوه وماسارا
من الثواب كسي من قاله عارا
وقد بظن سوى المختار مختارا
تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
يوماً ليهبط بانين اغوارا
حتى يمد اليها^(٣) الناس أبصارا
من حالي وعل الله قد خارا

(١) في الأصل « تطفيف » وفي ديوان ابن الرومي « تحسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١)
 ثقلت في كفة الميزان فانكدرت
 صبراً فكم ناهض من بعد وقته
 لابن سمير^(٢) صروف غير غافلة
 وقال : وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى
 وما جاء مدح مثل مدح فيكم
 ومالى لا أنفك أنى مسنداً
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله
 وقلت : قد كنت تولى الحسنى وتكرمنى
 فما بدا لك في جود ومكرمة
 ارجع الى الحالة الأولى فاب لنا
 وحسن أحذونة لو كنت تبصرها
 أركب من المسك في أصداع غانية
 وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فنها :
 سيدشهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعرك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يززعزع لعلع
 وقد طرف البحرى في قوله يستبطن محمد بن العباس السكلاي :
 المئة الدينار منسية في عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفى

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته) . (٢) في الديوان (القوم) .

(٣) ابن سمير : الليل والنهار لأنه يسمرفيهما أى يتحدث — كما في جنى الجنتين .

ان كنت لا تنوى نجاحاً لها فكيف لا تجعلها ألفاً
وقوله : عمرت أباسحق مصاح العمر
فأنت ندى نحيبا به حيث لا ندى
على أننى بعد الرضا متمسخط
وقد أوحشتنى ردة لم أكن بها
فلم جئت طوع الشوق من بعد غايى
وما باله يأبى دخولى وقد رأى
ومن جيد ما قيل فى حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عوفى على المرء تقاضيته بترك التقاضى
وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم متى تقاضيا
وفى خلاف ذلك قول بعضهم : ثقى بكرمك تمنع من اقتضاءك وعلمي بشغلك
يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :
أنت أمضى من أن تحرك للمجد ولكن شراة الشعراء
وفى خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نحوكم فى حوائجى فأصبح منها غدوة كالذى أمسى
وقد كنت أرجو للصدى شفاعتى فقد صرت أروى أن أشفع فى نفسى
وقول الآخر : ألموت خير من حياة زهيدة وأمنع خير من عطاء مكدر
ومن ملبح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وامسا كي ليس
باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وامسا كي ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى
الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطبيين وطمع فى من لا يدفع عن نفسه
فإن كنت مأكولاً فكأن خير آكل وإلا فأدركنى ولما أمرق
ومما جاء فى ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعى القلى وسبب

الساوان وباعث الهجران . وقال بعضهم : العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن الحاجة والحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيعة . وقال بعضهم : سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحمة . وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة . وقال آخر : حرك اخوانك ببعض العتاب لئلا
يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الخاحك . وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى . وكتبت في فصل لى : العتاب مقدمة القطيعة وطلبة
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبائك وانتقل عنه قبل
أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بداً فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب مملول فكيف من المسكروه والاقتصاد فى
المحمود ممدوح فكيف من المذموم . وقال ابن الرومي :

أرَّفه ما أرَّفه فى التقاضى	وليس لديك غير المظل نقد
خلاً وعد مددت إليه كفى ^(١)	فأعرض دونه مظل يمد
إذا إنجاز وعدك كان وعداً	فيكفينى من الوعدين وعد
وقال : سألت قفيزين من حنطة	فجئت بكر من المنع واف
وأنبعت منك لى بالحجاب	مهلاً مهديت فى المنع كاف
كأنى سألتك حب القلوب	ذاك الذى من وراء الشغاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول :	
وكن عند ما نرجوه منك فانتا	جميعاً لما أوليت من حسن أهل
ولا تعتذر بالشغل عنا فأنما	تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) فى ديوان ابن الرومي المخطوط « مددت إليه عيني » .

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قبل فيهم شعر ودوا أنهم افتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمير النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إني لأبأس العمامة الصفيقة فيخيل لي أن شعر قفاي قد بدا منها ، وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

هممنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا افتدينا به بأمالنا كما ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما رمح بني نمير طير الصدور ولا قصار ؟

فو الله ما يسرنا به حمير النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :
والتغلي إذا تنحنح للقرى حكت استه وتمثل الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر باتباعه قاتلي أبيه وجده حتى

قتلهم ما وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ تصحيف صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طعن أحد في استه لم يحكها .

وأخبرنا أبو القاسم عن العدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة ببني
نمير فتغامزوا إليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُلُوا مِنْ آبِائِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فغض الطرف إنك من نمير * فخرجوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :
ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبد القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجوم لمن يرى
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعمش :

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خائصا
وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة
تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمري ولم يمت - وعنه عامر بن
مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا
عفيف وأنت عاهر وأنا وفى وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربعة .
فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا إليه ومع كل واحد منهما ثلثة من
الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يمطيها الحاك ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم
ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بعلقمة وقال له : أترجو
أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أئدى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً
لسان رمح عامر أذكرك في العرب من الأحوص وعنه ملاعب الأسنة وأمه كبشة
بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحياء وأمك من

الذمخ وكانت أمه مهيبة وأم ثلاثة^(١) من الذمخ ، ثم خلا به امر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بن عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عافر مشؤوم أما كذلك رأى يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصر لك عليه . فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال أنتما كر كبتى البعير فرجما
راضين . والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتما كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضراً . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت ؟ فقال اعفنى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحكم . فارتحوا عن هرم لما أعيانهم نحو
عكاظ فالتقيهم الأعشى منحدراً من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى حبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقبل له كيف تجيره من أهل
السماء ؟ قال ان مات وديته فقال الأعشى لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعشى ورفع عقيرته في الناس فقال :

أبلج مثل القمر الزاهر	حكمتوه ففضى بينكم
ولا يبالي غبن ^(٢) الخاسر	لا يأخذ الرشوة في حكمه
الناقض الاوتار والوتر	علقم ما أنت ^(٣) الى عامر
ثار عجاج الكمه الثائر	واللامس الخيل بخيل إذا
وكبراً سادوك عن كابر	ساد وأنى رهطه سادة

وشد القوم على الابل المائة فمقروها وقالوا عامر وذهبت به الغوغاء وجهد
علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعشى فقال الأعشى :
أتانى وعيد الحوص من آل جعفر فيا عبد عمر ولونيت الأحوصا

(١) بياض في الأصل ، وذكر القصة صاحب الأغاني بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»
ساقطة من الأصل فاستدر كنها من بلوغ الأرب . (٣) في الأصل «لالت» .

فما ذنبنا أن جاشَ ببحر ابن عمكم
كلا أبويكم كنَ فرع دعامتي
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
يراقبن من جوع خلال مخافة
رمى بك في أخراهم تركك الندى
فعضَّ حدَّ يد الأرض أن كنت ساخطاً
فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكأوه زيادة عليه في العار ، والعرب تعبر
بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكي علينا ولا نبكي على أحدٍ
وقال جرير :

بكي دوالٌ لا يرفأ الله دمعهُ
وكان الخطيئة مع علقمة وليد مع عامر
ياعام قد كنت ذاباع ومكرمة
لأنَّ مسعاة من جاريته أمم
جارت قرماً^(٢) أجاد الأحوصان به
لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه^(٣)
وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما^(٤)
ألا إنما يبكي من الذلِّ دوال
ضخم الدسيعة في عرينه شمم
ولا يبيت على مال له قسم
بدا واضح ذو غرة وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجحى (وكان الخطيئة مع علقمة بن علاثة
حين نافر عامر بن النطفيل) . (٢) وفي رواية (جارت فرعا) وفي ديوان الخطيئة :
جارت قرماً أجاد الأحوصان به جزل المواهب في عرينه شمم
والأحوصان : الأحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
وعمر بن الأحوص ، كما في جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .

(٣) في طبقات الجحى وديوان الخطيئة (إلا ريث يركبه) .

(٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الخطيئة .

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى « عاقم لالنت الى عامر » فر على ألسنتهم وسقط شعر الخطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمى قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتف المصفور طار فؤاده وليت حديد الناب عند الثرائد ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حداً من حدود الله تعالى فقال يا بني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا لله جاء ^(٣) فان لاشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملأ بطونكم وجاراتكم غرثي يبتن خائفا

ولي الدنيا بخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعتريهم ^(٥) وعند المقلين الساحة والبذل

هكذا رواه لنا والبيت زهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الخطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا تر حل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إياس ويحيى
ابن زياد وحامد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

(١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصحيحناه

من الامالي والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)

(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الأغاني « رزق من يعتريهم » .

(٦) في الأصل غير منقوطة .

أُنتم قرارة كل معدن سوداء ولكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمأنت كذلك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قاتله العرب قول الأخطل لجريز :

ما زال فينا رباط الخيل معانة وفي كليب رباط اللؤم والفسار
قوم إذا استنبح الأضياف كابهم قالوا لأهمهم بولى على النار
قالت بنو تميم ما هجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أهمهم خادمتهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيوها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قتلها كانت تطفئها بيوها .
وقالت بنو مشاجع ما هجينا بشعر أشد علينا من قول جريز :

وبرحر حان غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور
وقالت بنو كليب ما هجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

ألت كليباً إذا سيم سوءة أقر كقرار الحليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قاتله العرب قول الطرماح :

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا ولو سلكت سبل المسكارم ضلت
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجريز أو لمن في طبقة لحكم على جميع

ما في معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجهن :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوأت
ولو جمعت يوماً تميم جوعاً على ذرة معقولة لاستقلت
ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت
ولو أن برغوثاً يرفق مسكداً إذا نهلت منه تميم وعلت
وأبلغ ما قيل في الخمول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه^٢ بنو أسد
 قوم^٣ أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة^٤ الود^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يفتح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها
 وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :
 ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن^٥ مثقالا
 وقيل أهجى ما قاله العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
 قوم^٦ إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
 وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراء^٧ عن كل منهل
 فاستمدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :
 إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فمادى بني العجلان رهط^٨ ابن مقبل
 فقال عمر إن كان مظلوماً استجب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
 فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :
 ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراء^٩ عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حر جانيهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب
 « النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضي الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للسكك - يعنى الازدحام ، قالوا وقد قال :
 تعاف السكك الضاريات لحومهم ويا كن من عوف وكعب ونهشل
 قال أحياء^(١) القوم قتلاهم ولم يضيئهم ، قالوا وقد قال :
 وما سمي العجلان إلا لقيهم أخذ القعب واحلب أيها العبد والعجل
 فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجاهم وإن
 سلح عليهم قهدهد النجاشي وقال إن عدت قطعت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى المساء بابلهم ومثل قوله :
 * تعاف السكك الضاريات لحومهم * قول البحترى :
 ورددت العتاب عليك حتى سئمت وآخر الود العتاب
 وهان عليك سخطى حين تغدو بعرض ليس يأكله السكك
 ومن التناهى فى الاحتقار والجول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 قوم من الحسب الزاكي بمنزلة كالفقع بالقاع لا أصل ولا ورق
 إن الأشاقر قد حلوا بمنزلة لو يرهبون بعمل عندنا علقوا
 لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولو تبول عليهم فارة غرقوا
 وقول الآخر * لو بجلوا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، استغفر الله من قوله :

بكاد من رقة ولؤم يخفى على البارئ القديم
 وقول أبي الهيثم :

يا جعفر بن القاسم بن محمد مالى أراك عن الندى معزولا
 إني أقول مقالة تجرى بها لو كنت من كرم لكنت قليلا
 وقول أبي تمام :

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) فى الأصل «أحياة» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزياد الأعجم ،

ونحوه قوله: هب من له شيء يريد حجابهُ ما بال لا شيء عليه حجاب
وقال : وأنت أنزر من لا شيء في العدد

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشرار قول الأول :

فلو أنى بليتُ بهاشي حوْلتهُ بنو عبد الداني

صبرتُ على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكا رجل إلى أبي العيْناء رجلاً فقال فلك دخل في العدد وخرج من العدد ،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى نزهة وفينا زياد أبو صمصمة

فسته رھط به خمسة وخمسة رھط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر إليهم ولا تعجبك كثرتهم فانما الناس قلوا زادوا

ولا يهولنك من دهمائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعدادُ

عجبت من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهادُ

ومن التناهي في صفة الخمول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثَمالة كلِّ حيِّ فقال القائلون ومن ثَماله

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أمويس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهولُ

أما الهجاء فدقَّ عرضك دونه والمدحُ عنك كما علمت جليلُ

فأذهب فأنت طليقُ عرضك إنه عرضُ عززت به وأنت ذليلُ

فجمله دون الهجاء والهجاء فوقه فلا يهجي لضعفه وقاته .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن العباس قوله :

(١) وفي نسخة « إهان على ما ألقى ولكن » .

ولكنْ وقالْ معرَّاتِها تضاؤلْ قدرِكَ في الخطا طر
وقال غيره :

إني هيجوتُ بكلِّ لفظٍ مَقْدَعٍ زيداَ وكان له الهجاءُ مديحا
وقلت : يا أبا القاسم هل أبصرت شبيهاً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك أو لؤمك أو شحك
إن من شبيهك السكاب فقد بالغَ في مدحك
وقلت : أهنت هيجائي يا ابن عروة فاتتحي على ملامُ الناس في البعدِ والقرب
وقالوا أتتهجو مثله في سُتُوطة فقلت لهم جريتُ سيفي على كلبِ
وقال ابن الرومي :

خسأت كلباً مربِّي مرَّةً فقال مهلاً يا أخا خالد
حسبكمُ خزياً بنى آدم شركتكم إياه في الوالد
ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لسكك ^(١) لنفسه :

وعصبة لما توسَّطتهم صارت ^(٢) على الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحكُ إبليسُ سروراً بهم لأنهم عارٌ على آدم
وقلت : قلتُ للسكاب حين مرَّ بي أخسأ فكاؤني كويتُ قلبك كيا
أترى انفي أَعْدُك كلباً أنتَ عندي إذا نبحتَ الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والخول قول زياد الأعجم :

إذا ماتني الله امرؤٌ وأطاعه فليسَ به بأسٌ وإن كان من جرم
ولو جمعتُ جرمٌ على رأسِ نملةٍ لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم
ومن بليغ ماجاء في الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوى فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذى الرمة :

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها صلاب^١ على طول الهوان جلودها
وما انتظرت غيابها^(١) لئلا^(٢) في حل أمر شهودها
إذا امرئيات^٣ حلان^(٣) ببلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمرك ما تبلى سراويل عامر^٤
وقال أبو سعيد الخزومي :

يأثابت بن أبي سعيد إنها دول^٥ وأحراها بأث^٥ تنقلا
هلا جعلت لنا كحرمة دعبيل في است^٦ أم^٦ كلب لا تساوى دعبلا
وقالوا أهجى بيت قاله محمد بن حنبل في بشار :

نسبت إلى برد^٧ وأنت لغيره فبهك لبرد نلت أمك^(٧) من برد
وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد عجرد
* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تهياً لحامد في هجائي في هذا البيت
خمس معان أوردها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسرى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل
ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :
الناس كلهم يسعى لحاجته ما بين ذى فرح منها ومهموم
ومالك ظل مشغولاً بنسبته يرم منها خراباً غير مرموم
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوق إلى عمرو بن كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (المظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كنهاها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد) .

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي ^(١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقبيل الأمر مصنوع
إن الجديد إذا ما زيد في خلق تبين الناس أن الثوب مرقوع
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يقدروا أو يبخلوا لم يخبوا
وغدوا عليك مرّجاء ن كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاحوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف إن تلقى لهم شهباً إلا التيوس على أقبائها الشعر
ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمر
كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ربح الكلاب إذا مامسها المطر ^(٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ربح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتميم حسن . وقالوا قول جرير * ننتفت شواربهم على الأبواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالك
وإن أحق الناس أن لا تلومهم على اللوم من ألفي أباه كذلك

ومن الإفراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قفل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمر استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النبوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة إلى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي : وهو ابراهيم بن اسماعيل بن بسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) قى ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللؤم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت اسار
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الافراط في الهجاء قول الآخر :
لو اطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَلَّ اللهُ ذا المنِّ من فضله ولا تسألنَّ أبا وائله
فما سألَ اللهُ عبده له نجابَ ولو كانَ من باهله
وقال الآخر : ولو قيل للكلبِ يا باهلي لا أعولَ من قبج هذا النسبِ
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات مشهورة أوردتها لأنني لست أجدها مثلاً في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنتَ بالزاهد
وايسَ عدوك بالمتقى وليس صديقك بالحامد
أتيتُ بك السوقَ سوقَ الرقيقِ فناديتُ هل فيك من زائد
على رجلٍ غادرٍ بالصديقِ كفورٍ لنعمائه جاحد
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهم واحد
سوى رجلٍ حارٍ منه الشقا وحانتُ به دعوةُ الوالد
فبعثتُ منه بلا شاهد مخافةً أدرك بالشاهد
وأبتُ الى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقد
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل «بنو كليب» والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يَقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وَلَيْسَ بِيَاقٍ وَلَا خَالِدٍ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ نَفْسٌ مِنْ مَنْخَرٍ وَاحِدٍ
رَضِيَتْ لَتَشْتَمِتَ (١) أُمُورُهُ يَدِي وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
أن فلاناً كان يقرر (٢) إحدى عينيه ويقول إن النظر بهما في زمن واحد من السرف .
ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنِّي بَشٌّ طَاهِرًا فَجَاءَ سَالُوِيٌّ فَبَالَ عَلَى رَجُلِي
فَقُلْتُ أَقْطَعُوهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ فَأَنَّى كَرِيمٌ غَيْرَ مَدْخِلِهَا رَحْلِي
وَقُلْتُ : وَقَفْتُ لَدَيْكُمْ لِلسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَقَوِي عَلَى أَطْلَالِ سَلَمِي وَطَاتِكِ
يُرُومُكَ تَسْلِيمُ الْعَفَاةِ كَأَنَّهُ يُوَادِرُ طَعْنٍ فِي الضَّلُوعِ مُوَأَشِكِ
وَمَا فِيكُمْ حَرٌّ يَكْرُمُ ضَيْفُهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا سَاءَ أَكْرَمُ نَائِلُهُ
وَإِنْ كُنْتُمْ نَاسًا وَمَا أَنْتُمْ بِهِ فَإِنَّ الْقُرُودَ وَالْكَلابَ مَلَائِكُهُ
وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت إليه . وقال بعضهم :

سَمِعْتُ الْمَدِيحَ أَنَسًا دُونَ مَا لَهْمُ رَدَّ قَبِيحٍ وَقَوْلَ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ رَجُلٌ الْبِعُوضَةَ مِنْ فِخَّارَةِ الْإِبْنِ
وهذا كما تراه أبلغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ما تعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعبل :

أَتَقْفَلُ مَطْبَخًا لَا شَيْءَ فِيهِ مِنْ الدُّنْيَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَكْلُ
فَهَذَا الْمَطْبَخُ اسْتَوْثَقَ مِنْهُ فَمَا بِالْكَنِيفِ عَلَيْهِ قَفْلُ
وَلَكِنْ قَدْ بَخَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَخَتِي السَّلَاحَ مِنْكَ عَلَيْكَ بِخَلُ
وَأَنْشَدْنَا : وَإِنَّ لَهُ اطْبَاخًا وَخَبْرًا وَأَنْوَاعَ الْغَوَاكِهِ وَالشَّرَابِ
وَلَكِنْ دُونَهُ حَبْسٌ وَضَرْبٌ وَأَبْوَابٌ تَطَابِقُ دُونَ بَابِ

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقرر » .

يُدودون الذُّبابَ يَمُرُّ عَنْهُ
وقال الخليل بن أحمد :
لا تعجبَنَّ لخير زلٍّ عن يَدِهِ (١)
وقال أبو تمام :
صَدَّقَ أَلَيْتَهُ (٢) ان قال مجتهداً
واب همت به فافتك بخبرته
قد كان يعجبني لو أن غيرة
وقال آخر : يَزْدَادُ لَوْ مَا عَلَى الْمَدِيحِ كَمَا
وقلت : خَبِرْتُ الْأَمِيرَ عَشِيَّةً
وَإِذَا بَدَأَ الْجَلِيسَ
وَتَحَوُّطُهُ أَحْرَأْسَهُ
فَالزُّورُ يُصْفَعُ عَنْدهُ
وقال آخر : قَتَى لِرَغِيْفِهِ فِرْطٌ وَشَغَفٌ
إِذَا كَسَرَ الرِّغِيْفَ بَكَى عَلَيْهِ
وَدَوْدٌ رَغِيْفُهُ قَلْعُ الثَّنَائَا
وقال آخر : إِنَّ هَذَا الْقَتَى يَصُونُ رَغِيْفًا
هُوَ فِي سَفَرَتَيْنِ مِنْ أَدَمِ الطَّا
مُخْتَمَتٌ كُلُّ سَلَّةٍ بِرِصَاصٍ
فِي جَرَابٍ فِي جَوْفِ نَابُوتٍ مُوسَى
وقلت : لَنَا سَيِّدٌ وَاحِدٌ مَا جَدُّهُ
لَثِيْمٌ إِذَا جَاءَهُ طَارِقٌ

كأَمْثَالِ الْمَلَأْسِكَةِ الْغَضَابِ
فَالْمَكْرُوبُ النَّمْحَسُ يَسْقِي الْأَرْضَ أَحْيَانًا
« لا والرغيف » فذاك البر من قسمه
فإن موقعها من لحمه ودمه
على جرادة كانت على حرمة
يَزْدَادُ نَتْنُ الْكَلَابِ بِالْمَطَرِ
يَغْدُو عَلَيْهِ يُبَالِغُهُ
أَفْضَى إِلَيْهِ يَمَاتِبُهُ
وَتَذُبُّ عَنْهُ كَتَائِبُهُ
وَالضَّيْفُ يَنْتَفِ شَارِبُهُ
وَإِكْلِيلَانِ مِنْ دُرٍّ وَشَذَرِ
بَكَاءِ الْخَنَسَاءِ إِذَا فُجِعَتْ بِصَخْرِ
وَحَرْبٍ مِثْلَ وَقْعَةِ يَوْمِ بَدْرٍ
مَا إِلَيْهِ لَا كَلِّ (٣) مِنْ سَبِيلِ
نُفٍ فِي سَلَتَيْنِ فِي مَنَدِيلِ
وَسَيُورٍ قَدَدَنْ مِنْ جِلْدِ فِيلِ
وَالْمَقَاتِيحُ عِنْدَ مِيكَائِيلِ
يَقْتُلُ فِي الْجُودِ آبَاءَهُ
فَقَدْ جَاءَهُ كُلُّ مَا سَاءَهُ

(١) في الأصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في العقد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صحيحناد من العقد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزِهِ إذا كان يَمْنَعُهُمْ ماءَهُ
فما وانع الكلبُ في لؤمِهِ لما زال يقذفُ أمعاءَهُ

وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الرُّوثَ في أعماجِ بخلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافيرِ
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا وأقاعت إقلاع الجهام بلا وبيل
وأجرت لي حبلاً طويلاً تبعته ولم أدرك أن اليأسَ في طرف الحبلِ
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدورَ الناسِ سوداً من الصلَى^(١) وقدر الرِّقَاشينَ زهراء كالبدرِ
يُبَيْسُهَا لِلْمَعْتَفَى ثلاثاً كمنقطِ الثاءِ من نقطِ الخبرِ
إذا ماتنادوا للرَّحِيلِ سعى بها أمامهمُ الحولى من ولدِ الذرِ
ولو جئتُها ملأى عبيطاً^(٢) مجزراً لأخرجت ما فيها على طرفِ الظفرِ
غيره : يحصنُ زاده عن كلِّ ضررٍ ويعمل ضرره في كلِّ زاد
ولا يروى من الآدابِ^(٣) شيئاً سوى بيتٍ لأبرهةَ الأيادي
قليلُ المالِ تُصلحهُ فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفسادِ
وقلت في مثله :

يطعمُ دُونَ الشَّبعِ أولادَهُ ويحتتمُ البرمةَ والجفنه
لم يروِ إلا خسباً واحداً قد تذهبُ البطنةُ بالبطنة
وقال آخر : ظلمتكَ اذ سألته ماءَ كرم وماءُ الكرمِ للرجلِ الكريمِ
وقلت : لك برمةٌ تزهرها من أن تدنسَ بالدَّسمِ
بيضاءُ يُشرقُ نورُها كالبدْرِ في غسقِ الظلمِ

(١) الصلَى بالكسر : النار . (٢) لحم عبيط : أى صحيح طرى . (٣) في رواية «الاشعار»

لو كنت عرضك مثلها كنت الممدح في الأسم
أو كان فملك مثل قو لك كنت تاريخ الكرم
ومن أبخل بيت قيل :

وما رَوَّحْتَنَا لندب عذا ولكن خفت مرزئة الذباب
وقال أبو نواس يصف قدراً :

يفضُّ بحلقوم الجرادة صدرها وينضح مافيهَا بعود خلال
وتغلي بذكري النار من غير حرها وتنزلها عفواً بفسير جمال^(١)
هي القدرُ قدرُ الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامي عام كل هزال
وقال ابن الرومي :

رأى البخل طباً فهو يحمي ويحتمي فلست ترى في بيته غير جائع
ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمر المالُ البخيلَ وجدتهُ يزيد به يديساً وان ظنَّ^(٢) يرطب
وليس عجيباً ذاك منه فأنه إذا غمر الماء الحجارة تصلب
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند : وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :
رغيفك في الحجاب عليه قفل وحراس وأبواب منه
رأوا في بيته يوماً رغيفاً فقال اضيفه هذا ودبعه
وأنشدنا عنه :

له حاجب كونه حاجب وحاجب حاجبه محتجب
وقال أبو تمام :

لا تسكلفن أرض وجهك صخرة في غير منفعة مؤونة حاجب

(١) في الأصل « جمال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :

الجمال بالكسر : خرقعة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يديساً وان

ظن) فاستدركنها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر : لا تتخذُ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا : أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر : احتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخجلون بحجابهم

وقال آخر وأحسن :

وصاحبٌ أسرفت في مدحه
 حجابهُ الزمـني منزلي

وقلت في معناه :

مدحت فلم تصدق ولم تك مُدنيا
 وما الجهلُ إلا أن تقرَّظَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد :

لا خيرَ في صاعدٍ فأذكره
 ليس له ما خلا اسمه نسب

ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي :

لك وجهٌ كأخر الصكِّ فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشبهاتٍ
 وقلت : إن كانَ شكلك غير متفق
 من عصبية شقي إذا اجتمعوا
 صورت من نطفٍ قد اختلفت
 فورئت من ذا قبح منظره
 غيرتني أن رحت في قمل
 لحاتٌ كثيرة من رجال
 معلمات أن لست بآبن حلال
 فكذا خلالك غير مؤتلفه
 شبهت داركم به عرفه
 فأتت خلالك وهي مختلفة
 وورثت ذلك خناه^(١) أو صلفه
 والدُّرُّ لا ترضى به الصدفة

وأجود ما قيل في عظام الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حصان :
 * جسم البغال وأحلام العصافير * وقال ابن الرومي :
 طولٌ وعَرَضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسنُ إلا وهو مصلوبٌ
 وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشيم الشريفة
 فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
 وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لذكك لنفسه :
 إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغضٌ أبي إسحقَ والموت
 ويدعى العلمَ على أنه قد طارَ بالجهلِ له الصوتُ
 لا يلتقي والعلمُ في مجلس أو يلتقى الإدراكُ والفوتُ
 وكتب ابن العميد :

وليت شعري بأي حلى تصديت له وأنت لو أوجت ^(١) بالثريا وتمنطقت
 بالجوزاء وتوشحت بالحجرة وتقلدت قلادة الفسكة ما كنت إلا عطالاً لو توضحت
 بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
 ثوباً وخضت أوصاح النهار خوضاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :
 وثقيل أشدَّ من غصص الموتي ومن زفرة العذابِ الأليم
 لو عصت ربَّها الجحيمُ لما كان نِ سواه عقوبةً للجحيمِ
 وأبداع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :
 ربما يشغلُ الجليسُ وإن كان نَ خفيفاً في كفةِ الميزان
 ولقد قلت حين طلَّ على القومِ ^(٢) م ثقيلٌ أُرَبِّي على نهلان

(١) في الأصل «توجهت» . (٢) في الأصل «ولقد قلت حين في الأرض» وفي
 العقد الفرید «ولقد قلت إذ أظل على القوم» . وفيه «أباعمران» بدل «أباسفیان»

كيف لم تحمل الأمانة أرض^١ حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال :

أنت فضل^٢ وفضلة^٣ الشيء لغو^٤ ثم أردفت ذلة^٥ التصغير
محقر الفضل^٦ ثم صغر^٧ت عنه^٨ زادك الله يا صغير الخبير
ثم عرجت^٩ فاحتواك انتفاص^{١٠} في اسم سوء وجسم سوء ضرير
ثم بردت^{١١} فانتصفت من النا ر ببرد يربى على الزمهرير
فقبول^{١٢} النفوس إياك^{١٣} عندى آية^{١٤} فيك للطيف الخبير
إن^{١٥} قوماً أصبحت تنفق^{١٦} فيهم^{١٧} لعل^{١٨} غاية^{١٩} (١) من التسخير
أو أناس غدوا وراحوا من الظر^{٢٠} ف على حالة^{٢١} الفقير الوقيير
فمتى ظفروا بزور ظريف^{٢٢} أعجبته^{٢٣}م زخارف^{٢٤} التزوير
كلأ^{٢٥} عاريب لم يروا درمك^{٢٦} البسر^{٢٧} فهم^{٢٨} يعظمون^{٢٩} خير^{٣٠} الشعير
وكذا القوم^{٣١} لم يروا لجة^{٣٢} البحر^{٣٣} رفهم^{٣٤} يكبرون^{٣٥} ماء^{٣٦} الغدير
ياثقبلاً^{٣٧} على^{٣٨} القلوب خفيفاً^{٣٩} في الموازين دون^{٤٠} وزن^{٤١} النقيير
طر^{٤٢} سخيلاً^{٤٣} وقع^{٤٤} مقبلاً^{٤٥} فطوراً^{٤٦} كسفاة^{٤٧} وتارة^{٤٨} كثير^{٤٩}
وله : وثقل^{٥٠} سبحانه^{٥١} من^{٥٢} ثقل^{٥٣} وتعالى^{٥٤} عن^{٥٥} كل^{٥٦} مثل^{٥٧} وند^{٥٨}
حمل^{٥٩} الله^{٦٠} أرضه^{٦١} ثقلها^{٦٢} وعلاها^{٦٣} بثالث^{٦٤} من^{٦٥} أد^{٦٦}

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء (٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصبولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد الملمبي ويمدح أباه في كلمة :

أبوك لذا غيث^١ نعيش^٢ بفضله^٣ وأنت جراد^٤ ليس يبق ولا يد^٥
له أثر^٦ في المسكرات^٧ بسرنا^٨ وأنت تعفى دائماً^٩ ذلك الأثر^{١٠}

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعل خطاة» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الاغاني (يعاش بوبله) .

لقد قنمت قحطان خزيًا بخالد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر .
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبضة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيص^(١) لست وان جهدت بيالغ^(٢) سعي ابن عمك في الندي داود^(٣)
 شتان بينك يا قبيص وبينه إن المسدّم ليس كالحمود
 داود محمود وانت مسدّم عجباً لذلك وأتما من عود
 ولرب عود قد يشق لمسجد^(٤) نصفاً وسائرهُ لحش يهود^(٥)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجة أزلتها بكريم قوم أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان ربّ قادر قدر البرية من أديم
 فشر يفهم ووضعهم سيان في شرف ولوم
 قد قل خير غنيهم فغنيهم مثل العديم
 وإذا اختبرت حميدهم ألفيته مثل الدميم
 لا (نفع فيه)^(٥) للصغيـر من الأمور ولا العظيم
 أنظر الى كبر الجسو م ولا تسئل رفع الجسيم
 وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أتهجوه ولست له بكفٍ فشر كما خير كما الفداء

(١) في الأغاني (بمدرك) . (٢) في الأغاني (ذي العلا داود) .

(٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .

(٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .

(٥) في النسخ يياض وإله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقاربها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :

أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حرّةٌ وقد يلد الحرّان غير نجيب

فلا يمجبن الناسُ منك ومنهما فما خبث من فضةٍ بعجيب

وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً ناظمين محمد قال أهبجي ما قالت العرب قول الشاعر :

فصبراً على ذلّ ربيع بن مالك وكلّ ذليل خير عاداته الصبر

تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلةٌ وبئس الحليفان المذلة والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح

سمعى أبو دلف أنشد :

لا يمنعك خفص العيش في دعةٍ فزوع نفسٍ إلى أهل وأوطانٍ

تلقى بكلّ بلادٍ إن حلت بها أهلاً بأهلٍ وجسيراناً بحيرانٍ

فقال هذا الأُم بيت قاتله العرب . والنزوع ههنا ردء . والجيد النزاع ، وإنما

جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قاتله العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة

قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه

من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى

وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه

وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائك

ولا تحب أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها جزءاً من

السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حنيناً إلى

أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .

وقلت : إذا أنا لأشتاق أرض عشيرتي فليس مكاني في النهي بمكين

من العقل أن أشتاق أول منزل غنيتُ بخفص في ذراه ولين

وروض رماه بالأصائل ناظري وغصن ثناه بالغداة يميني

واحد لا أنسى اليهود إذا أتت بنات النوى دون الخليط ودونى
إذا أنا لم أرع اليهود على النوى فاست بأموت ولا بأمين
وسند كر من هذا الباب طرفاً فيما بعد ان شاء الله تعالى (١) . ومما لا تنكاد
تجد أجود منه في معناه ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى قال دخل بعض الشراء
على بعض الأمراء بهرقميد (٢) فجعل ينشده وجعل الأمير يعاتب جارية بين يديه
ولا يسمع منه فيخرج وهو يقول :

أدبٌ لعمرُك فاسدٌ مما تُؤدَّبُ برقميد
من ليس يعرف ما يريد فكيف يعرف (٣) ما يريد
من ليس يضبطه الحديد فكيف يضبطه القصيد (٤)
مالى رأيتك مرسلًا أين السلاسل والقيود
أغلا الحديد بأرضكم أم ليس يصطك الحديد
وقلت في المعنى الذي تقدم :

قل خير ابن قاسم فغناه كدمه
كاذ من خشية القرى يخفي في حرامه
جاز في الأزم حده كأيسه وعمه
كاد بعديك لؤمه لو تسميت باسمه
وقلت : قرانا بقولاً إذ أنحننا بيباه فأصبح فينا ظالمًا للبهائم
وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر (٥) قائم

- (١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .
(٢) بليدة في طرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان
(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،
وأما البيتان الآتيان فالعلمهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلسكان في ترجمة
يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعير) وسيأتي في موضع آخر (أغبر) .

فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جازَ في فقهه ^(١) اللثام الاشائم
أجازَ صيامَ الليل حين استفرَّه ^(٢) تعاوُرُ ضيفٍ في دُجى الليلِ عائم
فبتنا أديمَ الليلِ نطوى على الطوى كأننا على غبراءَ من ظهرِ واشم
وأطعمنا لما مرقنا ^(٣) من الدُّجى دحاريجَ لا تنساقُ في حلق طاعم
مُدَوَّرَةً سودَ المتون ^(٤) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيش قوائم ^(٥)
فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
ومن أعجب الهجاء هجوا الرجل نفسه وهو مارويناه للحطيطه ثم قال ديك الجن :

أبها السائلُ غنى لستَ بى أخبرَ منى
أنا إنسانٌ برانى الله في صورةِ جنى
بل أنا الاسمُجُ في العيبِ من فدع عنك التظى
أنا لا أسلم من نفسى فمن يسلم منى
وهجاء أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :
وأخوس ^(٥) ولاجٌ على ورائح ^(٦) رجاءَ نوالٍ لو أعين ^(٧) بحدود
زويت ^(٨) له وجهاً قطوباً عن الندى وأبأسته من وعده بوعيد ^(٩)
فان كنتَ لآعن سوء فعلك مقلعاً فدونك فاستظهر بنعل حديد
فمعدىَ مطلٍ لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد
ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومى :

منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرٍّ منتظرٍ ياشرٍّ منتظر

- (١) فى الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة في ماسياتى .
(٢) فى الأصل (فرقنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) فى الأصل (قيس) .
(٥) فى ديوان أبى نواس (وأخوس) بالهاء المعجمة ، ولعل ما فى الأصل هو
الأقرب . (٦) فى ديوان أبى نواس (لويغان) . (٧) فى الديوان (قطبت له) .
(٨) فى الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللثيم فان تصبر فمن قحمة
على الهوان وإن تجزع فمن خور
رأيت عيبك شعري حين نالته
شبيهه عض أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرمياً لتعلم أن
لم تترك شيئاً منه ولم تذر
وقال ابن الزمكدم :

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة
وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومي فيه نوم مشرد^١
كعقل ابن هرون ورقة دينه^(١)
على أولق فيه اختبال^(٢) كأنه
أبوجابر في خبطه وجنونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :
ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة^٣ تدعوا عبيداً وأزلاما
أى لورأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا مسومة، ومثله قول عروة بن الورد:
وأشجع قد أدر كتمهم فوجدتهم^٤ يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :
مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكره عليهم ورجالا
وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض بشرفه
من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره
يحول أويغور من صفره
لو صاح في الليل به صائح^٥
لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنه
فيرزق الجندبه النصره

وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

قرن سليمان قد أضرب به
شوق^٦ إلى وجهه سيد نفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى
قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهباب) .

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره . ولـسـكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ما جاء في ذلك قول أبي النمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فسلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الأنباري :

طلّست تشجّعني ضللاً بتضليل وللشجاعة خطبٌ غير مجهول
هاتى شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً تكفل لي بالنصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعيز البهايل
لما بدت منهم نحوى؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصمت أطوى الفلاميل إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل

وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ له عادَ الظلومُ ظليماً همُّ الهربِ
أنى الفرار وتترك الحرب إذ كشفت عنك الهويّنا فلا دين ولا حسب
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلب نداءه فكلب دونه كلب

فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنغر الحيوان . وقال بعض العرب :

نفر جة ينفر من ظل الشجر فؤاده أنثى وضره ذكر

والنفر جة الجبان . ومن جيد ما قيل في التنظير قول بعضهم :

الـكـوكـب الذنبي يخبر بالعجائب بعد سبعة

خلعوا عليه وبجلاو وصار في عزٍّ ومنعه

وكذلك يفعل بالجنود رلنجرها في يوم جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقنع الدولة من أسها

كَأَنَّهُ حِينَ غَدَا رَاكِبًا فِي خَلْعَةٍ يَمْجِزُ عَنْ لِبْسِهَا
جَارِيَةُ السَّوَدِ إِذَا جَرَبَتْ ثِيَابَ مَوْلَاهَا عَلَى نَفْسِهَا
وَأَكْسَلَ مَا سَمِعْنَاهُ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ ابْنِ عَمَادٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ
سَعِيدٍ الْأَمْوِيُّ لِبَعْضِهِمْ :

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلَمَى وَكَانَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ
فَيَأْخُذُهَا وَيَطْرُحُهَا بِجَنِيٍّ وَيَرْقُدهَا وَقَدْ كَشَفَ الْغَطَاءَ
وَيَأْخُذُنِي وَيَطْرُحُنِي عَلَيْهَا وَيَرْقُدهَا وَقَدْ قَضَى الْقَضَاءَ
وَيُرْسِلُ دِيمَةً سَحَا عَلَيْنَا فَيَغْسِلُنَا وَلَا يَلْقَى عَنَاءَ
أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ مِنْ أَحَقِّ
الْأَعْرَابِ ؟ قَالَ أَعْرَابِي سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الْمَوْسِمِ وَجَعَلَ يَدْعُو اللَّهَ خَالَهُ وَشَأْنَهُ
وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اقْضِ حَاجَاتِي قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَكَ الْوَفْدُ . قَالَ ثَعْلَبٌ أَفَلَا أَدْلَكَ عَلَى أَحَقِّ
مِنْهُ الَّذِي يَقُولُ :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَرْضَهُ فِي سِتَّةِ وَأَيُّوكَ يَمْدُدُ حَوْضَهُ فِي عَامٍ
وَسَأَلْتِي بَعْضَ الْأَدْبَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ أَيُّ الشُّعْرَاءِ أَشَدَّ حَقًّا ؟ قُلْتُ الَّذِي يَقُولُ :
أَتَيْهِ عَلَى إِنْسِ الْبِلَادِ وَجَنِّهَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْهِ فَلَا أَدْرِي مِنَ الْتَيْهِ مَنْ أَنَا سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَإِنْ صَدَّقُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ فَمَا فِيَّ عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ
فَقَالَ مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِابْنِهِ إِيَّاكَ وَالْكِبَرِ وَكَيْفَ الْكِبَرِ مَعَ
النَّطْفَةِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقْتَ وَالرَّحِمِ الَّتِي فِيهَا حَمَلْتَ وَالْغَدَاءَ الَّذِي بِهِ غَذِيت .
وَمَنْ بَلِغَ مَا جَاءَ فِي ذَمِّ الْكِبَرِ قَوْلَ بَعْضِهِمْ : التَّوَاضَعُ مَعَ السَّخَافَةِ وَالْبَخْلُ أَحْمَدُ
مِنَ السَّخَاءِ وَالْأَدَبُ مَعَ الْكِبَرِ وَالْعَجَبُ . وَقُلْتُ فِي مِثْلِ هَذَا :
وَعِنْدَهُمْ مُدْنِبٌ مُنِيبٌ أَحْمَدُ مِنْ مُحْسِنٍ مُدَلٍّ^م
وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي صَلَابَةِ الْوَجْهِ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : لَوْ دَقَّ بِوَجْهِهِ الْحِجَارَةُ لَرَضَاهَا

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يأليت لي من جلد وجهك رقعة فأفدّ منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيت وجهه وجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فانها خلعت خامة العدم^(١)

فهى تستهلك الجبيل وتأتى على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعدياء هتات على الجزاء آمين غير خوان

أطعمني الفصوص ولم تنظماً قوائمه فخل عينيك في ظان ريان

فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنا بل من مثني ووحدان

أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً ويهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه

بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المكارم قبضه

وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه

وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتى ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فأنت منه الدهر في طرفه

ومن أبخل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

إجعل الزوج من مرأجك فرداً واقتصد يا غلام والقصد أجدى

ان يكنُ فقدك الضياء ردياً فاقصمادي للزر أردى وأردى
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :
إذا ما جئتَ أحدَ مستمبحا فلا يغرك منظره الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كبراقية تروق ولا تريق
ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئت يا ابنَ أبي تبع بأمِّ الدَّواهي لدى المجمع
حلفت بأنك^(١) من حمير وليس اليمين على المدعى
وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسُ بآبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأرغمت أباً خاملاً أنا ابن أخت الحسن الخاجب
ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :
أودعته السرَّ فالفيتة أنتم من كأسٍ على راح
وقال السري :

ثنى عنك فاستشعرت هجراً خلالُ فيك لست لها براض
وانك كلما استودعت سرّاً أنتم من النسيم على الرياض
وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :
ولا تمسك بالعهد الذي عهدت إلا كما يمسك الماء الغرايل
وأخذه الخطيئة فقال :

أغرباً لا إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدِّثينا
والسكانون : الرجل الثقيل ، قال الشاعر :
ليت الكواوين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل شم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بآبائك» .

وقد مر فيما تقدم بيت الخطيئة .

ومدح ابن الرومي ابن المدبر ^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَدْتُ عَلَى مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دَسَّتْ حَابِسَهُ الْجَدِيدَا

وَقُلْتُ أَمْدَحُ بِهِ مَنْ شَدَّتْ غَيْرِي وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الرَّدِيدَا

وَلَا سِمَا وَقَدْ أَعْلَقْتُ ^(٢) فِيهِ مَخَازِيكَ الْوَأْتَى لَنْ تَبِيدَا

ثم أخنى عاينه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحتري مدحاً كثيراً فمن ذلك قوله :

وَوَجْهٌ ضَمَانُ الْبَشَرِ فِيهِ مَوْقِفٌ عَلَى النَّجْحِ وَالْحَاجَاتِ تُتْرَى عِجَالُهَا

بِهِ مَنْ صَفِيحُ الْهِنْدِ وَشَمُّ تَبِينِهِ صَفِيحَةٌ وَضَاحٌ يَرُوقُ جَمَالُهَا

مَتَى رُبْدَتْهَا عِزَّةٌ أَوْ حَفِظَتْهُ أَعِيدَ إِلَيْهَا بِالسُّؤَالِ صَقَالُهَا

مَتَى تَرَاهَا يَوْمًا عَلَيْهَا دَلِيلُهَا تَعْجِبُكَ مِنْ شَمْسٍ عَلَيْهَا هَلَالُهَا

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بُوجَهِ أَبِي اسْحَقَ صَدْعٌ كَعَرَضَةٍ لَهُ قِصَّةٌ غَيْرُ الَّذِي هُوَ يَظْهَرُ

يُخْبِرُ عَنْهُ أَنَّهُ أَثَرُ ضَرْبَةٍ بِبَعْضِ سَيُوفِ الزَّئِنِجِ خَيْنٌ يُخْبِرُ

وَمَا ضَرْبَتُهُ الزَّئِنِجُ فِي الْوَجْهِ بَلْ رَأَى أَبْوَرَهُمْ فَاثْشَقَّ فِي وَجْهِهِ حُرٌّ

في أبيات سخيفة فطلبه ابن المدبر أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقَّقْتُكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنَّ قَتْلِي مُحْتَمَلٌ لَكَ طَلْقُ

فَاعْفُ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسِيءِ وَلَا تَبْسُطْ بِمَا يَسْتَحِقُّ مَا يَسْتَحِقُّ

فعفا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلاً :

نَعْمَاكَ عِنْدِي الَّتِي أَقْرَبُهَا أَنْكَ أَصْبَحْتَ لِي مِنَ الْغَيْرِ

وَحَبْلُكَ الذَّمُّ لَا تُقْبَلُكَ مَا أَشْبَهَ خَطْمَ الْخَنْزِيرِ بِالْقَنْدَرِ

أَبْدَيْتَ فِي أَوْلِيَاءِ لَوْ مَكَ مَا قَدَرْتَ فِي أَخْرِيَاءِهِ الْآخِرِ

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي) . (٢) في الأصل (أعبت) .

كانتظران الذي يرى أبداً في رأسه ماقتنى من المسكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن تجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع وضعياً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أوان الشباب عاجلني الشيب وهذا من أول الدن دردى
وليس هذا بالختار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفَعَ البردُ ضيفَ عمرٍ وفأضحى مثلَ من فيه يا أخى زمانه
بات للبرد في طهارةٍ سوءٍ ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقرَّةٌ ولمولاه ذلَّةٌ ومهانته
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى في يتيه أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً فجاءنى برغيف زادنى أكله على الجوع جوما
ثمَّ ولى يقولُ وهو كئيبٌ لطفَ نفسى على رغيف أضيعا
كان خداعة الضيوف ولكن ربما أصبح الخدوعُ خديعا
كنت أنزلته محلاً رفيعاً فعدا ذلك الرفيعُ وضعيا
عجباً منه إذ أتيج هجاءُ كيف لم يمتنع وكان منيعا
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينهما في الأخلاق)

قال الأول في ذلك :

يزيد الخير إنَّ يزيد قومي سميكَ لايزيد ولايزيد
يقودُ عصابةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهِك في الولادة والتسمي ولكن لايجودُ كما تجودُ
ومثله : علىَّ وعبدُ الله بينهما أبٌ وشتان ما بين الطبايع والفعل
ألم ترَ عبدَ الله يلحى على الندى عليّاً ويلحاهُ علىَّ على البخل
ومثله : فإن يك بحجرانا إلى جمع نسبةٍ ففي الرأى والأخلاق مختلفان
وما أنت مثلى في مقام أقومهُ لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر : لن وصلت أبوتنا انتساباً لقد قطعت مرارتنا العقول
 أبوك أبي وأنت أخي واسكن تبانيت الطبائع والشكول
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال قال لنا المسكتي بالله يوماً ما هتكت بيت
 من الشعر وأفجر قائل أنعرفونه ؟ فقال يحيى بن علي المنجم قول أبي نواس :
 ألا فاسقني خمرأً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهر
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقني خمرأً ، واسكن الحسين بن الضحاك
 الخليع قد قال ما هو أهتك من هذا قال وما هو ؟ فأنشدته :

أتبت مسكراً بسكر وأتبت خمرأً بقمر

فقال هذا لعمري أهتك من ذلك . قال أبو هلال رحمه الله تعالى : وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجري مجرى ذلك ، وليس الهجاء بفتح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بليغاً مرضياً ، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمديح من نعوت
 المهجور والمدح وأسمائهما وصفاتهما ماها مشهوران به فإذا ذكر لم يخفيا .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي عثمان ^(١) عن التوزي عن أبي عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثي عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال ^(٢) :

سيروا فقد جن الظلام عليكم فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفعنا اليه وهو كالريح خاطباً ^(٣) فشد على أكباده بالعمائم
 ومالي من ذنب اليه علمته سوى أني قد جثته غير صائم
 فلولاً يد الفأروق عندي رميته بقافية يحدى بها في المواسم

(١) (أبي عثمان) غير موجودة في الأصل فزادها إعتدالاً على ما ورد في أسانيد

الكتاب في غير هذا الموضع . (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة

للعزير باختلاف في بعض الألفاظ . (٣) في الاغانى « كالنيس طاعماً » .

فأيتك من جرم بن زبان أوفى نعيم أو الفوسكى أبان بن دارم
 أناس إذا ما الضيف حل بدارهم غدا جائعاً غرثان ليس بناعم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمى عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبته عاصماً من أن تلم به أغنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفاناً
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت يغشاه على خبزك مكتوب سيكشفكم الله
 وقال بشار (١) :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيف للجوع
 آخر : نوالك دونه خرط القتاد وخبرك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام لحرمت المنام إلى التناد
 أرى عمر الرغيف يطول جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كف شعري ولكني هجوتك للكساد
 وقال آخر : رأى الصيف مكتوباً فظن لبخله ونصحيفه ضيفاً فقام يواثبه
 ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادة فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبداً وصحف الصيف ضيفاً فقام يلطم خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل وأقية البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبز إسماعيل كالوششي إذا ماشق يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريباً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجيباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاك هذا الطف^(١) الأمة كتما
 فاذا ألصق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطعن أشفى^(٣)
 مثل ما جاء من التنوير ما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عمل^٤ أبدع ظرفاً
 مرجه العذب بماء السـبيـر كـي يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه^٥ مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضاً :
 على خبز إسماعيل واقية^٦ البخل فقد حل في دار الأمان من الأكل
 وما خبره إلا كمنقاة مغرب تصور في بسط الملوك وفي المثل
 يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما أن تمر ولا تحلى
 وما خبره إلا كأوى يرى ابنه ولم ير آوى في الحزون وفي السهل^(٥)
 وما خبره إلا كليب بن وائل ليالي يحمي^(٦) عزه منبت البقل
 وإذا هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوع^٧ بجدي ولا هزل
 فان خبز إسماعيل حل به الذي أصاب كليلاً لم يكن ذلك عن ذل
 ولكن قضاء ليس يسطاع رده^٨ بحيلة ذي مكر ولادهي ذي عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذا هو لا يستب خصمان عنده * على قول مهمل
 * واستب^٩ بملك يا كليب المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي نواس « أحقق الأمة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجردق : الرغيف . (٣) في الديوان (مغرر أشفى) .
 والاشفى بالكسر : المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمي » .

وَقَيْنَةُ أَبْرَدَ مِنْ ثَلْجَةٍ تَظَلُّ مِنْهَا النَّفْسُ فِي ضَبْجَةٍ
كَأَنَّهَا مِنْ نَتْنِهَا ثُومَةٌ لَكِنَّهَا فِي الْاَوَنِ أَتْرَجَةٌ
تَفَاوُتَتْ خَلْقَتَهَا فَاعْتَدَتْ لِكُلِّ مَنْ عَظَلَ مُحْتَجَّةٌ (١)
كَأَنَّهَا وَالْوَشْمُ فِي جِلْدِهَا زُرْنِيخَةٌ شَدِيدَتْ بَلِيلِنَجَةٌ
خَرَّاجَةٌ لِلْفَسْقِ دَخَالَةٌ تَعْجِبُهَا الدَّخَالَةُ وَالْخَرْجَةُ
كَأَنَّهَا فَقَحْنَهَا خُمَةٌ فَتَ عَلَيْهِمَا عَابَتْ ثَلْجَةُ

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجة *

إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لَأَسْقِيَتْ نَعْمَى تَسْرِبْلَتَهَا كَمْ حَجَّةٍ فِيهَا لَزْدِيقِ
وَقَدْ أَبْدَعَ أَبُو نَوَاسٍ فِي قَوْلِهِ يَهْجُو جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى :

قَالُوا امْتَدَحْتَ فَأَذَا اعْتَضْتَ قُلْتَ لَهُمْ خَرَقَ النِّعَالِ وَإِخْلَاقَ السَّرَاوِيلِ (٢)
ذَاكَ الْأَمِيرُ الَّذِي طَالَتْ عِلَاوَتُهُ كَأَنَّهُ نَازِلٌ فِي السَّيْفِ بِالطُّوْلِ
وَكَانَ جَعْفَرٌ طَوِيلَ الْوَجْهِ وَالْقَفَا . وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا : قَفَا مَلِكٌ يَقْضِي الْهَمُومَ عَلَى بَقَا
وَقُلْتُ : سُدَّاءُ يَذْرِفُ دَمْعَهَا مِثْلَ الْاَنُونِ إِذَا وَكَفُ
وَكَأَنَّهَا مِنْ قَبْحِهَا سَلَحُ الْعَلِيلِ عَلَى الْخَرْفِ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

فَأَشْهَدُ (٣) مَا جَسَرْتَ عَلَى إِلَّا وَزَيْدُ الْخَلِيلِ دُونَكَ فِي الشَّجَاعَةِ
وَوَجْهَكَ إِذْ رَضِيتَ بِهِ نَدِيمَا فَأَنْتَ نَسِيجٌ وَحْدُكَ فِي الْقِنَاعَةِ
وَلَوْ بَدَلْتَهُ وَجْهًا إِذَا لَمْ أَصْلٌ بِهِ نَهَارًا فِي جَمَاعَةِ
وَمَنْ أَعْجَبَ مَا قِيلَ فِي كِبَرِ الْأَنْفِ قَوْلُ كِشَا حِمٍ :

أَقْدَمَ مَرَّةً عَبْدُ اللَّهِ فِي السُّوقِ رَاكِبًا لَهُ حَاجِبٌ مِنْ أَنْفِهِ وَهُوَ مَطْرُقُ
رَعِيَتْ لَهُ مِنْ جَانِبِ السُّوقِ مَخْطَاةٌ نَوَّهَتْ أَنَّ السُّوقَ مِنْهَا سَيَغْرُقُ

(١) فِي الْأَصْلِ « فَهِيَ لِمَنْ عَظَلَ مُحْتَجَّةٌ » . (٢) فِي دِيْوَانِ أَبِي نَوَاسٍ

« إِبْلَاءُ السَّرَاوِيلِ » . (٣) فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَّامٍ « فَأَقْسَمُ » .

وأقنر به أنفاً وأقنر بربه على وجهه منه كنيّفٌ معلقٌ
وقال غيره : أنت في البيت وعريدك في البيت يطوف
ومن أقبح ما جاء في قبح الاسنان قول جرير :

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلى خفافس سودا في صرارة قلب
وأما خص الأنياب العلى دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التثاؤب ، وهو كقول الآخر :

إذا كان يهدى برد أنيابها العلى لأققر منى انى لفقير
فشبه أسنانها بالخفافس وسعة فها بالقلب ، والصرارة : الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنيّة على امرأة فقيل لها كيف رأيته قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكأن
مديها دبة وكأن استها رقعة وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عرّفه يقاتل ديكاً .
ومن بديع الهجاء بالتبزيق والتمخط والبخر قول ابن الرومي :

تحتسب مزكوماً وإن لم تزككم من سدة في أنفك المورّم
محشرج الصدر برطل بلغم إن لم تمنع مرةً تمنعهم
نخامة كالضفدع الموشم دكنا رقطاء بقيح أودم
متخطاً بالكوع أو بالمعصم تضرط من أنف وتفسو من فم
ذانكهة من لم تمته يصدم حتى دعاك الملاء أرحم ترجم
وقال جحظة ^(١) في البخر :

تنفس في وجهي فكدت أموت وأعرض عني جانباً فحييت
ونسي ؟ حتى حسبت بأنني وربكما يا صاحبي خريت
وقال بعضهم في سرعة الكلام :

كأن بني رالان إذ جاء جمعهم فراريج يلقى بينهم سويق

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي ، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة .

وقال دعبل في قصر الشعر :

فوهاءُ شوهاءُ لها شعرةٌ
كأنها خيلٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمر ديتف :

وخذهُ مشوكٌ مزورٌ التلويز
وأنفه كسترٍ مشرق الأفريز^(١)
وقلت : لعب الزمان بحسن وجه محمد
قد كان معروف الجلال فلم يزل
عهدى به متكفراً متعصفاً
وكانما صدغاه في وجناته
كأنه فرينة كثيرة الشونيز
تحسبه إذا بدا ساحة النوروز
نعب الصبا بالربيع حتى أقفرا
ينتابه^(٢) الحدان حتى أنكرا
ثم اغتدى متصنلاً متزعفراً
جمالان يتتابان سلحاً أصفراً

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أنا كعبة النبك التي نصبت له
فتبيت بين مقابلي ومداري
كأجيري المنشار يجذبانيه
ولا أعرفه سبق الى هذا المعنى وهو من أظرف معاني وأعجبها .

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رأيت في دار حسين مشرعه
لها بظور في استنها مجمه
وامرأة قاعدة مربعة
كأنها أترجة مقلقة

وقال في خصي أراد أن يتزوج بامرأة :

قل لنجح أخطأت باب النجاح
است بالسابح المجيد فدع عنك ركوب البحار للسباح
إذ تعاطيته^(٥) بلا مفتاح

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الأفريز) . (٢) في الأصل مبهم من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدير)

(٥) في ديوان ابن الرومي المخطوط (بل تعاطيته) .

فظم الحب بالخصي^١ كما يفسظم فقد المردى بالملاح
 ليت شمري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسير النجاح
 أبوجه كأنه وجهه قرد حائل اللون جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة فقراه كونيم الذئباب في اللقاح
 إنما أنتم فقاح^٢ فمهلاً ماغناء الفقاح في الأحرار
 إن من يعشق النساء بلا أبـــــر كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكون الطمان إلا برمح فدعوا^(١) الطمن للطوال الرماح
 ثم قال : معشراً شبهوا القروود والسكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة . ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سبالة بعد أن أطاله :

حلقت سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعذبت صحبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد الله ذاك السبالة فقد كان سترأً على مستراح
 وقال ابن السكن :

رجل يعق الكأس كل عشية ويعاقب المسواك كل صباح
 وقالت : قال لي صاحبي وقد صغفته نفحات الكروس من في وصيف
 لعن الله ليلة بت فيها مع رفيقي كأننا في السكينيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله :

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لاعدت فقالوا له من ينف فيه ذا كما كنا
 وقال أيضاً يذكر قينة :

مسمومة^(٢) الرقيق إذا قبلت صحفت التقبيل تقيلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا) .

(٢) في الاصل « مسمومة » والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

قبلها جلود عرارة يحسنُ للبخراءِ تقبيلًا
 فاحشةُ النقصانِ لكنها قد كملتُ بالبظرِ تكميلًا
 أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البظرِ تفضيلًا
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أمارتُ بظرها الفيلًا
 غول يبيت الشرب من قبورها يرون في النوم التهاويلًا
 ما أحسنَ الأرقم طوقًا لها وأحسنَ الأسود الكيلًا
 قد عذَّبَ اللهُ امرأً نالها طورينِ تعجيلًا وتأجيلًا
 لها ضراطٌ ريحه عاصفٌ يطفئ في الليل القناديلًا
 حلت سراويلي على واسع ما خلنسه إلا سراويلًا
 أحلت تنكيلى بباب استها فكان للتنكيل تنكيلا
 لورامت التوبة لم تستطع أسنة الشيطان تبديلًا
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيل تذليلًا
 وهى طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلا وجودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرق الباقي على الكواسج .

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أن الله أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جواني
 وقال الآخر : ألم تر أن الله أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفى إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلمه إنسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخالصت لحيته من تحت إبطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (البرزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحية قاضي القضاة لوجهته مجهودها لم تكن كعنفته
 إذا أراد الكرى توسدها فقد كفته مكان مرفقته

وقال رقية بن مصقلة لأبي شيبه القاضي : لو كانت لحيتك هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلت : قل للعدل بلحية موفورة وسما ولحية كل الحى جهله
 لا يجهبك طول نبيذك إنه من طال لحيته تكوسج عقله

وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطل لحية عليك وتعرض
 فالحالى معروفه للحمير
 علق الله في عذاريك مخلا
 ة ولكنها بغير شعير
 لو غدا حكما على اطارت
 في مهب الرياح كل مطير
 ارع منها موسى فانك منها
 شهد الله في أثم كبير
 أيما كوسج رآها فيلق
 ربّه بعدها صحيح الضمير
 هو أحرى بأن يشك ويغرى
 باتهام الحكيم في التقدير
 ماتلقاك كوسج قط إلا
 جور الله أيما تجوير
 لحية أهملت فطالت وفاضت
 فاليها تشير كف المشير
 مارأتها عين امرئ مارأتها
 قط إلا أهل بالتكبير
 روعة نستخفه لم يرعها
 من رأى وجه منكر ونكير
 فاتق الله ذا الجلال وغير
 منكراً منك ممكن التغيير
 أوفقصر منها فحسبك منها
 قيد شبر علامة التذكير
 لو رآها النبي يوماً لا أجرى
 في لحي الناس سنة التقصير
 واستحب الأحناء فيهن والخلع
 ق مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا السَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحْيِ »^(١).

وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بعيدةٌ البعض من البعض
مضى الى السوق وعُثِنُونَهُ أَقَامَ في البيت فلم يمض
وهو إذا مامراً في سكةٍ يمشيها بالطول والعرض
يدوسها الناس بأقدامهم كأنها أرض على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجمار كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللبن وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إني سأخرجها
من القالب قبل ضرب اللبن وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حمقه
قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لبنة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .
وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طويلةٌ شطراً طولها
فهو الدهر كله عائرةٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم تركت التشنيع المفوظ من
المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
كثيرة ومحاسن جمّة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريز والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكانت تسمية أهل اللغة
إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢).

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :

إذا استنّ في قوهية متبخترا فقل جرذٌ يستنّ في لبنٍ محض

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
كشف الخفا . (٢) والكنى للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
ان الله يكره الفحاش البذئء اللسان . (٣) نسبها القالي في الامالي لرجل من
أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبضية متأزراً فقل جعل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من أميتك ببَيْضَةٍ^١ لما انكسرت^٢ من قرب بعضك من بعض

وقال غيره : ألا يا بَيْدَقَ الشُّطرنجِ في القيمة والقامه

وقال آخر : يمشي الناس في الطريقِ قِـ من دمامته ؟

وقال آخر : فقام إلى الغلام أسى وغيظاً بقدر^٣ لم يزد فيه القيام

وقال ابن الرومي : أنت تشتم^٤ عرضي وأنت في طول أبري

وقال الناجم : ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص

كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقراص

وقال : وعازب الرأي ضعيف مغرور مكاثر^٥ في العلم وهو مكثور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر : كأنهم كلهم غنم الأضاحي إذا قاموا حسبته^٦م قعودا

وفي غير هذا المعنى قول الآخر :

إذا لبسَ البياضَ فعدل قطن وأن لبسَ السوادَ فعدل خم

وقال ابن الرومي في التبعج والسواد :

وجهك يا جعفر من قبضه أولى من العورة بالستر

كأنما تأوى إليه الدجى إذا هي انقضت عن الفجر

وقال ابن طباطبا في مجذور :

ذو جُدَرِيٍّ وجهه يحكيه جلد السمكة

أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه

أو حلق الدرع إذا أبصرتها مشتبكه

أو سفر محبب أو كرش منفرقة

أو منخل أو عرض رقعة منمنمة

أو حجر الحمام كم من وسخ قد دلكه

أو كور زنبور إذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه حبسه
أو ساحة جامدة تنقر فيها الديكة
يبغضه من قبضه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جِدَرِيٌّ مَا شَأْنُهَا وَهِيَ شَيْنٌ كُلُّ أَثَرٍ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ نَقْشٌ
بدلت من صفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عش

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمر مخبره ومنظره
شعر تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابه عثمانين أسودين كالفحم متعممين بعامتين حراوين فامتحنهما
فوجدهما من الأدب خاليتين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيت بباب الدار أسودين ذوى عامتين حراوين
كجمرتين فوق فحمتين قد غادر الروض قرير العين
جد كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين
ياقبح شين صادر عن زين حداثد تطبع من لجين
ما أنما إلا غرابا بسين طيرا فقد وقعتا
ردا ذوى فى المصرين المظهرين الحب للشيخين
وخليا الشيعة للسبطين لا تبرما إبرام رب الدين
ستعطيان فى مدى عامين صكاً بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عباساً بعد ما مات :

(١) فى ديوان ابن الرومى المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كُرت على اللؤم^(١) بما سادَه وساءه كُرتك الخاسره
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أنوابك بالساهره
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذنت بالآخره
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحي أسد القاهره
 أبارك المسكروه من مثله فاقرة نجتك من فقره
 وقال فيه : واتصور القبر الذي ضمنته^(٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتيج لأبي تمام مخلص الموصلي فهباه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطائي غادته من المني وقطعان من الكمر
 حر الحلاق وبرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر

ومما قيل في البرد أيضاً قول بعضهم في المبرد :

ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحر وأومد^(٣)
 ظلمت به عند المبرد قائلاً فما زالت في الغاظه أتبرد

وفلج أحد الشعراء فسئل عنه رجل فقل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين

من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يحمد روى ضرب الله شقه بغنائه
 وقال غيره : غنى لنا نصر فقلنا له مصعب جرأك على السبع
 وحررك العود بأطرافه فكان يحتاج الى الصفع
 فقامت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومن بارد النغمه مختل البيدين

ماراه أحد في دار قوم مرتين

صوته أقطع للذات من صبيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقالت : قد أسمعنا غناءً لا خلاق به
 حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
 وكلما انخفضت فيه مزمنة
 لا تجد عنه بأبواب مصبغة
 وقال ابن الرومي :

وإذا غنت ترى في حلقة
 وقال الناجم : وقنية شتمها قنوت
 مقودة الكل غير بطن
 وقال غيره : كأن أبا الحسين إذا تغنى
 يلوك لسانه طوراً وطوراً
 وقال المصيصي : وتحسب الندمان في حلقة
 ما عجبني منه وليكني
 وقالت في عواد : يقول لنا غير ما يضرب
 ككيسان يكتب غير الذي
 فيكتب غير الذي قاله
 فصمتاً إذا شئت اطرابنا
 ولا ناسي ؟ إذا جئتني
 وقلت : تغني لنا فجعلنا عليه
 جعلنا اللطام لها لجة
 كل عرقٍ مثل بيت الأرضه
 أحسن أصواتها السكوت
 مثقل فهي عنكبوت
 يحاكي طاساً في عين شمس
 كأن بضرسه ضربان ضرس
 دجاجة يخنقها ثعلب
 من الذي يعجبه أعجب
 ويضرب غير الذي نحسب
 يقول المحدث والمكتب
 ويقرأ غير الذي يكتب
 فنحن إذا قلت لا نظرب
 فاني إذا جئتني أذهب
 عما ثم تنزع جلد القفا
 وتنف الشوارب فيها سدى

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الأحداث عند خروج اللاحى قول البسامي :

قالوا تغير عن ملاحظته
 يازهرة ومحاسناً مسخت
 قد كانت الأبصار تجرحه
 قلت الزمان يريكم العبرا
 ماذا لحاه الشعر لو شعرا
 واليوم يجرحها إذا حضرا

وقال سميد بن حميد :

فالات حين بدت بخدك الحية ذهبت بملحك ملء كف القابض

وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقة السر هن عما خلقت

تب وخف الله على كفك مما اجترحت

هل لك عذر عنده إذا الوحوش حشرت

بلحية ان سئلت بأي ذنب نتفت

وقلت : حصلت في سى ذا غلظة كائن مشط ابن منصور

ياحية هتك أستارها بأصبع منه وأظنور

فخذ من مسح تارة وتارة من قشر بلور

فتارة كالسك في لونه وتارة في لون كافور

يعجبه المرد فيحكيمهم حكاية زور من الزور

يقول ما أحسن رب الورى إذ غرس الظلمة في النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدوشواربهم مسودة قبل أن تبدوا عوارضهم

ياويحهم من لحي جدت منافشهم فيهن أو لعبت فيها مقارضهم

قد أتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيذك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين

خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثابة وهجنة فعليك به

إذا وقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذلل لك فيه فرما

استشير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الذلة ورب محبوب في مكروه

« والمجد شهد يجتنى من حنظل » ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت

لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخيله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أتى في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان وزعم أنه غشي المنجردة حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمست لمست أختم^(١) جأماً متحيراً^(٢) بمكانه ملء اليد

وإذا طمنت طمنت في مستهدف رابي المحسنة بالعبير مكرم

وإذا نرعت نرعت عن مستحصف نزع الخزور بالرشاء المحصد

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع فأبلغوه أن النابغة مازال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكل على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حسمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدوا عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفت فلم أترك لنفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى خيانه لمبلغك الواشي أغش وأكذب

ولست بمستبق أخاً لائمه على شعث أي الرجال المهذب

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أنا في ودوني راكس فالضواجم^(٣)

(١) في الأصل «أختم» . (٢) في الأصل (متحيراً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجم : موضع ،

فبت كأتى ساورتنى ضئيلة^١ من الرقش فى أنيابها السهم نافع^٢
أتانى أبيت اللعن انك لمتنى وتلك التى تستك منها المسامع^٣
إلى أن قال :

فان كنت لاذوا الضغن عنى مكذب^٤ ولا حياى على البراءة نافع^٥
ولا أنا مأموم^٦ بشيء أقوله وأنت بأمر لا محالة واقم^٧
فانك كالليل الذى هو مدركي وان خلت أن المتأى عنك واسع^٨
وقال : أنبت أن أبا قابوس أو عدنى ولا قرار^(١) على زار من الأسد
مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد^٩
لا تقذفنى بركن لا كفاء له وان تأففك الاعداء بالرغد^(٢)
ما قلت من شيء مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي الى يدي^{١٠}
ها إن ذى عذرة إلاتكن نفعت فأن صاحبها قد تاه فى البلد^(٣)

فخام عايه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضر امطرقة بالجواهر ، وقد ذكرنا
الحديث بطوله فيما تقدم ، وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
لوم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية فى وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثله
وقصيدته فى صفة البركة * ميلوا إلى الدار من أبلى نحيبها * واعتذاراته فى قصائده
إلى الفتح التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثله ، وقصيدته فى دينار التى
وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهى التى أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر *
وصفة حرب المراكب فى البحر لكان أشعر الناس فى زمانه فكيف وقد انضاف
إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه فى قصائده . فمن اعتذاراته قوله فى قصيدته التى
أولها * لوت بالسلام بنا نا خضيبا * فقال فيها :

(١) فى ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أى احتوشوك فصاروا حولك كاللائفى ،
والرغد جمع رفدة وهى العصبة (٣) فى ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النكد) .

ونائبة أوشكت أن تموت
فلقيتني^(١) بمد بشري قطوبا
وأكبر قدرك أن أسترىما
سبيل اغترار قالقي شعوبا
وما كنت أعهد ظني كذوبا
أذم الزمان وأشكو الخطوبا
طرقاً ومرعاً محلاً جدياً
أفاض الدموع وأشجى القلوبا
تخالجي الشك في أن أتوبا
إما بعيداً وإما قريباً
وأنظر عطفك حتى يشوبا
ولقيتني نحساً من الطير أشاماً
أرى سخطه ليلاً مع الليل مظماً
بقية عتب شارفت أن تصرماً
تلبث في أعقابها وتلوماً
كليلاً وإن راجعته القول جمجماً
وأوهه الواشون حتى توها
رُباه وطلاءاً ضاحكاً فتجماً
ومنتقم مني امرؤ كان منجماً
يرى الحمد غناً والملاحه مغرماً
ولا خوف إلا أن تجور وتظلماً

فدَيْنَاكَ من أي خطب عراً
وإن كان رأيك قد حال في
يريدني الشيء تأتي به
واكره أن أتمادى على
أكذب نفسي بأن قد جنيت^(٢)
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
أصبح وردى في ساحتك
وما كان سخطك إلا الفراق
ولو كنت أعرف ذنباً لما
سأصبر حتى ألقى رضاك
أراقب رأيك حتى يصح
وقوله : عذيري من الأيام رنقن مشربي
واكسبني سخط امرئ بت موهناً
تبلغ عن بعض الرضا وانطوى على
إذا قلت يوماً قد تجاوز حدّها
وأصيد إن نازعته الطرف^(٣) رده
ثمناه العدى عني فأصبح معرضاً
وقد كان سهلاً واضحاً فتوَّعت
أمتخذ عندي الاساءة محسن
ومكتسب في الملامة ماجد
يخوفني من سوء رأيك معشر

(١) في الاصل (فأوليتني) (٢) في ديوان البحترى (أ كذب ظني بأن قد سخطت)

(٣) في ديوان البحترى (نازعته الملاحظ)

أعيتك أن أخشاك من غير حادث
 أنست الموالى فيك نظم^(١) قصائد
 أعد نظراً فيما سخط هل ترى
 رأيت للعراق ناكرتنى وأقسمت
 وكان رجائى أن أووب مملكا
 حياء فلم يذهب بى الغى مذهبها
 ولم اعرف الذنب الذى سوتنى له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 أذ كرك العهد الذى ليس سودداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجبه متنصلاً
 لى الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدى الفعال أعادة
 ونحن نقول إن لكل شىء ثمناً وثماناً
 وثماناً وثمن خضوع المعتز قبوله . وكتبت: وسيلتى
 اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابى اليك وقد خفضت لك جناح الذل فى التنصل مما فرط
 فتفضل على بالقبول لئلا يلحقنى هجتان هجئة تذلى لك وأخرى ردك لى . وقد
 قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفى هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تعذر على العذر جعلت معولى على فضلك أبلغ عذراً أقدمه وأقوى سبباً أو كده .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكرى عن إبراهيم الندى قال قلت لرجل:
 ما حملك على بذلك وجهك فى حوائج الناس؟ قال انى لم أجمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن على رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شأكر ولا فى لأبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يجود . وليس صدق العذر عندي بدون انجاز الوعد ولا اكداء السائل بأغظ من الاجحاف . بالمسؤول ولا أرى السر أغبالي بالمسألة بحسن ظنه بي أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذي يتحمله من لدى والعرب تقول ان مع الهيئة الخبيثة والفرصة خاسه فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هزرتك لأني ظننتك ناسياً لوعدي ولا أني أردتُ التقاضيا
ولكن رأيتُ السيفَ في حالٍ سله الى الهزِّ محتاجاً وان كان ماضيا

ومن مليح ما يجري في هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قریش قال قال رجل لسلیمان بن عبد الملك : ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب فأهل ذلك أنا ، فمعا عنه ، فأخذه بعض المحدثين فقال :

فان عاقبتني فبسوء فعلی وما ظلمت عقوبة مستفيد
وان تغفر فأحسن جديد دعوت به الى شكر جديد

ثم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شمالك ووصل جبالك وتمتك بأحبتك وأعطاك مأمولك في نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحيائك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل للهجر عليك سبيلا ولا للفرار عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك فتعيش في ضمان الفرح ويؤوء حاسدك بأعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشوق أدام الله توفيقك من شرائب أخلاق الفتيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحدرون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة واظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش ويجدد حب المساعدة والائتلاف وكراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما هديت اليك فيه فإنه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأثمك فيه ويكون جلاءً لناظرک وشحناً لخاطرک إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرّفت عيناكِ إلا لتضربي بسهميكِ في أعشار قلب مقتل
يقول ما بكيتِ إلا لتجرحي قلباً معشراً أى مكسراً ، يقال برمة أعشار إذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميكِ يعنى عينها ، والمقتل
المدلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكرى عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلنّ نعامنا
ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لى عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحَيَّانِ ألقى العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلتُ إني مُشتفٍ بلقائِها فحم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :

ما يرجعُ الطرفُ عنها حينَ أبصرها حتى يعودَ إليها القلبُ مُشتاقاً

وقد أحسن ابن الرومي ولا أعرف في معناه أبلغ منه :

أعانقها والنفسُ بعدَ مَشْوَقَةٍ إليها وهلْ بعدَ العناقِ تداني

وأثمَ فاها كي تموتَ حزازي فيشتدُّ ما ألقى من الهيجانِ

وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشفُ الشفتانِ

فإنَّ فؤادي ليس بشفي رسيه سوى أن ترى الروحانِ تمتزجانِ

ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :

هبتُ شمالاً فقالَ من بلد أنت به طابَ ذلك البلدُ

وقبلَ الريحَ من صباته ماقبلَ الريحَ قبله أحدُ

وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟

قال أنى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن

الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأثقلت ، أخذه بشار فقال :

إنى لأُكتم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لأظلمها

وبيت بين جوانحي وجدُّ بها لو بات تحت فراشها لأقلها

وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً تفردَ بالتمام فلا تمامُ

قلو ألقيته ما بين ماءٍ ونارٍ كان بينهما التمامُ

وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :

سالة نورٍ ليس يدركها^(١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس

به^(٢) أمست الأهواءُ يجمعها هوى كأنَّ نفوس الناس في حبه نفس

وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من

الأصل فاستدركناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولست بناس من يكون كلامه بأذنى وإن غيبت قرطاً معلقاً
ومن ظريف التشبب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبت يامن لحانى فى مودته ماصورة البدر الأدون صورته
يارب ان لم يكن فى وصله طمع ولم يكن فرج من طول جفونه
فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته واستر ملاحه خدته بلحيتيه
ومن الظريف قول كشاجم :

كان الشفاء اللعس منها خواتم من التبر مختوم بهن على الدر
ولا أعرف فى وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل فى حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدى :
إذا نحن أدبلنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)
أليس بزين (٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا
واتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هى خلت لترتع لم ترتع بأذنى المراتع
كأن لديها سائقاً يستحقها كفى سائقاً بالشوق بين الأضالع
ومن جيد ما قيل فى ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صبت يحث مطاياهُ بذكركم وليس ينساكم أب حل أوسارا
يرجو النجاة من البلوى بقر بكم والقلب يلهب فى أحشائه نارا
ومن ظرف الاعرابى قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبى فى معاهدها ذكر
وقلت له ولقاء ويحك سببت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر
ونحوه قول الآخر :

قد قطع الاحراج اغناق الابل فهى تسير سيرة مشتاق عجل

(١) فى الاغانى « بوجهك هاديا » . (٢) فى الاصل « يزن » وفى الاغانى (يزيد) .

وقول الآخر وقد ألغز :

إنَّ لها لساناً خَدَجاً لَمْ يُدْجِ اللَّيْلَةَ فِيمَنْ أَدَجَا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أَيَّامٌ يَقْتُلُ شَوْقُهَا زِيَارَتِي كَلَامٌ يَقْتُلُ بَرْدُهُ عَطَشَ الصَّدَى
فأما أجود ما قيل في التذكُّر على البعد فقول بعضهم :

أَذْكَرُ أَخَانَا تَوَلَّى اللَّهُ صَحْبَتَهُ أَنِي وَإِنْ كُنْتُ لَا أَلْقَاهُ أَلْقَاهُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِي لَسْتُ أَذْكَرُهُ وَكَيْفَ يَذْكُرُهُ مَنْ لَيْسَ يَنْسَاهُ
وَقَالَتْ : ذَكَرْتُهُمْ وَالنَّوَى بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
بَلْ كَيْفَ أَذْكَرُهُ إِذَا لَسْتُ نَاسِيَهُ
وَنَحْوَهُ يَقُولُ السَّرِيُّ :

غَضَبَانِ يَنْسَانِي وَأَذْكَرُهُ وَيَنْسَانِي عَنْ لَيْلِي وَأَسْهَرُهُ
وَبَجُورِهِ مَاضٍ مَوْرَقُهُ حَظِي وَحَظُّ سَوَايَ مَشْرُهُ
وَكُنْفِي الْهَوَى لَوْ كَانَ مَكْنُفِيًّا مَارَحْتُ أَضْمَرُهُ وَأَظْهَرُهُ
لَمْ يَقْتَسِمِ فِي الْعَاشِقِينَ أُنْسِي إِلَّا وَحَظِي مِنْهُ أَوْفَرُهُ
فَأَصْبَحَ فِي نَفْسِ أَصْدَدِهِ وَأَعُومُ فِي دَمْعِ أَجْدَدِهِ
وَمَنْ مَلِيحٌ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارٍ :

وَأَسْتُ بَنَاسٍ مَنْ يَكُونُ كَلَامُهُ بِأَذْنِي وَإِنْ غَبَيْتُ قُرْطًا مَعْلَقًا
أَجُودُ مَا قِيلَ فِي إِخْفَاءِ الْحُرَّةِ عِنْدَ زِيَارَةِ الْمَعشُوقِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
سَمَوْتَ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سَمَوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى خَالِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا وَأَظْرَفُ قَوْلُ وَضَّاحِ الْيَمَنِ ^(١) :
وَاسْقِطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى لَيْلَةً لِأَنَّهُ لَا زَاَجِرُ

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب في تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بزوجته .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء لأن لسمو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من أبيات ظريفة أولها :

قالتُ ألا لا تلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيتَ البابَ من دوننا قلتُ فاني واثبٌ ظافرٌ
قالتُ فإنَّ القصرَ من دوننا قلتُ فاني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فإنَّ الليثَ عاد به قلتُ فسيني مُرهفٌ باترٌ
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فاني سابحٌ ماهرٌ
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافرٌ
قالتُ فأما كنتَ أعينتنا فأت إذا ما هجمَ السامرُ
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةً لا نادٍ ولا زاجرُ

ومن مליح ما جاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً والليل كالطيلسانِ مُعتكرٌ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءٍ كأنها قمرٌ
هل لك في عادةٍ مُنعميةٍ يحار فيها من حسنها النظرُ
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصرُ
فهمتُ أسعى إلى مُحجَّبةٍ تضيء منها البيوتُ والحجرُ
فقلتُ لما بدا تخفُّرها جودى ولا يمنعك الخفرُ
قالتُ توقَّرْ ودع مقالك ذا أنت امرؤٌ بالقبيحِ مشتهرُ
والله لا نلتَ ما تطالب أو ينبت في بطن راحتي شَعَرُ
لا أنت لي قيمٌ فتخبرني ولا أميرٌ عليَّ مؤتمرُ
قلتُ ولكنَّ ضيفَ أذاك به تحت الظلام القضاء والقدرُ
فاحتسبي الأجرَ في إنالته وباشري قد تطاولَ العسرُ
قالتُ فقد جئتَ تبتغي عملاً تكادُ منه السماءُ تنفطرُ

فقلت لما رأيته حرجت وغشيتها الهوم والفكر
 لا عاقب الله في الصبا أبداً أنثي ولكن يعاقب الذكرك
 قالت لقد جئتنا بمبتدع وقد أتتنا بغيره النذر
 قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترز
 قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتها السور
 وجهك وجهه تمت محاسنه لا وأبى لا يمسه سقر
 ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من
 هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:
 تستدفع الأعين عن حسننها بعوذة من سوء^(١) أفعالها
 وهي من أبيات قليلة النظير :

هل حاكم يعدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
 دأمة الأعراض غنى فما يخطر لي ذكره على بالها
 صغيرة عظمها محبها عندي وأغراني باجلالها
 تستدفع الأعين عن حسننها بعوذة من سوء أفعالها
 لم أطعم العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
 تمضى بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس باقبالها
 قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
 لو لم يكن من برد ساقها لا احترقت من نار خلخالها
 وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلخال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا بسن خلخال كاذب أساء الخلخال

يقول لا تخلخل الخلخال في سوقهن أى لا تتحرك فقد كذبت أسماؤها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبيح) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها) .

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكان الشمسَ نيط بها قمرٌ يمانه والقدح
صدً إذ مازحته غضباً ما على الأحابب إذ مزحوا
وهو لا يدري لنخوته أننا في النوم نصطلح
نم لا أنسى مقالته « أطفيلي » ويقترح

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرف عنها تستراً ولي نظره لولا الحياء شديد
وسها قالت لقد نلت وده وما ضرني بجل فكيف أجود

وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

ستبقى لها في مضمير القلب والحشا سريرة ودي يوم تبلى السرائر

ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :

خرجت غداة النحر أعترض الدمي فلم أر أحلى منك في العين والقلب
فوالله ما أدري أحسناً رزقته أم الحب يعني مثل ما قيل في الحب

وهو من قول النبي ﷺ « حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمِي وَيَصِمُّ » ^(١) وأنشدني أبو

أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة :

زعموها سألت جاريتها وتعرّت يوم حرّ تبستر

أكما ينعتني تبصرنني عمر كن الله أم لا يقتصد

فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود

حسداً حلتها من أجابا وقديماً كان في الناس الحسد

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل :

حلفت بصحراء الحجون وناقني لها بين قاع الأخشين حنين

غموساً لقد فضلت في الحسن بطة على الناس أوى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنسرك بعض المحمدين أن يكون استحسنانه لطبيعه لا فراط حبه أو الجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ والله في عيـني وفي كلِّ الصيـون
قيمةٌ بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقم قط سوى سقم الميسون
لم أصفها بجمال هوى أم الجنون
بل لحسن وجمال قول حق ويقين
وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا مَنْ يَومُ عليه أنظر بعيني إليه
فلست تبرح حتى تصير ملك يديه
وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكّت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :
كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قيظ ليله ومد
وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :
تبدَّتْ لَنَا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب (١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :
فصدَّتْ كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب
وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :
كانَ المنى بلفائفها فلقبتها وهوتُ من هو امرئ مكذوب
فرايتُ مثلاً الشمس عند طلوعها في الحسن أو كدنوَّها لغروب

(١) في منتبهى الطلب من أشعار العرب « وضنت بحاجب »

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طبن^(٢) العدو لها فغير حالها
وسعى إلى بعيد^(٣) عزّة نسوة^(٤) جعل الآله^(٥) مخدودهن نعالها
ولو أن عزّة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها
قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسامت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تباهت بالعرفان لما رأيتني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا
وقرّبن أسباب الهوى لمتيم بقيس ذراعاً كلما قسن أصبعها
فذكر أنهن لم يتقنعن الحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أي الوجه بالشمس فقال ابن الرومي :

كالشمس غابت في حمرة الشفق وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تديه الشمس والقمر المنير اذا قلنا كأنهما الأمير
فان يك أشبه منه قليلا فقد أخطاها شبه كثير
لأن الشمس تغرب حين تمشي وأن البدر ينقصه المسير
ونور محمد أبداً تمام على وضوح الطريقة لا يحور
وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي النقال (من مظلومة) . (٢) أي فطن ، وفي الاصل غير منقوطة .

(٣) في الامالي « بصرم عزّة » . (٤) في الامالي (جعل المليك) .

(٥) في الامالي (موفق) . (٦) في الأغاني « أشرفت » .

يابدر إنك قد كسيت مشاهداً
وأراك تمصح في الحاق وحسنها
وقال العباس بن الأحنف :

قالت ظلوم وما جارت وما ظلمت
البدر ليس له عين مكحلة
وقال النظام : يامشرقاً ملأ العيو
أوفى على شمس الضحى
وزاد آخر على هؤلاء كلمهم فقال :

إذا عبتها شبهتها البدر طالما
وحسبك من عيب لها شبهة البدر
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدتَه نظراً

فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروى إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وإن نأت عنك غاب اللهو والفرح
كلُّ اللباس عليها معرضٌ حسنٌ وكلُّ ما تتغنى فهو مقترح
والمعارضة تتخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقربُ بهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلادُ
يعادُ حديثها فيزيدُ حسناً وقد يُستقبحُ الشيءُ المعادُ

وقال الخاني :

إذا كنت لم أفقد الغائبين وإن غبت كنت فريداً وحيداً
تواعد نفس إذا ما بعدت فليس تعاود حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيء حسناً فما أعم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العود أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء عن الأصمعي قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونة^١ تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

بات يعمى يعالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أغيد ماء الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماء الشباب كأنها قضيب من الریحان ريان أخضر

وقال السري : ومخطف بهتزعن ماء انصبها كأنما يهتزعن ماء العنب

وقلت : ووجهه^٢ تشرب ماء النعيم فلو عصر الحسن منه انعصر

يمر فأمْنحه^٣ ناظري فينشر ورداً عليه الخضر

فما جفلت بطالوع القمر تمتعت العين في نفسه

وقال ابن المعتز : يحسرك الدل في أثوابه غصنا

وقال ابن الرومي : تمتعت وجهك في بديتها

وقوله : مخففة مثقلة تراها

إذا الاغباب جد حسن شيء

ومثله قوله : لا شيء إلا وفيه أحسنه

فوائد العين منه طارقة

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إن اسم حسن لوجهها صفة^٤ ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع ^(١) اللفظ معنيين مما
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيالك من خد أسيل ومنطقٍ رخيم ومن خلقٍ تعاملٍ جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعامل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبدشي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة ^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفزاري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أنظر فبي
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزبدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجمعني وإياهم مريع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن مسياً منقرية وبنو منقر أخبت حتى وأقوفه
لاثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة زردار عليها ميا فقلت اى والله إن عندى
للجوذر قال على بها فر كبتها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف عرف النساء ذا الرمة فقمنا إلى بيت أمي وجئنا حتى
أنخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث وإذا منى جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
واذا عليها سبب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
أنشدن يا عصمة فأنشدن قوله :

نظرتُ الى أظمان مَيَّ كَأَنَّهَا ذُرَى النَّخْلِ أَوَّائِلَ ^(٣) تَمِيلُ ذَوَائِبُهُ
فَأَوْشَكَتِ الْعَيْنَانِ ^(٤) وَالصَّدْرُ كَأَنَّه بِمُغْرُورٍ نَمَتْ عَلَيْهِ سَوَاكِبُهُ

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض

الفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثر من مصارع العشاق والامالي وغيرها .

(٣) في ديوان ذي الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق ^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسرارها ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامي ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوأرح ^{هـ} عن القلب اتته جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتلتها قتلك الله فقالت مي ما أصبحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسه
 كاد حرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقول بها إلا الذي أنا كاذبه
 اذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحر به
 فقالت الظريفة قتلتها قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

اذا راجعتك ^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضال الدرع سالبه
 فيالك من خد أسيل ومنطق رخير ومن خلق ^(٣) تعلل جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنذين لشأنا فقمين بنا فقمين وقمت معهن فجلست في
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبه ، فلبث
 قليلاً ثم جاءني ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتخفنتنا به مي وهذه قلائد
 للجؤذر ولوالله لأأقدهن بعيداً وشدهن بذؤابة سيفه ثم انصرفنا فمكان يختلف
 اليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتاني فقال يا عصمة قد رحلت مي ولم
 يبق إلا الآثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخر جناحني
 أتبنا منزلها فوق ينظر ثم قال :

ألا فاسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منها لا بجرائك القطر
 قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إلى الجلد وان كان مني ماترى .

ذى الرمة « فأبديت من عبي » وفي المصارع والامالي (فأسبلت العينان والقلب
 كاتم) . (١) في ديوان ذي الرمة (هوى الف جاء الفراق ونم تجل) .
 (٢) في الديوان والمصارع (إذا نارعتك) . (٣) في الامالي « ومن وجه » .

قال فأرأيت أحداً كان أشد منه صبا به ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا
وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبى ناره وما شعر دبت إليه عقرب وقت السحر
دبت إلى ظبي بعينيه حور ديب لوطى تواري وانتشر
فظفرت لاظفرت أى ظفر وهكذا العقرب للقمر

أحسن ما قيل في العيون: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي
قال قال أبو عمرو لا أصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يُجيبين قتالنا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً
وقال آخر قول ذى الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
وقال آخر بل قوله :

يدكرنى ميأ من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنصور
(مراراً) حشوا لا يحتاج اليه ، فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع ^(١) :

وكأنها بين النساء أطارها عينيه أحور من جاذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرقت في عينه سنة وليس بناسم
أخذ بعض المحدثين قول جرير وهن أضعف خلق الله أركاناً فقال :
كأنما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشي :

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني
أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج نفا قلت هذا عين ميّ وجيدها
ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لان متن السيف والحدّ قاطع
ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثمّ اثنتُ عنه فكادَ يهيم
وبلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهم ونزعهنّ أليم
ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جمل الفتور بعينه كحلا فحفتوه وحسن بها المسرة ؟

وقول الآخر :

ينظرون من خلل السجوف كأنما يمتطرن أحشاء الكريم نبالا

ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعت بنا تلك المهاجر في المهاجر

أمضى وأنفذ في القلوب بـمن الخناجر في الخناجر^(١)

وقلت : فأرعى تحت حاشية الدياجي شقائق وجنة سقيت مداها

إذا اكترت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهامها

وإن مالت بعطفه شمول سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى

لشعر العرب ؟ قال كذا يزعمون ، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العيون فأنشده

يبيّ جرير * أن العيون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كتبه السفلة

بالسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي :

نبارز أبطال الوغى فنبهدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب

وليست سيوف الهند تقني نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب

فبجن ثعلب استحسننا ثم قال اكتبوها ولو بالخناجر على الخناجر - كما في هامش الاصل .

وقال ابن الرومي :

نقسمها نصفان نصف مؤنث^١
تعبد من شءات^٢ بعين^٣ كأنها
وقلت : راحت^٤ فميس^٥ وحولها خرد^٦
فلأت^٧ طرفي من محاسنها
عين اهل السيف لحظتها

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^١ فيها يده
فسكرت^٢ لا أدري أمن سكر الهوى
وعدا قتم^٣ عليه عهد^٤ وسه^٥ ؟
وسقام عين لم تنق طعم^٦ السكرى
وقلت : إذا ما جاءني للأخذ^٧ غنى

وقال البحتري :

أجد النار تستعار^١ من النار
وقلت : يسعى^٢ الى^٣ مقرطق^٤ في كفه
وقد أطرف^٥ البحتري في قوله :

والذي صير الملاحه في عي^١ عي^٢ وقفاً والسحر في أجمانه
لا أطمع^٣ العذول فيه وإن أسس^٤ عرف في ظله وفي عذوانه
فدعا^٥ اللوم في التصابي فاني لا أرى في السلو^٦ مائريانه
وقلت : ومقلة كحميا^٧ السكاس مسكرة
وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل^١ شبيه^٢ بفرعها شبيباً^٣ بعينها وشكلاً^٤ بخدتها

(١) في نسخة د كزه ه مكان (كأشه)

فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ تَحْيِيكَ أَعْتَابَ الْكَؤُوسِ بَوْرَدَهَا
 وَقَالُوا أَجُودَ مَا قِيلَ فِي الثَّغْرِ مِنْ شِعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَوْلَ جَرِيرٍ :
 تَجْرَى السَّوَالِكُ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحْدَرُ مِنْ مُتُونٍ غَمَامٍ
 وَقَالُوا بَيْتُ النَّابِغَةِ :

تَجْلُو بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْسَكَةً بَرَدًا أَسْفَ لَثَاتُهُ بِالْأَثَمِ
 كَالْأَقْوَحَانِ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ جَفَتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى
 شَبَّهِ الشَّفَتَيْنِ لِرِقَّتِهِمَا بِقَادِمَتِي حَمَامَةٍ . وَقَالُوا بَيْتُ بَشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ :
 يُفْلَجُنَ الشَّفَاهُ عَنْ أَقْحَوَانٍ ^(١) جَلَاهُ غَبَّ سَارِيَةٍ ^(٢) قَطَارٍ
 وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالتَّقَى مَوْعِدُهُ لَنَا تَبَيَّنَ رَامِي الدُّرِّ مَنَا وَلَا قَطْعُهُ
 فَمَنْ بَرَدٍ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلَاؤُ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقُطُهُ
 وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ وَمِنْهُ أَخَذَ الْبَحْتَرِيُّ :
 إِذَا هُنَّ سَاقُطْنَ الْأَحَادِيثَ بِالضَّحَى سَقَطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ كَفِّ نَازِمٍ
 وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي بَيَاضِ الثَّغْرِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ أَيْضًا :

وَيَرْجِعُ اللَّيْلُ مَبْيَضًا إِذَا ضَحَكَتْ عَنْ أَيْبُضِ خَضَلِ السَّمْطَيْنِ وَضَاحٍ
 فَيَجْعَلُهُ يَجْلُو الظَّلَامَ لِبَيَاضِهِ ، وَذَكَرَ كَثْرَةَ الرِّيقِ فَقَالَ خَضَلُ لِأَنَّ قِلَّةَ الرِّيقِ
 تَوَرَّثَ تَغْيِيرَ الْفَمِ ، وَذَكَرَ حَسَنَ تَنْضِيدِ الثَّغْرِ فَيَجْعَلُهُ سَمْطَيْنِ . فَلَا يَرَى فِي هَذَا الْمَعْنَى
 أَجْمَعَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ . وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ طَبَّاطَبَا :

ثَغْرُهُ عِنْدَ سَرْدِهِ كَالْعَنَابِ الْمَزْرَدِ
 مَثَلُ دُرٍّ مُنْظَمٍ بَيْنَ دُرٍّ مُنْضَدٍ ^(٣)

وَقَدْ أَحْسَنَ الْبَحْتَرِيُّ وَأَبْلَغَ فِي قَوْلِهِ :

(١) فِي الْأَصْلِ «عَنِ الْخَوَّانِ» وَالتَّصْحِيحُ مِنْ «مَنْتَهَى الطَّلَبِ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ» .

(٢) فِي الْأَصْلِ (سَائِرَةٌ) . (٣) (مَنْضَدٌ) غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْأَصْلِ .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جسي التراح
 وشتمتاً يغضُّ من لؤلؤ النظر --- م ويُرزى على شتيت الاقاحي
 فاضاءت تحت الدُّجنة للشعر ب وكادت تضيقُ للمصباح
 وأشارتُ إلى الغناء بالخا ظِ مراض من التصابي صحاح
 فطربنا لمنَّ قبل المثاني وسكرنا منهمَّ قبل الرَّاح
 وتدير^(١) الجفون من عدم الألباب مالا يدورُ في الأقداح
 وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريع في أفواههنَّ عقيقُ
 دهاني منها نرجسٌ يرشق الحشا وهل نرجسٌ يالارجال رشوق
 ومبتسمٌ عذبُ المذاقة موق تجمع فيه لؤلؤٌ ورقيقُ
 وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن
 الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقبلت أفوهاً عذاباً كأنها ينابيعُ خمر خضبت لؤلؤ البحر
 فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
 البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :
 وما تعتبرها آفةٌ بشرية من انوم إلا أنها تنخرُ
 كذلك أنفاسُ الرياض بسحرة تطيبُ وأنفاسُ الأنام تغيرُ
 هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :
 ياربُّ ريقٍ بات بدرُ الدُّجى يمجُّه بين ثناياكا
 يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاكا
 ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
 سقته ابنة العمري من خمر عينها ووجنتها كأساً يميت ويدنفُ

فَقَالَ امزجوها بالزُّصَابِ لَمَلُهُ يَسْكُنُ مِنْ خَرِّ الْهَوَى وَيُخَفِّفُ
فَصَدَّتْ مِلْيًا ثُمَّ جَادَتْ بِرَيْقَةٍ يَزِيدُ بِهَا سَكْرُ الْحَبِّ وَيَضَعِفُ
فَرَأَى بَضْعِي سَكْرَهُ مِنْ مَزَاجِهَا وَقَدْ يَسْأَلُ الْمَدِلَ الْوَلَاةَ فَيَسْعَفُ
فَهَلْ مِنْ مَزَاجٍ زَادَ فِي سَكْرِ شَارِبٍ سَوَى رَيْقِ ذَاتِ الْخِلَالِ أَمْ أَنْتَ نَعْرِفُ
وَقَالَ : مَزَجْتَ خَمْرَ عَيْنَيْهَا بِرَيْقَتِهَا كَيْمَا تَسْكُفُكَفُّ غَى مِنْ حِمَايَا
فَاشْتَدَّ إِسْكَارُهَا إِذَا مَزَجْتَ وَمَزَجْتُكَ الْكَأْسَ يَنْهَى عَنْكَ طَعْمَايَا
وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ يَحْيَى عَنِ الرَّيَاشِيِّ قَالَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ أَحْسَنُ مَا قِيلَ
فِي الثَّغْرِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ :

وَتَجْلُو بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكَ كَأَنَّهُ مِنْ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يَنْفَحُ
ذُرَى أَقْحَوَانٍ وَاجِهَ اللَّيْلَ وَارْتَقَى إِلَيْهِ الْهِنْدِيُّ غَادِيَهُ وَالْمُتَرَوِّحُ
وَقَدْ أَحْسَنَ دَبِكَ الْجَنِّ فِي قَوْلِهِ :

وَقَهْوَةٌ كَوَكَبِهَا يُزْهِرُ يَنْفَحُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ
وَرْدِيَّةٌ لِحَدِّهَا ؟ كَأَنَّمَا مِنْ خَدِّهِ تُعْصَرُ
مُهْفَهْفٌ لَمْ يَبْتَسِمِ ضَاحِكًا مَذْكَانَ إِلَّا كَنَبِيذِ الْجَوْهَرِ ؟

وَقَدْ جَمَعَ كَشَاجِمَ فَأَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ :

الْبَدْرُ لَا يَغْنِيكَ عَنْهَا إِذَا غَابَتْ وَتَغْنِيكَ عَنِ الْبَدْرِ
فِي فَهْمِ مَسْكٍَّ وَمَشْمُولَةٍ صَرْفٌ وَمَنْظُومٌ مِنَ الدُّرِّ
فَالْمَسْكُ لِلنَّكْهَةِ وَالْخَمْرُ لِلسَّرِّ بِقَسَّةٍ وَاللَّيْثُ لِلثَّغْرِ

جَمَعَ ثُمَّ قَسَمَ تَقْسِيمًا صَحِيحًا وَلَمْ يَتْرِكْ مَزِيدًا . وَمِنْ الْبَارِعِ الْمَشْهُورِ فِي هَذَا الْمَعْنَى
قَوْلُ الصَّنَوْبَرِيِّ :

تِلْكَ لِلثَّنَائِيَا مِنْ عَقْدِهَا نَظْمٌ أَمْ نَظْمَ الْعَقْدِ مِنْ ثَنَائِيَا
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَحْسَنُ التَّقْسِيمِ :

وَتَّنَائِيَا وَرَيْقَةً كَفَدِيرٍ وَعَقَارٌ وَرَوْضَةٌ مِنْ أَقْلَحِ

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
وقال : قلتُ للكأس وهو يكرع منها
وقال : ياسر إن أنكرتني فلكم
بأبي حبيب كنتُ أعهده
عقب الكلام بمسكة نفحتُ
وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقة فتعلم أنه
وهو من قول بشار :

يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
وقول بشار من قول قيس :

كانَّ على أنوابها الخمر
وما ذقته إلا بعيني تفرُّساً
ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج
وقال ابن الرومي :

بدا لي وميضٌ مؤذنٌ أنَّ صوبه
وما ذقته إلا لشيم ابتسامه
وقال عمار بن عقيل (١) :

كانَّ على أنيابها مبيت السكرى
تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت
وقال آخر وأحسن : بأبي فهم شهد الحب له
كشهادة لله خالصة
وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره
والليل يرخى الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قد مالت الرقعة في شطره ومالت النظرة في شطره
 فازرعه غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدرى وإن لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدره
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 ونفره ينظم من عقده أم عقده ينظم من نفره
 فمن عذير الصب من صدمه ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يجزي على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهن يذبذن من قول بصين به مواقع الماء من ذى الغلة الصادي
 وقد أحسن القائل :

هي الدر منثوراً إذا ما تكلمت وكالدر منظوماً إذا لم تسكلم
 تعبداً أحرار القلوب بذلها وتملاً عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان في قوله :

لمبرك ما أجدى هواك سوى المتى على وما ألقاك إلا كما أخلو

ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل

الناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.

وعندي أن أحسن ما قيل في وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومي :

وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتيل المسلم^(١) المتحرز

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز

شرك القلوب وفتنة^(٢) ماملها للمطمئن وعقيلة المستوفز

(١) في من غاب عنه المطرب (العاشق) . (٢) في الأمل (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

واقعد سئمت ما ربي فكأن أطيبها خبيث
إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت : وحديث كأنه عقد ربا
وحديث الرجال روضة أنس بات يرقاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل
ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً
شريعاً في امرأة خفرة ؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيء بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما
قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعرشي :

كأن مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريت ولا عجل
قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي
قيس بن الأسلت (١) :

ويكرمها جاريتها فيزورها وتعتل عن إتيانها فتعتذر
أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازمة (٢) :

اني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم الكانِبِ الألفا
وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتاج له بأن يقال
الألف لاتعانق اللام إلا واللّام معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني حانقت ريحانة تنفست في ليلى البارد
فلو ترانا في قميص الدجى حسبنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^ه كأننا عقدا^ن في نحر
وقال التبوخي :

لله أيام^ه مَضِينَ قِطَاعِهَا وطوالها بالقاصراتِ قصار^ه
أخلو النهار على النهار وانى^ه والشمس^ه لى دون^ه الشعار شعار
خدا^ه ورد^ه والنواظر^ه نرجس^ه والثغر سوسن^ه والرضاب^ه عقار^ه
حتى اذا ما الليل^ه أقبل^ه ضمنا^ه دون^ه الازار^ه من العناق^ه إزار
فعلى النحور^ه من النحور^ه قلادة^ه وعلى الخدود^ه من الخدود^ه خمار
وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفت^ه الى الصبح^ه لنا ساق^ه بساق

في قناع^ه من^ه لثام^ه وإزار^ه من^ه عناق

وأشدد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عبيد كأنه الكاتب :

وكلانا^ه مُرْتَدِ صاحبه^ه كارتداء^ه السيف في يوم الوغى

بمخدود^ه شافيات^ه من جوى^ه وشفاه^ه مُرَوِيَاتٍ من ظما

نتساقى^ه الريق^ه فسيما^ه يئتنا^ه زَا اِمات^ه القطا^ه زغب^ه القطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعشى :

فأنضيت^ه منها الى جنبة^ه تدلت^ه على^ه عناقيد^هها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتمعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء^ه تسحب^ه من قيام^ه فرعها^ه وتغيب^ه فيه^ه وهو جئل^ه (١) أسحم

وكأنها^ه فيه^ه نهار^ه ساطع^ه وكأنه^ه ليل^ه عليها^ه مظلم

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي «وحف^ه أسحم» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والعدو الخنق
فكأننى وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق

وقد أحسن السرى القول فى سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها (١)
أغصان بان أبدعت (٢) فى حملها
طالت لىالى الحب بعد فراقها
ولرب لىالات بهن تفرجت
ماكان ذاك العيش إلا سكرة
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها (٣) وبهجة زهرها
لم تبلى عينك أبيضاً فى أسود
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سناسل كسرت حلقة
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة
فهل أنت باك على اثره
سيكثر من بعد ترحاله
بنفسى الذى قلقه وشحه
يريك الحنادس إدباره
مليح الدلال قليل النوال
وقلت : رخيم فاطر اللحظ
شعرك كسرت حلقة
إذا مانت عنك أجماله
وهل تشجيك أطالاه
توجع صب وإعواله
وضاق بما فيه خلخاله
ويبدى لك الصبح أقباله
جميل وان قل أجماله
رشيقة مخطف الخصر

(١) فى ديوان السرى (جباها). (٢) فى الديوان (أغربت). (٣) فى الاصل (حدامها).

وقد مُعِمَّ بالليل وقد قنع بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصيبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه ^(١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكما أردافه في خصره ومصافحاً خالخاله بضفائره
ويكتم الأسرار حتى إنه ليصونها من أن تمر بخاطره
لا تمصين على قتي يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خالخاله بضفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
نعم أعجازهن عوماً وتثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفردة ^(٢) المثل والقرين
بانوا بروحي فصرت ^(٣) وقفاً لا بي حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجهها كي ظلمة الليل فوق ضوء الصباح
وقال السري :

قصرت ليلة الخورنق حسناً واليالي الطوال فيه قصار
إذ وجوه الأنام فيه رياض ومياه السرور فيه غمار
وجنات تحير الورد فيها ونغور جرت عليها المقار
فضحاه من الذوائب ليل ودجاء من الحدود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجهها خنادس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزة المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى

ولسكنها عن وجهه تنفرج

ففيه ظلام بالصباح معمم

وفيه صباح بالظلام متوج

يروق سليمى منك جعد مسلسل

ويسليك منها أقحوان مفلج

وفرعك من صبغ الشباب ممسك

وخذلك من ماء الجمال مضرج

ووجهك مثل الروض يغسله الحيا

تمشطه أيدى الرياح فيهبج

أبلغ ما قيل في صفة الاصدغ والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :

له ظمرة كجناح الغداف

تلوح على غمرة مقمرة

وفي عطفة الصدغ خال له

كما استلب الصولجان السكره

وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت

لما دنت من نار جنته

وقوله : غلالة خدّه وردّ جنى

ونون الصدغ منقوطة بحال

وقلت : وكان دائرة صدغه وعداره

ألف تقوم تحت نون تعطف

وقال ديك الجن :

فقام مختلفاً كالبدر مظافاً

والخشف ملتفتاً والغصن منقطعاً

رقت غلالة خديه فلو رميا

باللحظ أو ماها بأن يكفا

كان لآماً أدبرت فوق وجنته

واختطّ كاتبها من تحتها ألفا

وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته

رأيت تفاعّة بها عضه

وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر

والرّوض بين مجدد ومدبج

فإذا شربت فمن رحيق سلسل

وإذا رشفت فمن شتيت أفلج

من ريق أهيف كالقضيبي مخضرا

أو كف أباج كالصباح الأبلج

فإذا جلا لك غرة في طرة

ألوى بقلبك أبج في أدعج

فانظر عناق ممسك لمكفر

يجلوه حسن مفلج ومضرج

وإذا تماق خدّه وعداره

فانظر عناق عقائق وبنفسج

وقال آخر : عجبي الخضرة زعفران عذاره

ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم ثلثي مناطقه على هضم الكشحين مشوق
بمطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء معشوق
مسطر الخد بالعدار ولا يحسن غصن إلا بتوريق
وقلت : له وجنتا ورْد وعينا غزالة وغرّة اصباح وطرة غيب
وصدغ يناجي الأذن وهو مُعقرب وطوراً يناغي الخد غير مُعقرب
له من ظلام الليل أحسن ملبس وفوق ضياء الصبح أحسن ملعب
وقال الصنوبري :

تلك طرارٌ عليك أم حلق زانك صدغان أم هما زرد
وقلت : يفتن القلب بخد لم يدع للورد قدرا
مثلهما تكتب بالمسك على الكافور سطرًا وعذار يسحر الصب
وبصدغ دار في الخد وما يعرف سحرا
كلما أظلم (ليلي) ^(١) كان (لي) وجهك فجرا

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزرّت يوسف الحية ولكنه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من حبه في التحائم فما يحسن الدينار إلا مسيفا
وقال في خضرة الشارب :

تبسم إذ ما زحمته فكأنما تكشف عن درحجاب زبرجد ^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلوقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد) .

وقلت : وعما فقت خلف من صدغه خلفا كالعين في العينِ وكالجيم في الجيم ؟

وقلت وليس من هذا الباب :

كأنما النور مضحكٌ يقق وعطفةُ الغصنِ شاربٌ خضر

وقلت : وترى النورَ مثلَ مضحكِ خود وترى الغصنَ مثلَ شاربِ أمرد

ولعبد الرحمن السبلي رجل من أهل خراسان :

وشادن سائقات الشعر قد سلكت في طارضيهِ على جهيد بها طرقا

هذا البيت متكلف جداً :

لما رأت أنها قد أخطأت وجنت ولت آعود فدارت كلها حلقا

وهو مأخوذ من قول كشاجم :

علم الشعر الذي عاجله أنه جار عليه فوقف

فقال هذا (وقف) وقال عبد الرحمن (دارت حلقا) الفرق بينهما هذا .

وقلت : لا والذي دار من صدغيك وانعطفنا وصار نونا إذا صيرته ألفا

ما كنت إذ خنتني إلا أخائقة لم تستعص منه إذ ضيعته خلفا

لم أسبق لمعنى البيت الأول .

وقلت : قد التوى ضدغه واختط عارضه كأنه ألف من فوقه نون

وقلت أيضاً ولم أسبق الى معناه :

ومغنيج قال الكمال لوجهه كن مجمعا للطيبات فكانه

زعم البنفسج أنه كعادره حسنا فسلوا من قفاه لسانه

أعنى الهنة النابتة تحت ورقة البنفسج : وقلت :

بنفسج عارضه ينثني إلى حمرة من وجنتيه

فيجعل قلبي في كفه يسيء إليه ويمدو عليه

وقال ابن المعتز :

والصدغ فوق العذار منكسر كصو الجايت يرد ضربته

وقال : وصدغه كالصولجان المنكسر

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبير العجيزة : أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان ، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشأ في البيت ملزوم
قال لم تأت بشيء ، فأنشديت ذى الرمة :

ترى خلفها نصفاً قناة قويمه ونصفاً نقلاً يرتج أو يتمرمر
وأنشديت الأعمش :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^٢ إذا تمشت يكاد الخصر ينحول^(٢)
وأنشديت ذى الرمة :

عجراً ممكورة خصاصة قلق^٣ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)
فقال أحسن من هذا كله قول الحارث :

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط
قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال :

سلى وتسلى تفوق المنى ؟ والوصف أنواعاً وألواناً
وشاحها يحسد خالها كجائع يحسد شعباناً
نقله إلى وصف السلو ، وأخذ ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال :

وظباء غرائر مشبعات المآزر

ومن البدیع قول أبي نواس :

وريان من ماء الشباب كأنه يظأ من ضمير الحشا ويحاج

(١) في ديوان علقمة (خربة) . (٢) في ديوان الأعمش (بنخزل) .

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها ، والقصب : العظام التي بها المخ .

أخذه الآخر فقال :

ظبي^١ كان^٢ بخصره من ضميره ظمأ وجوها
وقلت : وقد بعصن أوفانا كشامات كافور
وقد شددت زناييراً على مثل الزنابير
وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زناير شددن عقودها زناير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل رجبتي تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد^(١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً^(٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه
يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبه من طرفه
وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرقيق وطيبه ومزاج شارب ومشي نريسه
وقلت : لا والظباء الآسأت إذا رانت فاقتن حسن عيونهن فتونا
ان لحن لحن كواكباً ونحن نحسن لظائماً أو ملن ملن غصونا
والدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا
ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خؤونا
وقبل هذا مترجرج الاردا ف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد يقعد ايما
داب النعيم له فاشمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الغم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني
أخدمه بالضيم خدمة لو تصورت له لرآها الراي روضاً مطوراً ووشياً منشوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأمل إلى خالد الكاتب . (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

وَأَوَاظُ مَنْظُومًا وَمَنْشُورًا بَلْ لَا بُصْرَ أَعْطَافِ الْفَتَيَانِ تَنْشِي تَنْشِي الْأَغْصَانِ فِي قِرَاطِقِ
الْخَبِيرِ وَمِنْ رَسَرَاتِ الدِّيْبَاجِ وَالْخَرِيرِ وَقَدْ أَطْلَعْتَ أَزْرَارَهُمْ بِوَاهِرِ الْأَقْطَارِ مَطْرَفَةً
بِمَقَارِبِ الْأَصْدَاغِ وَحَلَقِ الْأَطْرَارِ فَأَقْبَلُوا بِسَفْرُوفٍ عَنْ غُرَةِ الصَّبَاحِ وَيَسْمُونَ
عَنْ حَبَابِ الرَّاحِ وَيَمْزُجُونَ الدَّلَالَ بِخَجَلِ أَسَارِهِ فِيهِمُ الْوَصَالُ فَإِذَا حَضَرُوا وَكَلُوا
الْأَبْصَارُ وَإِذَا غَابُوا الْمَتَوَهَّبُ وَالْمَقَابِ وَالْأَفْكَارُ فَهَمُّ الدَّاءِ وَالِدَوَاءُ مِنْهُمْ السَّقَمُ وَالشِّفَاءُ .
وَمِنْ الْإِفْرَاطِ فِي ذِكْرِ الْغَيْدِ وَهُوَ لَيْنُ الْقَامَةِ قَوْلُ مَالِي ^(١) :

أَتَمْنِي الَّذِي إِذَا أَنَا أَوْمَأْتُ إِلَيْهِ بِطَرْفِ عَيْنِي تَجَنَّبَنِي
أَهْيَفُ كَالْفَضِيبِ لَوْ أَنَّ رِيحًا حَرَّكَتْ هَدْبَ ثَوْبِي لَتَشَنَّنِي
وَأَجُودُ مَا قِيلَ فِي النُّهُودِ وَعَظُمَ الْمَجِيزَةُ قَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ : بِيضَاءُ جَمْعُهُ لَا يَمَسُّ
الثَّوْبَ مِنْهَا إِلَّا مَشَاسِنُهُ كَتَفِيهَا وَحَامَتِي تَدِييُهَا . أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ أَوْ أَخَذَهُ الْأَعْرَابِيُّ
مِنْ الشَّاعِرِ :

أَبْتُ الرَّوَادِفُ وَالْثَدْيُ لَقَمَصْهَا مَسَّ الْبَطُونِ وَإِنْ تَمَسَّ ظَهْرُهَا
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَمَازَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا
وَقُلْتُ : تَمْشِي بِأَرْدَافِ أَيْبِنَ قَعُودَهَا بَيْنَ النِّسَاءِ كَمَا أَيْبِنَ قِيَامَهَا
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ فِي النُّهُودِ :

يَا غُصْنًا إِنْ هَزَّهْ مَشِيهُ خَشِيتُ أَنْ يَسْقُطَ رُمَّانُهُ
إِرْحَمِ مَلِيكًَا صَارَ مُسْتَعْبِدًا قَدْ ذَلَّ فِي حَبْكِ سُلْطَانِهِ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ عَنِ الْعَكْلِيِّ عَنْ ابْنِ خَالِدٍ عَنِ الْهَيْمِيِّ
ابْنِ عَدَى قَالَ قَعَدَ أَعْرَابِي إِلَى جَانِبِ دَارِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيٍّ بِالسَّكُوفَةِ فَخَرَجَتْ جَارِيَةٌ
فَطَفَّقَ الْأَعْرَابِيُّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مَا نَظَرُكَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِكَ أَقْبَلَ عَلَى شَأْنِكَ
وَاصْبِرْ ، وَالْجَارِيَةُ تَسْمَعُ - فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ رَبَّلَاتِ تَصْطَاكِ وَغُصْنُ يَهْتَزُّ وَتَدَى لِحْرَقِ
أَهَابِهِ وَتَقُولُ اصْطَبِرْ ، فَضَحِكَتْ الْجَارِيَةُ وَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا مَدَحَنِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا مَدَحَنِي

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر السكامن وأنت لما يما يكنى عنه الريلات بجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أبا ورداً على غصن بكرٍ اللحظ يلقطه
ورماناً على قن يكادُ المشي يسقطه
أنى والبدرُ يحسدهُ وشمسُ الدجن تغبطه
وخوفُ الناس يقبضه وحبُ الوصل يبسطه
وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِكَ أن تمجرى وأقبح من ذلك أن تمجرى
أفانتي بفنور الجفون ورؤيتين على منبر
كحقيق من لب كافورة برأسيهما نقطتا عنبر
والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسي الداعيات إلى الضبا وقد فاجأتها العينُ والسر واقع
فقطت بكفها (١) ثمارَ نخورها كأيدى الأسارى أنقلتها (٢) الجوامع
وهو حسن جداً ومثله قول النميري :

أعميرُ كيفَ بحاجة طلبت إلى صم الصخور
لله درُّ عداكم كيف انتسبن إلى الغرور
ولقد تبیت أناملي تجنين رمان الصدور
وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قيب البطن وطى العكن
يملاً الكف ولا يفضلهُ وإذا أثبتته لا ينثنى
وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورٌ فوقهن حقائق عاج وحلى زانه حسن اتساق

(١) في ديوان الصريع « فقطت بأيديهما » . (٢) في الأصل « أفقلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الحلى من هذى الحقائق
أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يافر :
يسمى بها ذو ثؤميتين مقرطق^(١) قنأت أنا ملة من الفرصاد
فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :
يا قمرأ أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
بيكي فيلقى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
وقال ديك الجن :

ودعتها لفراق فاشتكت كبدي وشبكت يدها من لوعة يدي
وحاذرت أعين الواشين وانصرفت تعض من غيظها العناب بالبرد
فكان أول عهد العين يوم نأت بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قالوا الرّحيل فأسرعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
فاخضر موضع كفها فكأنما غرست بأرض بنفسج عذابا
وقال النّاشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

من كفّ جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرّفت عذابا
وكأنّ يمناها إذا نطقت به يلقي على يدها الشمال حسابا
وقال أيضاً : لنا قينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمتين
تخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
وقال : متعاشقان مكثمان هواهما قد نام بينهما العتاب قطابا
يتناقضان اللحظ من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا
وإذا هدّت عين الرقيب تخالست كفاهما حلس السلام سلابا
بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأنما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق) .

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنبيه له عناباً
يدكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :

انظر الى النقش من أطرافها البضة مثل البنفسج منشوراً على فضه
أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غضه
ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول النمر بن تواب :

كعاب عليها لؤلؤٌ وزبرجدٌ ونظم كأجوان الجراد مفصل
قوله « كاجوان الجراد » غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .
ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعات
وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث
أحسن ما قيل في صفة الدمع اذا امتزج بالدم قول أبي الشيبس :

لهوت عن الأحزان اذا سفر الضحى وفي كبدي من حرهن حريق
مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يسذاب عليها لؤلؤٌ وعقيق
وقول أبي تمام : نثرت فريداً مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم^(١)
وصات نجيعاً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
وقال : أبيت أراعي أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل تراعونها بعدى
ودمع نثرت دُرره وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
لو كنت يوم الوداع حاضرا وهن يطفئن لوعة الوجد
لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد
كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد
ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجوا المغرم) . (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجيع)

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَرَاحَ الدَّلُّ وَدَعَتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَحَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ طَلٌّ

وَمَنْ أَجْمَعَ بَيْتَ قِيلَ قَوْلَ الْمُحَدِّثِينَ :

فَأَسْلَبَتْ لَوْ لَوْ أَنَّ مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ وَرَدَّ أَوْ عَضَّتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرَدِ

لَيْسَ لِهَذَا الْبَيْتِ نَظِيرٌ . وَقُلْتُ :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجَنَّتُهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُّ وَرْدَةَ غَضِهِ ؟

وَمَنْ الْمَشْهُورُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ وَهُوَ حَسَنٌ :

كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى حَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْدَانِ

وَنَحْوَهُ مَا أَنْشَدْنَاهُ أَبُو أَحْمَدَ فِي الْعَرَقِ :

يَحْدِرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةٍ وَجْهَهُ مِنْ الْفَمِ سَحَابٌ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فَرَادَى وَمَثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِيطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ

وَمِثْلُهُ مَا قُلْتُ :

أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَالْغَضِيهِ يَحْسَدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضَهُ

كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جَسَمِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسَةٍ غَضِيهِ

وَفِي صِفَةِ الدَّمْعِ :

تَوْرِيدُ دَمْعِي مِنْ خَدَّيْكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمُ جَسَمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٍ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو هَوَاكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ

وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي امْتِلَادِ الْعَيْنِ مِنَ الدَّمْعِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَظْنَهُ :

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ فِي مَعْنَاهُ :

وَيَحْسَنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ الْمَوْتُ الصَّقِيلُ

وَقَعْنَا وَالْعَيُونُ مُشْغَلَاتٌ يَعَالِجُ دَمْعَهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ (١)

(١) فِي أَمَالِي الْقَالِي (بِغَالِبِ دَمْعِهَا نَظَرُ كَلِيلِ) .

نَهْتَهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَعْلُقَ لَا يَفِيضُ وَلَا يَسِيلُ
قوله «يحسن دأها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولا أنظنه له :
بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَبَدَدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغِرَامُ سِرَّائِي وَأَظْهَرَ لِلْعَذَّالِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي
وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي
وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :
قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبُكَاءِ رَاحَةٌ وَعَنَّانٌ سَرَّيَ فِي يَدِ الْكُتْمَانِ
حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشْيَاءَ رَقَاتُ دُمُوعِي خَشْيَةَ الْإِعْلَانِ
ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ فَمَلَّ سَمْعِي بِمَسَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
وَقُلْتُ : أَشْكُو الْهَوَى بِدُمُوعٍ قَادَهَا قَلْقُ حَتَّى عَلِقَنَ بِجَمْنٍ رَدَّهَا الْغُرُقُ
فَفِي فُؤَادِي سَبِيلٌ لِلْأَسَى جَدُّهُ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلْقُ
لَهَيْبٌ قَابِي أَفْضَلَ الدَّمْعِ مِنْ بَصَرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ
ولا أنظني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَإِطْمَةُ خَدٍّ تَجْعَلُ الْوَرْدَ دَخْرًا وَتَنَارُ دَمْعًا لَا يَبَاعُ بِأَثْمَانِ
ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرَا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرَا
لَأُحَادَ تَفَاجَ الْخُدُودِ بِنَفْسِجَا لَمْ يَ وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عُنْدَرَا
وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجا عن المبرد يوم أبيت ذى الرمة :
لَعَلَّ الْإِحْدَارَ الدَّمْعُ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِي الْبَسَابِلِ
وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى ففيه مسلاةٌ وتسهيل
وهو إذا أنت تأملتَه حزنٌ على الخدين محلول

وقد ملح العباس بن الأحنف :

إني لأجحدُ حبكم وأسرُّه والدَّمعُ معترفٌ به لم يجحد
والدَّمعُ يشهدُ أنني لك عاشقٌ والناسُ قد علموا وإن لم يشهد
وقال : طالَ عمـدى بها فإما رأيتني نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لأجوابَ لمفحم متحير إلا الدَّموعُ تصانُ بالاطراف
قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :
تقول غداةَ البين عندَ وداعها لك السكبد الحريّ فسر ولك النصير
وقد سبقتها عـبرةٌ قد موعها على خدَّها بيضٌ وفي نحرها حمر
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .
ومن غريب المعنى قول الآخر :

عَدَّتْ بأحبي طولُ المطايا فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكان الدَّمعُ لي ذخراً معدّاً فأنفقتُ الذخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن
متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو
المعرض قتر كته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى ورصفاً وذلك قليل
ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فمن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
يضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ مؤزرٌ بعيم النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وما ريح قاع ذى خزامى وحنوة له أرج من طيب النبات طازب
بأطيب من مى إذا ما تقلبت من الليل ومنى جانباً بعد جانب (١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين . ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية :

خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبثاً بطيب ويكثر
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إن القبيحة جلدها لا يشكر

قوله (شكر الكرامة جلدها) في غاية من الحسن . أخذه ابن الرومي فقال :

ألوف عطر تذكى وهى ذاكية إذا أساءت جوار العطر أبدان

نعيم كل نهار من مجامرها ويشمس الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعشان الندى يشماها شمس عليها ضبابات وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامي ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ

بديعة وهو قوله :

وما ريح قاع زاهر مست الندى وروض من الریحان سحت سمائه

فجاء سحيراً بين يوم وليلة كما جر من ذيل الغلالة صاحبه

بأطيب من أثواب شمر موهبا إذا الليل أدجى دابر كتائبه

إذا رغبت عن جانب من فراشها تضووع مسكاً أين مالت جوانبه

وقد طرف ابن الأحنف في قوله :

ذ كرتك بالريحان لما شمته وبالريحان لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وما ريح رَوْض ذى أقاح وحنوة وذى نفل من قلة الحزن عازب

بأطيب من ليلي إذا ما تمايلت من الليل ومنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرحمة (١) منك روائحة (٢) وبالرحمة طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرت أيام اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه يد كركي منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب ؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ربحه ربح طيب الاولاد * وقلت :
 يربى وفد الصبا والليل يقضي نجه
 مر بروض زاهر ذر عليه عشب
 فحاته من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم (٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري (٤) :

أضوع مسكاً بطن نعان إذ مشيت به زينب في نسوة خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربيع الذي غير البلاء عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تدايب ربيع المسك فيه وإنما به المسك إذ جرت به ذيلها جل
 وقوله : وأنت الذي حبت سعاد إلى بدا إلى وأوطاني بلاد سواهما
 حلت بهن مرة ثم مرة بهن فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالفتح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الخسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواسي . (٤) « النميري » ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه « عطرات » بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرض يممها^(١) وإن مضت لها حبيج يزداد طيباً تراها
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجد الناس ساطع المسك من دجـة قد أوسع المشارب طيبا
فهم يفكرون ذلك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحتري : فكان^(٢) العبير بها واشيا
وقلت : تأملت منها غزالاً ريبيا
جئت لك عن خضيل واضح
وهزت لنا بسراة الكثيب
عشية راحت وأتراها
كواكب ليل إذا ما رأت
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول
إذا زدتها نظراً زدتنى
رحلن العشية من ذى الغضا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيب من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حلبيها والحلي فيها الدر والجوهر
ولو قيل ان هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمريء القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) في الأصل (دمنتها) . (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ما عليه
لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع في النفوس .

أناها بعطر أهلها فتضاكت^١ وقالت وهل يحتاج عطر^٢ إلى عطر
وقد أجاد البحتري :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان
وأنشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى الأيام مضت^٣ وكان معهدا حلوم
أيام يقى لي ويف---ني رهطه الرجل العريم
إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب^(١) :
ولولا أن يقال صبا نصيب^٤ لقلت بنفسى النشء الصغار
بروحى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار^٥
إذا ما اللذ ضاعفن الحشايا كفاها أن يلات لها الأزار^٦
ومن ملبح ذلك قول عوف بن محم^(٢) :

وصغيرة علقتهما كانت من القن السكار
كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقدم ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعب^٧ عما يقامى الهائم^٨ الصب^٩
شكوت ما ألقاه من حبها فأقبلت تسأل ما الحب^{١٠}
ومن ملبح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأنشد عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم خير المطي لدى^{١١} ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست^{١٢} حبة لؤلؤ لم تنقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخزاعي الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) .

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: إِنْ الْمَطَايَا لَا يَلْنُّ رُكُوبُهَا مَا لَمْ تَذَلَّ آلُ بَالِزَّمَامِ وَتَرْكِبِ
وَالدَّرُّ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ مَا لَمْ يُؤْلَفْ فِي النِّظَامِ وَيُثَقَّبِ
قَدْ أَحْسَنَّا جَمِيعًا إِلَّا أَنْ وَجْهَ السَّكَلَامِ أَنْ يُقَالَ يُثَقَّبِ وَيُؤْلَفُ فِي النِّظَامِ .
أَصْدُقُ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْحُبِّ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يَدَارِي فِي الْهَوَى حَتَّى يَشْكُوكَ فِيهِ فَيُؤْكَذِّبُ
الْحُبُّ أَمَلُكَ لِلْفَوَادِ بِقَهْرِهِ مَنْ أَنْ يَرَى لِلسَّرِّ فِيهِ نَصِيبَ
وَقُلْتُ : آفَةُ السَّرِّ مِنْ جَفْوِ نِ دَوَامِ دَوَامِ

كَيْفَ يَخْفَى مَعَ الدَّمْعِ عِ الْهَوَى فِي الْهَوَامِ
مَا رَأَيْنَا أَخَاهُ هَوَى سَرَّهُ غَيْرَ ذَائِعِ
أَنْ نِيرَانَ حُبِّهِ بَادِيَاتِ الطَّوَالِغِ

مَنْ أَظْرَفَ مَا قِيلَ فِي ذِكْرِ الشَّرَكَةِ فِي الْهَوَى مَا أَنْشَدَنِي أَبُو أَحْمَدَ :

مَالِي جَفْنِيْتُ وَكُنْتُ لَا أَجْفَى وَعَلَامَةُ الْهَجْرَانِ لَا تَخْفَى
وَأَرَاكَ تَمْزِجُنِي وَنَشْرِبُنِي وَلَقَدْ عَهْدَتِكَ شَارِبِي صَرْفَا
وَقَدْ أَحْسَنَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ قَوْلُهُ :

يَا فُوزُ لَمْ أَهْجُرْكُمْ لِمَلَلَةٍ مَنَى وَلِالْمَقَالِ وَاشِ حَاسِدِ
لَسَكُنْفِي جَرِبَتْكُمْ فَوَجَدْتَكُمْ لَا تَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ وَاحِدِ

وَقَدْ جَاءَ أَبُو نُوَاسٍ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ قَوْلَ الْعَبَّاسِ أَطْبَعَ ، قَالَ أَبُو نُوَاسٍ :

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
فِيَا مَنْ لَيْسَ بِكُفْيِهَا مُحِبًّا وَلَا أَلْفَا مُحِبًّا كُلِّ عَامِ
أَطْلُوكَ مِنْ بَقِيَةِ آلِ مُوسَى فَهَمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ

وَمَا سَبَقَ بِهِ الْعَبَّاسُ الشُّعْرَاءَ كُلَّهُمْ قَوْلُهُ :

أَحْرَمَ مِنْكُمْ بِنَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مِنْ عَشَقُوا
صَرْتُ كَأَنِّي ذِبَالَةٌ نَصَبْتُ تَضْيِئُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كلیلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
یومیء قول البحتري :

قصائد ماتنك فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمة الانساب فيها وسائل^ه الى غير من يحجب بها وذرائع
ومما سبقت اليه من المعاني ما قلته :

رفع الستر فانشى غصن^ه بان يتجلى الهلال في معناه
ليس لي أن أنال ما أتمنى من جنى وصله الاذيد جناه
فلو أنى كنت في بعض شعري فاذا ماشداه قبلت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المعشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبدالرحمن عن عمه :

وما نطفة^ه كانت سلاله^ه بارق تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلتم بعدما حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخت حتى لو أنى سألها قذى العين من ضاحى التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المعشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :

ظي^ه له من قلوب الناس نابتة^ه من المودة تجنى أطيب الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجهته دمعاً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تثبت الابصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كل شيء من محاسنها كامن في حسنه مثلاً
ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالاً

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما أعدها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خبله
أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
انظر فما عابت في غيره من حسن فهو له كله
لوقيل لأحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
أي خصال حازها سيدي لو لم يكدر صفوها مطله
وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما خلاها محال
للناس في الشهر هلاله من وجهها كل صباح هلال
وقال: متتائه بجماله صلف لا استطاع كلامه فيها
لو كانت الأشياء صورته حتى إذا كملت تاهت على التيهاء
وقال: ألاحظ حسن وجهته فتجر حني وأجر حها
وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلى هو لك فلم يزل شكوى الحزين
وكان كأنك إشراقاً وحسناً وقلة رحمة المستكين
أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب:

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنت بحاجب
وقد مر قبل . ومن ظريف ما جاء في ذلك قول ابن الرومي:

ماسأني إعراضه عني ولكن سرقي
سأفتاه عوَض عن كل شيء أحسن

وقال الآخر وأحسن:

صدّ عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيله
صدّ عني من غير جرم إليه ليس إلا لحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبه له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تجنيه عليه قول بعضهم:

شكوت فقلت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشبيح الصب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

وبخطي عذري وجه جرمي عندها
إذا أذنبت أعددت عنراً لذنبيها
بذكرك مات اليأس في حضرة المني
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجرَ حالياً
نزلت على حكم الصبابة والهوى
ولولا الهوى ما كنت أمل باخلا
ومن شأنه أني إذا ما ذكرته
على أنني أنأي فأدنو تذكراً
ويعجبني حبي له وصبابي
فلو ظنني أسلوه لم أك هاجراً
ولكن عشقي في ضمان جفونه
ومن أصاب وصف العاشق الصادق العشق على حقيقة الذي يقول :

إذا قربت داره كلفت وإن نأت
وإن وعدت زاد الهوى لانتظارها
ففي كل حال لا محالة فرجة
ومثله قول الآخر :

وما في الأرض أشقى من محب
نراه باكباً في كل حين
فبيكي إن نأوا شوقاً إليهم
وان وجد الهوى حلو المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
وبيكي إن دتوا خوف الفراق

فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَسُّاتِي وَتَبْرُدُ ^(١) عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَسُّاقِي
ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :

اِذَا رَضِيتُ لَمْ يَهْنِ ذَلِكَ الرِّضَا لَصَحَّةٍ عَلَيَّ أَنْ سَيِّبَهُ عَنَبٌ ^(٢)
وَأَبْكِي إِذَا مَا أَذْنِبْتُ خَوْفَ عَتَبِهَا ^(٣) فَاسْأَلِهَا مَرْضَاتَهَا وَلَهَا الذَّنْبُ
وَصَالِكُكُمْ صَرْمٌ وَحَبْكُكُمْ قَلِي عَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلَامُكُمْ حَرْبُ

ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد ويروى لفضل الشاعرة :

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ رَاضِيَةً عَنِ بَذَاكَ الرِّضَا بِمَغْتَبُطِ
عَلَمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيِّبُهُ مِنْكَ التَّجْنِي وَكَثْرَةُ السَّخَطِ
فَكُلُّ مَا سَاءَ لِي فَعَن خَلْقٍ مِنْكَ وَمَا سَرَّ لِي فَعَن غَلَطِ

ومن البديع في طلب نيل المَشُوق قول الآخر :

عَدِينَا مَوْعِدًا ثُمَّ اجْعَدِينَا فَمَنْ مِنْ مَبْطُلٍ حَقًّا بِجَعْدِ
وَالْإِفَانْدِلِي مِنْ غَيْرِ وَعَدِ فَقَدْ تَسَكَّفَ السَّمَاءُ بِغَيْرِ رَعْدِ

وقلت في نحو ذلك :

تَسِيَّ عَلَى بَعْدِ الدِّبَارِ تَنَائِيَا وَخَلْفَكَ عِنْدَ الْقَرَبِ مِنْ عَصَبِ الْبَعْدِ
كَثِيرِ سُرُورِي فِي قَلِيلِ وَقَائِهِ وَعِنْدَ ابْتِسَامِ الْبَرْقِ قَهْقَرَةُ الرَّعْدِ

ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المَشُوق بالقليل قول جميل :

أَقْلَابُ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ لَمَلَهُ يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ تَنْظُرُ
ومثله قول ابن المعلوط :

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَلْبَسُ أُمَّ عَمْرُو وَإِنَّا فَذَاكَ لِنَا تَدَانِ
بَلِي وَأَرَى السَّمَاءَ كَمَا تَرَاهَا وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي

وأنشدني أبو أحمد عن ابن الأنباري لجميل ^(٤) :

(١) في الأصل (تسخن). (٢) في ديوان ابن الاحنف (لعلني به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر العذري

وانى لأرضى من بثينةً بالذى لو استيقن الوشى لقرت بلابله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قد خاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخره لا نلتقي وأوائله
 وكان جميل يصدق فى حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلت منها محرماً غير أنى إذا هى بالت بلت حيث تبول
 وعفة هذا كفة المتنبي فى قوله :

انى على شغفى بمافى خمرها لأف عافى سراويلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثني
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريد أنسى ذكركها فكأنما تمثلى لى لى بكل سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أم عمر وداؤه ودواؤه لديها وريها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى ترأسله
 ويهتز المعروف فى طلب العلى لتحمد يوماً عند سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلت عساها إن مرضت تعودنى فأحببت لو آتى غدوت مر يضاً
 وزدت اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبح جاهي عندهن عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبى المطاع :

كان كثير راوية جميل وجميل راوية هدية وهدية راوية الخطيئة والخطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وفيات الأعيان (وبالأملى المرجو) .

أفدى الذى زرتة والسيفُ يخترقني ولحظُ عينيه أمضي من مضاربيه
فما خلعت نجاداً في العناق له حتى لبستُ نجاداً من ذوائبه
فباتَ أنعمنا بالآ بصاحبه من كان في الحب أشقانا لصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر :

يقدر الصباقة عند المغيب تكون المسرة عند الحضور
وأطيب ما كان برد الثغور إذا هو صادف حراً الصدور
ومن المختار في صفة العذار :

وقلت الشعرُ يسليني هواه ولم أعلم بأن الشعرَ حيني
فظلتُ لشقوتي أفدى وأمى سوادَ عذاره بسوادِ عيني

ومن أعجب ما قيل في التهلك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ما تصنعُ الشمسُ له فيا
بأى وجهٍ أتلقاهم إذا رأوني بعدهم حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومي :

أسماءُ أى الواعدين تربيته أشدك ما مطالاً فاني لأدرى
أأنتِ بنيل منك يبرد غلتي أم النفس بالسوان عنك وبالصبر

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولي
عن هارون بن عبد الله المهلي قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هي الشمسُ مسكنها في السماء فعزَّ الفؤادَ عزاءَ جميلا
فلن نستطيعَ إليها الصمودَ ولن نستطيعَ إليك النزولاً

ومن البديع القليل النظير قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :
قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدرى أنه صدقا
وهذا معنى غريب بدیع ما أظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * النخ قول الآخر :
شكوت^٢ إلى بدرٍ هوأي فقال لي ألتست ترى بدر السماء الذي يسرى
فقلت بلى قال التمسهُ فإنه نظيري ومثلي في علو وفي قدر
فإن نلتهُ فاعلم بأنك نائل وإن لم تنله فابغ امرأ سوى امرئ
فكان كلا البدرين صعباً مرامه^(٣) فويل من بدر السماء ومن بدرى
ومن الغريب البديع في مدح الفراق لكان القبله والاعتناق قول محمد بن
عبد الله بن طاهر :

ليس عندي شحط النوى بمظلم فيه غم وفيه كشف غوم
من يكن يسكره الفراق فاني أشتيه لموضع التسليم
إن فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقه لتقديم
فلکم قبله وغيبة شهر (هي) خير من امتناع مقيم
وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كان في الفراق عناق جعل الله كل يوم فراقا
أجود ما قيل في خفقان القلب قول قيس بن ذريح^(٣) :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها^(٤) شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

فلولا التضمين الذي فيه لكان غاية. ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومما هو من الحزن يعالج سورة الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فبجاهل » . (٢) في الأصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنتاني من شعراء العصر الأموي من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأصل ، وفي الأصل « غرها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبُ مَقْلَتِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ قَلَقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ

وقد أحسن في قوله أيضا :

عَلِمْتُ قَلْبِي وَجِيئًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ مَا أَنْكَرَ الْقَلْبَ إِلَّا كَمَا خَفَقَا
يَاشُوقُ الْفَيْنَ حَالَ الْبَيْنِ بَيْنَهُمَا فَمَا فَصَّاهُ عَلَى التَّوْدِيمِ فَاغْتَنَقَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلَكَ عَيْنِي مَا بَكَيْتُ بِهَا تَطِيرًا مِنْ بَكَائِي بَعْدَهُمْ شَفَقَا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

وَلَوْ دَاوَالَتْ كُلُّ طَيْبٍ (رَكْب) بَغِيرَ كَلَامٍ لَيْلِي مَا شَفَاكَ
وَلَوْ أَصْبَحْتَ تَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ سِوَى لَيْلِي عَتَبْتَ عَلَى غَنَاكَ
وَمَنْ أَعْجَبَ مَا قِيلَ فِي الشَّفَقَةِ عَلَى الْمَعشُوقِ قَوْلُ أَبِي دَلْفِ الْعَجَلِي :
أَحْبَبْتُكَ يَا جِبَانُ وَأَنْتَ مِنِّي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجِبَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَحْبَبْتُكَ حُبَّ نَفْسِي لَخَفْتُ عَلَيْكَ بِأَدْرَةِ الطَّعْمَانِ
لَأَقْدَامِي إِذَا مَا الْخَيْلُ جَالَتْ وَهَابَ شَجَاعُهَا وَقَعَ الطَّعْمَانِ

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.

ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل

قول مجنون ليلي أو غيره :

خَرَجْتُ فَلَمْ أَظْفِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَفُزْ بَذِلَ كَلَا الْيَوْمَيْنِ يَوْمَ بَلَاءِ
فِيَا حَسْرَتِي مَا أَشْبَهَ الْيَأْسَ بِالْغَتَى وَإِنْ لَمْ يَكُونَا عِنْدَنَا بِسِوَاءِ
وَقَالَ : وَقَدْ أَبْقَنْتُ نَفْسِي بَأَنْ حِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَكَ لَوْ يَأْتِي بِيَأْسُ يَقِينَهَا
أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلِي تَعَانِي بِأَعْنَا وَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بِلَيْلِي جُنُونَهَا
وَمِثْلَ ذَلِكَ : فَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلِي غَنَى وَتَجَلَّدُ فَرُبَّ غَنَى نَفْسٍ قَرِيبٌ مِنَ الْفَقْرِ

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدني أبو أحمد :

إِذَا (يَوْمًا) بَايَتْ وَذَابَ جَسْمِي لَعَلَّ الرِّيحَ تَحْمِلُنِي إِلَيْهِ

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضيقته فما يطيق ضعفه^(١) حمل اسمه
فلا يراك هائداً إلا بعين وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يبرى أعظم الجسم حبها
وقد ذُبت حتى صرتُ إن أنا زرتها
وقال ديك الجن وبالغ :

أنحل الوجد جسمه والحنين
لم يعش أنه جليد ولكن
وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فما مضى خاتم
وذُبت حتى صرتُ لزوجي
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليت جسمي من بعد جدته
كأنه رسم منزل خلق
فما تكادُ العيون تبصره
تعرفه العين ثم تنكره

ومما لا أظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حدث إلهي إذ بليت بجها
نظرت إليها والرقيب يظني
على حوالٍ يغني عن النظر الشرر
نظرت إليه فاسترحت من العذر
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الاعراب :
ألا قال الله الهوى ما أشده وأصرعه للمرء وهو جليد

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه الباحثرى لما مات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتُهُ فأصبح بي حيث يريدُ
وقال كشاحم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تخرج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في محبىء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستمَّ عناقهُ لقدمه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
فمضى وأبقى في فؤادى حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدنى أبو أحمد قال أنشدنى الصولى أنشدنى الحسين بن يحيى أنشدنى
الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبى زورٍ تلفتُ له فتنفستُ عليه الصعدا

بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كدا

وأنشدنا عنه لأبى العميث (١) :

لقيتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُمرٍ ونحن حرامٌ مُمسىَ عاشرة العشر (٢)

فكلمتها ثنتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ آخرٍ من الجمر

الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياقٍ طريقها

وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها

ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان

مكثرًا من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صحيحناه

من الأملال ، وفيه : عن عمر : عن بعد أى بعد حين ، ونحن حرام : أى محرمون ،

ومسمى عاشرة العشر يعنى أنه لقيها بعرفات عشية عرفة وهو مسمى عاشرة العشر .

إذا أمرتني العاذلات بهجرها هفت كبدٌ مما يقلن صديع
وكيف أطيع العاذلات ووجهها يؤرقني والعاذلات هجوع
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
وأنى لا أستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودة بالهجر
وأندُر بالهجران نفسي أروضها لأعلم عند الهجر هل لي من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناس أنما هي الهجر لا والله ما لي لك الهجر
ولسكن أروض النفس أنظر هل لها إذا فارقت يوماً أحببتها صبر
وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروض على الهجران نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حين تهجر
والزيادة في قوله :

وأعلم أن النفس تكذب وعدها إذا صدق الهجران يوماً وتغدر
وما عرّضت لي نظرة منذ عرفتُها فأنظر إلا مثلت حين أنظر
وهذا من قول جميل :

أريد أن أنسى ذكراً فكأنها تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل

وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن
الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيت عليها العين من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كان هجراني لها من ملالة ولسكنني جرّبت نفسي على الصبر

ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالوا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرّ الصبا صفحاً بسا كن ذى الغضا فيصدع قلبي أن يهب هبوبها
قربة عهد بالخبيب وإنما هوى كل نفس أين حلّ حبيبها

تطلع من نفسي اليك طوالع عوارف أن اليأس منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذي الرمة حيث يقول :
 إذا هبت الأرواح من نحو جانب ^(١) به أهل مي زاد شوقي ^(٢) هبوبها
 هوى تذرف المينان منه وإنما هوى كل نفس أين ^(٣) حل جيبها
 وقال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرني يا ظالم تبني شمائل بادى البث منصدع القلب
 بريئاً مني الذنب لما هجرته ^(٤) ليكما يقال الهجر ^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنت أشكو عتبا وعتابها فقد فجعني بالعتاب وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ملول فيلحقها هجعة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نيك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكي وذكر الحبيب والمنزل في
 مصرع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطر والندى من الدار إلا ما يشف ويشفق
 وقلت : قد عريت أنما حين اكتست أردية الريح عشياً وضحى
 لم يبق فيها غير ما يدكى الجوى ويصرف النوم ويبعث البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حى من أجل الحبيب المغنيا لبسن البلى مما لبسن الالباليا
 ولا عرابي : طللان طال عليهما الأبد دثرا فلا علم ولا نصد
 لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأوبة مثل ما أجد

(١) في ديوان ذي الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقي)

(٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمة)

(٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع
 هذه المماثلة إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله
 وعلقت عليه أشكاله لكثرت واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز
 الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحب النساء السود من حب تكتم ومن أجلها أحببت من كان أسودا
 فبجئني بمثل المسك أطيب نفحة وجئني بمثل الليل أطيب مرقد
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفت ودّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحت أعشق من وجه ومن بدن ما يعشق الناس من عين ومن شعر
 فإن حسبت سواد الجليل منقصة فانظر إلى سعة في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكون الخال في وجهه ملبح فيكسوه الملاحاة والجالا
 ولست تمل من نظري إليه فكيف إذا رأيت الوجه خالا
 وقد ملح بعضهم في خلاف ذلك :
 إن الذي يعشق من لا
 وإن من يعشق زنجية
 كالذي ذلك في الظامة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أنى سریت وكنّت غير سرورٍ وتقرب الأحلام غير قريب
 ما تمنى يقضى فقد تؤتينه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كان المني بلقائها فلقيتها ولهوت من هو امرئ مكذوب
 وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصرّد) . (٢) من قنماء الشعراء في الجاهلية ،
 يقال إنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر فحل .

نأتلك أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً بوافي خيالاً
خيالى يخيّل لى نيلها ولو قدرت لم تخيّل نوالاً
وهذا من معانى القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل فى بخل المعشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم فى الخيال ، ومن البارع الفصيح فى هذا المعنى قول البعيث^(١)
أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوالع
فأعطتك آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلتها وخوادم
على حين ضمّ الليل من كل جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجم
وأعجلها عن زورة لم أفز بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطم
وأحسن النميرى حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : « ز الكرى طيفها وهنا خيالى »
لأعرف أنه سبق الى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزّارته فكرت فى المنام فأتاها فى خفية^(٢) واكتنام
يا لها ليلة تزاورت^(٣) الأُرّ واح فيها سرّاً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا فى دعوة الأحلام
وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعانى فى هذا قول دعبل :
سرى طيف ليلي حين حان هبوب وقضيت شوقى حين كاد بؤوب
ولم أر مطروقاً يحصل بطارق ولا طارق يقرى المنى ويشيب

(١) هو خدّاش بن بشر من بنى مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البعيث بقوله :

بعث منى ما تبعث بعدما استمر فؤادى واستمر عزيمى

(٢) فى ديوان أبى تمام « فأتانى فى خيفة » . (٣) فى الديوان (نزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقتنا فأنا لت نائلا شكره لو كان في النبة الجنود

ثم قالت وأحسست عجبى من سراها حيث لا تسرى الأسود

لا تعجب من سرنا فالتسرى عادة الأتقار والناس هجود

فرايت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار

فتعجبت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأتقار

ثم مالت بكأسها فسقتنى جلائرية على جلائار

آخر : فياليت طيفاً خيلته لى المنى وإن زادنى شوقاً إليك يعود

أكلف نفسى عنك صبراً وسلوة . وتكليف مالا يستطيع شديداً

الجيد أن يقول (تكلف مالا يستطيع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف

وإنما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو ردى . وقال الحدوني :

لم الله فنلت به بالامانى فى منامى سرّاً من الهجران

واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان

وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرّها عن الأبدان

منظر كان نزهة العين إلا أنه ناظر بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسناً

إلا خيالاً عسى ان نمت بطرقى وكيف يحلم من لا يعرف الوسناً

وقال : كلامه أخدع من لحظه ووعد أ كذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحترى كثرة فمنه قوله :

بمينيك اعوالى وطول شبيبى وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهوياً إذا عارض أطبى^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
فبات يعطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريق
وبت أهاب المسك منه وأتقى رداع عبير صائك وخلق
أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صفت إلى خبر أذناى غير صدوق
وما كن من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
وقلت في خلاف ذلك :

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل في الرقاد غزالاً
يا كشفه للسكراب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
فعدا المتيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالاً
وما قبل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢) :

ليالى أزعى في جنابك روضةً وآوى إلى حصن منيع مراتبه
وإذا أنت لي كالحر والشهد ضعفاً بماء لصاف ضعفته جنائبه
وقال بشار :

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ربيع المسك والعنبر الورد
أجود ما قبل في صفة الركب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
ميد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم ويتعجبون من حسنه :

كان تحت درعها المنعط ضخم القذال حسن الخط
وقد بدا منها الذى تغطي كأنما قط على مقط
شطاً رميت فوقه بشط كهامة الشيخ اليماني الشط
لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار :

(١) فى الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان ، اتصل بمحمد بن منصور بن
ياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياذ ، عى بعد ما أسن ، وقال فى ذلك شعراً .

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 ذين أعلاه بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طمنت طمنت في مستهدفٍ رابى الجسفة بأعيرٍ مقرِّمد
 وإذا نزعَتْ نزعَتْ عن مستحصفٍ نزع الحزور بالرشاء المحصد
 بصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعهِ كما يتعب الحزور - وهو
 القلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هنٌ نستعيرُ وقدمته من قاب صبٍّ وصدر ذى حنق
 كأنما حرُّه لخابره ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سبعة :

يسعُ السبعة الأقاليم طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الغرّاد يلتهم الدنـيا وتحويه دفئا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنة خبا زٍ وقد أمها من الأدم جنبه
 وقال المفضل بن غيلان (١) :

ومركب كبيضة الأذجي كأن نبت الشعر المطلى
 عليه شونيزٌ على فرني

ومما يجري مع ذلك قول بعضهم :

أقول والقوم تعادى بهم الى الوغى مضمرة قرح
 استعمل الله على مركبٍ يحث بالسير ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المفضل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

ما ركب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كأن رمانة في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمس الأرض منها شيء لأن نهود ثدييها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجاماً^(١) شديداً أبهره يدارك المص ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعمدى بليلي وهي ذات موصل
فشب بنو لبلى وشب بنو ابنها
ابن المعز : من معيني على السور
وابلائي من شادن
ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون
ولو كان حقاً كما يزعمون
بأن القلوب تحاذى القلوبا
لما كان يشكو محب حبيبا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
فقات له هذا يأمر المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماماً) (٢) شاعر إسلامي من المتيمين .

أياته التي أنشدها :

أراني تمروني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدي والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجيب
وأصرف^(٢) عن رأي الذي كنت أرتى ويمزب عني ذكره ويفيب^(٣)
ويضمر قلبي عندها ويعينها علي فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه يحدث فقال :

يؤازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي علي يؤازره
وأخذه سهل بن هرون فقال :
أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنْتُ غراً بما تجني علي يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحتري :
واست أعجب من عصيان قلبك لي عهداً إذا كان قلبي فيك يعصيني
وقال ابن الأنخلف :

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي :
يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسما
الإنسا بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في ودّه بمرتب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقرتب

(١) في الأغاني (وإني لتغشاني لذكراك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن المباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى وأخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقى على منه ووجد لا يكافئه بود
وقد أصفيته ودّى بجهدى فعارض فى الجفاء بمثل جهدى

ومن جيد ما مدح به الفراق قول بعض الكتاب : فى الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملال وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يوم البين خيراً فانه أرانا على علاته أم ثابت

وكتب بعضهم فى معنى قول الشاعر * وما فى الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى فى مرارة البين يمننى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عينى أن تقر بك مخافة
أن تسخن ببعذك فى عند الاجتماع كبد ترجف وعند التثنائى مقلة تكف . ومثله :
لا الذى بيده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صباقة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاخاً وكافاً لأننى منقسم القلب بين رجاء يعدنى بقربك وحذر يوعدنى ببعذك وإذا
قربت دارك كلفت وإن نأت أسفت فلأى القرب أسلو ولا البعد .

وسمعت لمائى الموسوس ^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا
فما قبلت التى بخلت علينا بأن غمضتها يوم التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى

فأوردته . وقد أخذه ابن الرومى فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد بولغنا اللقاء بليلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما
نجزى العميون جزاءهن عن البكى وعن السهاد فلا نصيب أثاما
فنبهجن مرادهن يردنه فيما ادعين ملاحه ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل غير الغزل .

ونكافي الأذان وهي حقيقة
 فثيبهن من الحديث مثوبة
 ونكافي الأفواه عن كتابها
 فثيبهن ملائماً ومراشفاً
 نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة
 مقسومة آناؤها أقساماً

وخلال الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم
 أبكى الذي فارقتُ بالدمع وحده
 وكنت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
 ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتخاله شذور عقيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد (١) :

وما كان حبيبها لأول نظرة
 واسكنها الدنيا تولت فما الذي
 وقال أعرابي :

أعلُّ أصحابي بجدي وباطلي
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فنن :

أدميتُ بالألحاظ وجنته
 فأقتصَّ ناظره من القلب
 أخذه على بن عاصم فقال :

ضربتُ الغنى يدي خان يميني جلدي
 فأقتصَّ لما اغرورقتُ مقاتله من كبدي
 فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً .

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أي هض يدفع منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيبها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصارك منى الودّ ما دمت حيةً وودّك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأوّل شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفتُ وشكّ البين حتى رأيتهم معض ؟ أمّا ط لهم وقطوع
 لعمرك ما شيء مرّيتُ بذكره كآخر يائي بغتة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بينَ بابِ الوزير والمسجد الجا مع ظبي كالطباء في جوده
 أطماره رآته فقد ضاع لا ضاع وضاع التميز في بلده
 ليس له ناقد فيعرفه وآفة الذبر ضعف منتقده

وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً أعرضه لأهواء الرّجال
 تراني آمن الشركاء فيه وآمن فيه أحداث الليالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواه فقلت لها إذافنى المـسـالـح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارة تسليمي عليك فسلمي
 آخر التشبيب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينهم
عباده في العاجل وبذل على ما أعد لهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجري مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني ﴾

﴿ الفصل الأول في ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَاعِلُهَا تَذْكِرَةً وَتَذْكِرَةً لِّلْمُتَّقِينَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهاته لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليّ شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأنهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يغتسل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يهدروا ينقض العهد بجرمان منافقهما . وقد أحكمنا
ذلك في كتاب الأوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاها بَنَائِقَ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجوان
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضر من اللهب^١ يشبعنه^٢ من فحم ومن حطب^٣
يرفعن نيرانا كأشجار الذهب^٤

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعته^٥هم مصبغات على ارسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الأفشين :

نار يساور جسمه من حرها لهب كما عصفت شوق إزار
صلى لها حيا وكان وقودها ميتا ويدخلها مع الغبار

أخبرنا أبو أحمد عن النصولي حدثنا أحمد بن السميعل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

دعيت هرقة لما أن رأته عجبها جو السما^(٢) ترمى بالذئط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعته^٥هم مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته إلى في حرق القادر أفشين شيئا من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة . (٢) في الأصل (جوائم) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً بساورُ جسمه من حرّها لهب كما عصفت شقّ إزار
طارت لها شرر (١) بهدمُ انفجها أركانهُ هدماً بغير منار (٢)
ففضّلان منه كلّ مجمع مفصل وفملان فاقرة بكلّ فقار
رمقوا أعلى جذعه فكأنما رمقوا هلال عشية الافطار
كرّوا وراحوافى متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا ينزلون (٣) ومن رآهم خالهم أبدأ على سفير من الأسفار
فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعد الهدوء ناراً لها على الطارقين عَيْنُ
شرارها إن علا نضارهُ لكنه إن هوى لجين
دعتهم فأتى اليها محبهم قرة رَأْيِ
إلى كريم الفعل سمح عطاؤه للكريم زين
يقضى ديون العلاء ينزل إذ ليس يقضى لمن دين

وقال ابن المعتز :

وقد تعلّى شرر الكانون كأنه تشارُ ياسمين
وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها حُلل مشقة على حبسان
ردّت عليها الريح فضل دخانها فأتت به سبجاً على عصان
فالجو يضحك في ايضاض شرائر منها ويعبس في اسوداد دخان
وقال أبو فضالة :

اشرب على النار في الكوانين إذ ذهب دولة الرّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يبرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يَحْجِبُهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وَقَالَتْ فِي مَعْنَاهُ :

قَصُرْتُ يَدَ الشَّتَاءِ بِحَرِّ جَرٍ وَأَخْتِ الْجَمْرِ صَافِيَةَ الرَّحْبِ
تَرَى نَبْذَ الرَّمَادِ بِوَجْنِيهِ كَكَاْفُورٍ يَنْزُرُ عَلَى خَلْقِ
وَقَالَتْ : تَحَرَّكَتِ الشَّمَالُ فَقَرَّ أَبْلَى فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي الْمَلَحِ
جَرَادِ الْجَمْرِ يَسْتَرُهُ رَمَادُ كَقَتْلِ الْوَرْدِ يَسْتَرُهُ الْأَقْحَى
وَأَنْفَاسُ الرِّيَاضِ مَعْطَرَاتُ تَطِيرُ بِهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَمْسَكَتُ مَطَرَزَةُ الْخَوَاشِي كَالصَّبَاحِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي سَقُوطِ الشَّرَرِ عَلَى الثِّيَابِ وَالْبَسَاطِ :
فَتَرَكَ الْبَسَاطَ بَعْدَ الْحَدِّ ذَا نَقْطٍ سَوْدٍ كَجِلْدِ الْفَهْدِ
وَقَالَ أَيْضًا * وَصِيرَتْ جِبَابُهُمْ مَنَاخِلًا * وَقَالَتْ :

كَأَنَّهَا النَّارُ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَمْرُ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
وَمَنْ بَدِيعَ مَا قَبِلَ فِي الْقَدُورِ عَلَى النَّارِ قَوْلَ بَعْضِ الْعَرَبِ :
كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ الْمُسْتَعِجِلِ قَصْدُ الشَّبُوحِ لِلشُّيُوخِ الْجَهْلِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالسَّيْفُ رَاغِي إِبْلَى فِي الْحُلِّ يَسْلَمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورِ تَغْلَى
تَرْقُلُ فِيهَا بِالْوَقُودِ الْجَزْلَ أَرْقَاهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرَّحْلِ
وَقَالُوا أَحْسَنَ مَا قَبِلَ فِي الْإِثْنَانِي وَالرَّمَادِ قَوْلُ ابْنِ هَرَمَةَ ^(٢) :

نَبِيكِي عَلَى زَمَنِ وَنَوَى هَامِدٍ وَجِوَالِمِ سَقْعِ الْخُدُودِ رَوَاكِدِ
عَرَبِينَ مِنْ عَقْدِ الْقَدُورِ وَأَهْلِيهَا فَعَمَكُنْ بَعْدَهُمْ بِهَابِ لَا بَدِ
فَوْقِيْنِهِ عِبَتْ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ دَنَفَ يَرْنُ الدَّمْعَ بَيْنَ عَوَائِدِ ؟

(١) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (يَسُوقُهَا) . (٢) اِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ السَّكَنَانِيُّ
الْقُرَشِيُّ ، مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ ، مَدَحَ الْوَلِيدَ الْأُمَوِيَّ بِدَمَشْقٍ فَأَجَازَهُ .

وقال أبو تمام : أضاف كالخود لظمن حزنًا ونوى مثل ما انفصم السوار
ومما يجري مع ذلك القول في الشمة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السري
شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت : كم قد جنيتُ الماهو من غصنه ما بين أنوار ونوار
من روضة بلبل أعطافها سقيطُ أنداء وأمطار
وأوجه تحسبها أشمسًا في ليل أصداع وأطزار
وشققتُ عنها ستور اللجى نارٌ على نارٍ على نار
وقلت في السراج :

وحيةٌ في رأسها دُرَّةٌ تعملُ في وجه اللجى غرَّة
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريب أهتكت ستره وصيرته في الورى شهره
يردفها أصفرٌ في أصفر يقدمها أسودٌ في حمرة

وقال السري في الكانون :

وكأنما الكانونُ ألبَّ جمره أحداق أسدٍ يدَّرين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسنها توريدا
وقلت في الكانون :

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبل الأنواء
يفسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتها الجراء مثل بنانٍ عل بالحناء
وأسمهم تصبغ بالحناء فيها كما ريحانة الشتاء
واشرب عليها حباب الصهباء فشرب صهباء على شقراء

يطرف عين البؤس والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحيم قول بعضهم :
 فحيمٌ كيوم الفراقِ تشمله نارٌ كنفارِ الفراقِ في السكبِ
 أسود قد صارَ تحت حجرِها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرمدِ

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراصة الذهب وبمناقير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن حريز عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأتاني بخبزة من حنطة كأنها مناقير النفران قد انتمخت في الملة حتى رأيت الجمر يتحدر منها تحدر الحشو من البطان وتراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أتانا بشر كأنه أعناق الورلان يدخل فيها الفرس . الحشو صغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودي عن عبد الله بن محمد القرشي عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن الفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر .

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودي حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أدن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت ؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكأنما تجري عليه سبائك الذهب ثم أتيت بينائي بيض البطون زرق العيون سود المتون حطب الظهور مقدمات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مري حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعشى لجالس له أما تشتهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلا حاذقا ؟ قال بلى قال فانهض بنا قال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السللة فكشفها فاذا فيها رغيفان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السلياني بالسمن السلي ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومي :

ما أنسَ لَأَنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشكَّ الملح بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كنفِ كَرَّةٍ وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدى الخبازين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاءَ من أَرْداحهنَّ يريد
وضمتُ إلى الخلاء فيه فواكهٌ عليهنَّ أهواءُ النفوسِ وفود
وقال الصنوبري في رقاق ودؤوس :

غير ماراج من رقاقٍ رقيق فوقَ هامِ على عدادِ الهام
ذاك كالماء ذي الحباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقيامهنَّ وما يبيدين من مضر شديد الضرام
كأناس يُوشحون مناديل إذا خرجوا من الحمام

ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي والسكنى أوردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبيهات فيها هو قوله (غير مارج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هَامٌ وَأَرْغَفَةٌ وَضَاءٌ فَخْمَةٌ قَدْ أَخْرَجْتُ مِنْ جَاحِمٍ فَوَّارٍ
كَوْجُوهِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ابْتَسَمْتُ لَنَا مَقْرُونَةٌ بِوَجُوهِ أَهْلِ النَّارِ

وقال غيره في :

وَقَادِمٌ مِنْ جَاحِمٍ فَوَّارٍ مَحَلُّ الشَّقْشَقِ وَالْأَنْوَارِ
مَلْبَسًا حُلَّةَ جَسَانَارٍ يَقْسِرُ مِنْهُ جِلْدُهُ النَّضَارِ

عن بدن أبيض كالخار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس ف قيل له إنها متخمة فقال إنها فاكة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيبه وأبخص عينيهِ وأفص أذنيه وأخديه وأرمى بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه ف قيل له إنك لا أحق من ربع قال وما حق ربع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويراج بين الأطباء فما حقه ياهولاً^(١) وقيل لأحدهم ما أحب الفاكة إليك قال أما الرطب فالحلم وأما الياض فالفديد . وقلت في صفة لحم :

تَرَكْتُ سَمِينَ اللَّحْمِ بَيِضٌ بَعْضُهُ وَيَحْمَرُّ بَعْضُ خَلْطِكَ الدَّرَّ بِالتَّبَرِ
وَأَعْرَضْتُ عَنْ حُلْوَاءِ شَقِّ فَنُونِهَا فَبَيِضٌ إِلَى حَمَرٍ وَحَمَرٌ إِلَى صَفَرِ
إِلَى ثُرْدَةٍ رِقْطَاءَ قَطْعٍ فَوْقَهَا مَقْفَعَةٌ خَضِرَاءُ فِي وَرْقِ خَضَرِ
وحاجة الإنسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فإذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فسكأنه رقع الديباج بالديباج فإذا أكل غير اللحم فسكأنه رقع الديباج بالسكراباس، وفي الحديث «مَنْ

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويراج بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) .

تَرَكَ الْأَحْمَرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا سَاءَ مُخَاسَمُهُ .

وَأَسْرَيْنَ مَا سَمِعْتِ فِي جَهْلٍ مَشْوَى قَوْلِ السَّرَى :

أَنْفَعَنِي مَعْصِفُ الْبَرْدَيْنِ	أَبْيَضُ صَافِي مُجَرَّةِ الْجَنْبَيْنِ
خَلْفَ شَهْرَيْنِ عَلَى خَلْفَيْنِ	ثُمَّ رَعَى بَعْدَهُمَا شَهْرَيْنِ
فَجَسَمُهُ شَبْرَانٍ فِي شَبْرَيْنِ	يَا حُسْنُهُ وَهُوَ صَرِيحُ الْحَيْنِ
بِعَرَفَةٍ مُرْهَفَةِ الْخَدَّيْنِ	بَكْفٍ شَاوٍ وَعَطِيرِ الْكَفَّيْنِ
كَسَارِقٍ خَدٍّ مِنَ الْيَدَيْنِ	ذُو طَرْفٍ يَسْتَوْقِفُ الْعَيْنَيْنِ
يُرِيكَ مَرَاةً مِنَ الْأَجِينِ	مَذْهَبَةً الْمُقْبِضِ وَالْوَجْهَيْنِ
شَقَّ حِشَاهُ عَنْ شَقِيقَتَيْنِ	أَخْتَيْنِ فِي الْقَدِّ شَبِيبَتَيْنِ
كَمَا قَرَنْتِ بَيْنَ كَمَا تَيْنِ	أَوْ كَرْتِي مَسْكَ لَطِيفَتَيْنِ ^(١)
إِنْ شَيْنَ ذَوْرَقَيْنِ نَاجِيَيْنِ	فَانَّهُ زَيْنٌ بَغِيرِ شَيْنِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي دُجَاةٍ مَشْوِيَةٍ :

وَسَمِيطَةٌ صَفْرَاءُ دِينَارِيَّةٌ	ثُمَّنًا وَلَوْنًا زَهْرًا لَكَ حَزُورٌ
طَفَقَتْ تَجُولُ بِذَرْبِهَا حَوْذَابَةً	فَأَتَى لِبَابِ اللُّوزِ فِيهَا السَّكَّرُ
ظَلْنَا نَقْشُورُ جِلْدِهَا عَنْ لَحْمِهَا	فَكَأَنَّ تَبْرًا عَنِ الْجَيْنِ يَقْشُرُ
يَا حُسْنَهَا فَوْقَ الْخَوَانِ وَبَنْتَهَا	قَدَّامَهَا بِصَهْبِهَا تَتَفَرَّغُ
وَتَقْدَمَتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ ثَرَاءُ	مِثْلَ الرِّيَاضِ بِمِثْلَانِ يُصَدَّرُ
وَمَدَقَقَاتُ كُلِّ مَرْخَرَفٍ	بِالْبَيْضِ مِنْهَا مَلْبَسٌ وَمَدْنَرُ
وَأَتَتْ قَطَائِفُ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَائِفُ	تَرْضَى الْإِلَهَاتُ بِهَا وَيَرْضَى الْحَنْجَرُ
ضَحِكَ الْوُجُوهُ مِنَ الطَّبَرِ زِدِ فَوْقَهَا	دَمْعُ الْعَيُونِ مِنَ الدَّهَانِ تَعَصُرُ

وَقَلْتُ فِي سَكْبَاجَةٍ :

سَكْبَاجَةٌ طَيِّبَةٌ نَشْرَهَا كَأَنَّهَا عُودٌ عَلَى مَجْمَرٍ

(١) سقط هذا العجز من الأصل فاستدر كناه من ديوان السري المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلتُ وهي تحاكي سفظَ الجوهر
ويستديرُ الشحمُ في لحمها كغرة في فرسٍ أشقر
يا حسن باذنجانها إذ بدا أسمر وسط المرق الأحمر
كأنه ماء خـلـوق جرى وجال فيه قطع الفنبر
وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزور بصدر نهـد أجريت منها في مجال العقد
مرهفة ذات شباً وحـد لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل الندامى والنارُ تستعجل القدورا
وقد أتاني الغلامُ يسمي بأرغف تشبه البدورا
وعندنا قهوة شـمـول لو قطعتُ صيرتُ شذورا
تكونُ قبل المزاج ناراً فانقلبتُ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربلَ رائباً وخيلاً من البرني فرسانها زبد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن

أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

واهأً على مجسومة وصحفة مكتومة

بالدسم مؤسومة واللحم مغسومة

قد كملت عراقا وألحقت رقاقا

منقوشة الحواشي بطيب التماشي

بغلغل - ل وحمص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا ثردة كما وصف فلما قدمتها ارتمش طرباً ثم قال أي بأبي والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في ثردة وستة ثم قبل رأسى وقال بأبي أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضي ، ثم قال أي والثردة والله ما دخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرُّغفَ ولا المزدرا

حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كغاي في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شبر

رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر

عليه من الشونيز آنازُ كاتب وجلبابُ ورَّاق ينقطُ بالحبر

ومن سمس قد زعفرؤهُ كأنهُ قراضةُ تبرٍ في لجينية غر

وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضـلَ الباقلاءِ فانه من المرق قدواف به الفضل في الزبر

إذا جعلوا فيه سذاباً ونعنعاً وجزءاً من الزيت المقدس في الذِّكر

فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشي أفرند معقدة الخصر

بأحسن من مخضرة الغصن إذ بدت بوا كرم منها في المجاسد والازر

ثم قال : ويالك بأذنجانة سابرية جلاها نسيم الليل نائرة الفجر

فجاءت بأبواب الحداد مدلهما بأذناها العم المعقفة الحضر

وأكرم بها نبياً إذا بز ثوبها فأبت لنا عن واضح الكشح والصدر

فنجعلها شطرين نلقم شطرها ونتبعه قبل الاساعة بالشطر

وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاه هل لك في هريس
أمل الليل صانعها بضرب
وبين يديك من مرى عتيق
أرانا حول صحفتها^(١) بروكا
فيا لله من لقم هناكم
تجاذب بالشجيج وبالغيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يوم
كانَّ الموقدين لها جمال
بأيديهم مغارف من حديد
وقلت في هريسة :

هريسة بيضاء كافوريه
للمرء فيها حمة مسكية
تدور في مبيضة فضيه
مثل السوار في بدر الروميه

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على
نصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أن ابن بكر دحاني
غرق منه منظر ولباس
مجلس كالجدان حسناً ولكن
فلمعمرى كان الخوان ولكن
وجفان مثل الجوابي ولكن
وغضار الألوان جاءت ولكن
فاذا ما أدرت فيها بداني
لشقاى فليتة مادحاني
وأثاث ومجلس وأوان
قبح الجوع حسن تلك الجنان
لم يكن ما يكون فوق الخوان
ليس فيهن ما يرى بالعيان
ليس فيها روائح الألوان
لم أجد ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنهرك فوق صحفتها بروكا » .

إني ماضغٌ على غير شيء غير صكِّ الأسنانِ بالأسنان
ترجم الكفُّ وهي أفرغُ منها عند مدِّي لها فدأبني وشاني
لو تراني والجوعُ يضحكُ مني عند غسلي يدي بالاشنان
زاد في السفرِ مسرفاً مثلاً أسرفَ عند الطعام بالنقصان
والغضاراتُ فارغاتُ أنتنا وسقانا بالمرتع الملان
سكرة فوق جوعةٍ تركتني راحماً كلَّ جائع سكران
وقلت في قريب منه :

أندعوني ونطعمني يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسير
فأصبح منك في يومٍ عسيرٍ فلا ينفعك في يومٍ عسير
ها حرَّان من جوعٍ وسكرٍ فيالك من سَعيرٍ في سَعير
أقولُ وفي غضارِه عظامٌ أعرق من قدور أم قبور

ومن جيد ما قيل أيضاً في ذم الدعوة قول أبي الحسن بن طباطبا (١) وقد
دعا الكراريسي فُقرّب إليه مائدة عليها خبار وفي وسطها جامات عليها قطر ولم
يصحبها بوارد فساها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصاري ، وقدم سكباجة بعظام
عارية فساها شطر نجبة ، ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فساها معقدة (٢) لأن البياض
لبس المعقد وهي لا تمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
أقلّة زعفرانها فساها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محلوّة فساها
قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فساها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فساها
حسكية لتشجع لها ثم قرب زعفرانية فساها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
الزعفران والملاوة فساها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه غليل فحولهم من
منزله إلى بستان قد طبق بالسكرات وأحضرهم جرة منثلة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوي الشاعر المفلق العالم المحقق ، من أهل خراسان .

(٢) في معجم الأدباء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الفأط نفلها معه وربط الاكار (١) بجذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بفناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال :

يادعوة مغيرة قائمة كأنها من سفر قامه
قد قدّموا فيها مسيحية أضحت على أسلافها (٢) نادمه
شم بشرنجية لم تزل أيدٍ وأيدٍ حولها حاتم
فلم تزل في أمها ساعة شم نفضناها (٣) على قائمه
وبعدا معتدة (٤) أختها عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة قد قتلها أمها ظالمه
والقنبيات فلا تنسها فحيرتى في وصفها دائمه
أقنب ما امتد في أصبعي أم حبة في وسطها نائم
والحسكيات فلا تنس في خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسلاطنها قد تركت آنافا راعمه
والساحة الصفراء فاعجب بها إذ سلحتها أنف هائم
وجام صابونية بعدها فأنخر بها إذ كانت الخاتم
ظل الكراريسى مستعبراً من عصبه في داره طاعم
وقال إن ابنى عليل ولى قيامه من أجله قائمه
وولت داياته حوله فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة تكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت من لاطم خداً ومن لاطمه
شم هربنا نحو بستانه خوفاً من المنية العازمه
ظلمنا لدى الكراث نلهوبه فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث . (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدياء لياقوت ، وفى نسخة

(إسلامها) . (٣) فى الاصل (شم تقضيها) . (٤) فى الاصل (مقيدة) .

وغاية اللطف ففي جرّة
نبسول فيها ثم نسقى بها
وعجلة تشدو بالحانها
فكان فيما أنشدت أذشدت
من لي من بعدك يا فاطمة
وهي لنا من بعده شامة
ظلت تبكي شجوناً فما
فلو ترانا وترى زادنا
حيأوفت منا نعماً سائمه؟

فلما سمعها الكرار يسي حلف لا يدخل أبداً الحسن ولا أحداً من أصحابه داره ولا يخذ
دعوة ودعا قوماً من الشطار نجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطار نجية
التي كنا نفضناها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أبياتاً منها :

طمعت يا أحق في قمرها لو أمكن القمر قمرناها
فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفضناها

ثم كتب إليه أبو الحسن :

يا من دعاني أطل الله عمرك لي
ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة
اذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبه
قد مدّ كلنا يديه لي فذكرني
كأنه عاشق قد مدّ بسطته
وقد تمدى بأطوار الرفاق لنا
فليت شمري ماذا كان ألمه
مددت كفى فلم ترجع بفائدة
ولا عذمتك من داع ومحتفل
ظلمنا لديك بها في أشغل الشغل
كأنه متعطّ دائماً السكسل
بيناً تمثله من أحسن المثل
يوم الفراق الى توديع مرتحل
مثل الفقير اذا ملاح في سمل
فصار إيمانه قولاً بلا عمل
كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدّم لي أعظم حولة قد طبخت بالماء في برمته

فلم أزل زلت به نعلهُ ألبُ بالمشطرنج في قصصته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصنّاعُ تليفَ شطريه بالهندمة
فمن صدر فائقة قد نوت ومن عجز ناهضة ملقه
ودنر بالجوز أجوازه ودّرهم باللوز ما دّرهمه
وقابل زيتونها والجن صفائح من بيضة مدغمه
فمن أسطير فيه مشكولة بملح ومن أسطير معجمه
وطرّز بالبقل أعطافه فوافي كحاشية معلمه
مرشا تخال به مطرفا بديع التفاويف والنمنمة
وأنشد في الشواريز (١) :

مامتعة العين من خدّ تورّده يزهي عليك بخال فيه مركز
مستغرق الحسن في توسيع وجنته بدائع بين تسهيم وتطريز
يوفي على القمر الموفى إذا اتصّلت يسراه بالكأس أو يغناه بالسكوز
انهى اليك من الشيراز إن وضعت في صحن وجنته خيلان شونيز (٢)
وقد جرى الزيت في مثنى أسرته فصارعت فضة تعلّى بأبريز
وقال ابن خلاد :

وسوف يزورك شيرازها فتقسم بالله ان تكرمه
يميس بشونيزة كالعروس تخطر في الخلّة المسهمة
وتغشى موائد قد عوليت أطايب كالبردة المعلمه
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلة المظلمه

وأول من ذكر الفالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج باؤه . (٢) أي الحبة السوداء .

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَلٌ^(١) وَآخِرُ فَوْقَ دَارَتِهِ^(٢) ينادى

إِلَى رُوحِ^(٣) مِنَ الشَّيْزَى عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ

لِبَابِ الْبَرِّ يَعْنِي النَّشَا^(٤) . وَكَانَ لَعَبْدِ اللَّهِ جَنْفَةً يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتَظِلُّ بِجَنْفَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدَّةٍ هَانَ فِي الْهُوَ آجِرٌ .

وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رَحَالِهِ قَالَ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ رَأْيِهِ فِي

الْفَالُودِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَتَى فِرْعَوْنَ بِفَالُودٍ لَأَمَنَ بِهِ وَلَسَكُنَّ أَتَاهُ بَعْصَاهُ .

وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طِفْهَ بِالشَّهَدِ الْخَالِقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِالْإِلَاطِافِ غَيْرَ خَلِيقِ

كَأَنَّ أَصْفَرَ أَرَّ اللَّوْزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَا كِبُ تَبْرِ فِي سَمَاءِ عَقِيقِ

وَقُلْتُ : حُمْرَاءُ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةَ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحُشْوُ الْخَالِقِ

يَطُوفُ الدُّهْنُ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةُ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ

كَأَنَّهَا اللَّوْزُ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي اللَّوْزِ يَنْجُ :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ جَلَابِيئُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِهَا

مُسْتَكْتَفٍ الْحُشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسَماً مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا

يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدُّهْنَ لَهُ لَوْلَبَا

لَوْ أَنَّهُ قَعْرُ لُرومِيَّةَ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْبَابَا

وَقُلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيفَةُ الْحُشْوِ وَلَسَكُنَّهَا رَقِيقَةُ الْجَلْدِ هَوَانِيهِ

رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنَشُورَةُ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لَدَى رُوحِ) (٣) اِشْمَعِلْ : أَشْرَفَ وَالْقَوْمُ فِي

الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مَوْخَرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزَى

خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَخَذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كأنها من طيب أنفاسها قد سرقست من نشر ماريه
جاءت من السكر فضية وهى من الأدهان تبريه
قد وهب الليل لها برده ووهب الخصب لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا ببابه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر قائم
فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جاز في فقه اللثام الأشائم
أجاز صيام الليل حين استغفره تعاور ضيف في دجى الليل عائم
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى كأننا على غبراء من ظهور واشم
وأطعمنا لما مرقنا من الدجى دحاريج لا تنساق في حلق طاعم
مدورة سود المتون كأنها خصي الزنج لاحت تحت فبش قوائم
فابشارها تحكى بطون عقارب وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال
الأصمعي قيل للفاخرى أى التمر أجود ؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه ألسن
الطير تضع الواحدة فى فيك فتجد حلاوتها فى كهبك يعنى الصيحاتى تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن
دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سروي ونجدى وحجازى وشامى
فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة
موسعة زيتاً تأخذ أدناها فيضطرط عليك أقصاها تسمع لها وقياً فى الحنجرة كتقحم
بنات الخاض فى الخرف ، قال السروي ان أطيب الطعام خبز بر فى يوم قر على
حمر عشر موسع سمناً وعسلاً . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة
حمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنية مغتبطة نفسها

(١) تقدمت هذه الايات .

غير ضمنه في غداة شبة بشمار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أذنت
لكم الطعام إذا أكلت فأبرك على ركبتيك وافتح فاك وأحفظ عينيك وامرح أصابعك
وعظام لقمتهك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدت عَصيدةً شقراءَ تحكي طرارَ الصبح في ثوبِ الظلام
تراها حينَ تَبْرُزُ في ظلام كمرفِ الطرفِ في زمنٍ قتام
كذي دَلٍّ عليه مصفراتُ يدلُّ على المشوقِ المستهام
فلما اب صبا قلبي إليها ومدت نحوها عين اهتامي
تقاصرَ دونها كفايَ حتى كأنَّ الدبسَ علقَ بالغمام
فدونَ السجَنِ أطرافُ العوالى ودونَ النارِ بادرةُ الحسام
أنتك عَصيدةٌ أم طرفُ سلمى فليس يزودُ إلا في المنام
وقلت في سمكة طرية :

يقبضُ لامكتوبٍ ماجرٍ حتمه فجازَ بنا في الغيـضِ شرَّ مجاز
بعضنا إليه ينسر الباز فأنثى إلينا بظهيرٍ مثل جؤجؤ باز
فأطفأ نيرانَ الطمأةِ كأنها سحابٌ يسبح الودق فوق عزاز
العزاز : الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحبوبة في البحر عن كلِّ ناظرٍ ولكنها في حببها تتخطفُ
أخذنا عليهنَّ السبيلَ بأعينٍ رواددٍ إلا أنما ليسَ نظرفُ
فجاءَ بها بيض المتونِ كأنها خناجرُ في أيمننا تتعطفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُرَرَّد (١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخى سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدت أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العكم الذى كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عجوة إلى صاعِ سمنٍ فوقها يتربع
ودبلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعت يومَ تجمَع^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ أنه حى آمناً مما تفيدُ وتجمع
فإنْ تكُ مصفوراً فهذا دواؤه وإنْ تكُ جوعاناً فذا يومُ تشبع
فضحك الرشيد وقال يا أصمى مال الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع .

ومما يجرى مع هذا القول فى الرحا : فمن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرةٍ لا تَبْرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبةٌ تَمسى بحيثُ تصبحُ

والحمد لله وحده .

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى * تريك القذى من دونه وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيتِ مشرقا ومالم تكن فيه من البيتِ مغربا

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصد والأتم فى التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر » : (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذيلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٢) كذا فى لسان العرب ، وفى الأصل « ماتجمع » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلتهُ
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

ومنهف تمت محاسنه
وكانه والكأسُ في فيه
حتى تجاوزَ منيةَ النفسِ
قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمسِ

فيجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يذ كر صفاء
الخمر ورقتها وحبابها :

فإذا ما اجتليتها فهباءٌ
ثم شجت فاستضحكت عن جان (١)

في كؤوس كأنهن نجوم
طامعاتٌ مع السقاة علينا

لو ترى الشرب حولها من بعيدٍ
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلت والراح في أكف الندامى
أمداماً فرطم لدام

وكان النجوم والليل داج
ومن أعجب ما قيل في صفاتها قول الناصبي * فليس شيء عندها إلا القذى *

وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها
أنازعها بدرًا مع الليل طالعا

وقد شاب لنا بالشماس وإنما
وأشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها
فصار في البيت للمصباح مصباح

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضئينا) .

(٣) في الأصل « طامعات » .

قلنا على علمنا والشك يغلبنا أراحنا دارنا أم دارنا الرّاح
ومثله قول البحّري :

فأضأت تحت الدّجّة للشر بـ وكادت تضيّ للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :
ظبيّ خلى من الأحران أو دعى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنّه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على نغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبلدر والشمس
قد ذهبت نفسي على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقينى ويشرب من عتيق خليق أن يشبهه بالخلوق
كأن الكأس من يده وفيه عتيق في عتيق عتيق
الكأس الحمراء مثل العتيق واليد المخضوبة كالعتيق والشفة مثل العتيق في لونها . وقلت :
ودار الكأس في يد ذى دلال رشيق القد يعرف بالرشيق
يحلى بالتبسم درّ نغمر تخلله شواير العتيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وآمه قول ابن الرومي وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحباب بفلق الأواؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
باللؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللؤلؤ الفاق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كف كأن بناها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً^١ لمن مضاحك^٢ من أفتحوانِ
يلوح^٣ على مفارقتها حباب^٤ كأنصافِ الفرائدِ والجانِ
وفى هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصاف الفرائد وهي كبار
اللولؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصاف الجمان وهي صفار اللؤلؤ :

وطالعي الغلام^٥ بها سحيراً فزاد على الكواكب كوكان
ووافقتها بخد^٦ أرجوان وخالفها بفرع أرجواني
وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فإذا علاها الماء ألبسها حبيباً كمثل^(١) جلاجلِ الحجلِ
حتى إذا سكنت^٧ جواحبها كتبت^٨ بمثلِ اكراعِ النملِ
ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه لي يزيد بن معاوية :

وكأس سبأها البحر من أرض بابل^٩ كرقعة ماء المزن في الأعين النجلِ
إذا شجها الساقى حسبت^{١٠} حبابها عيون الدبا من تحت أجنحة النملِ
وأبدع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت تريني وأمر^{١١} الليل مجتمعا صبحاً تولد^{١٢} بين الماء واللهب^(٢)
كان^{١٣} صغرى وكبرى من فواقعها حصباء^{١٤} دُرّ على أرض من الذهبِ
وخطأه النحويون في قوله « كبرى وصغرى من فواقعها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خليلي^(٣) سقياني فقد لا ح^{١٥} صباح^{١٦} وأذن^{١٧} الناقوس^{١٨}
من كيت^{١٩} كأنها أرض^{٢٠} تبر^{٢١} في نواحيه^{٢٢} أولؤ^{٢٣} مغروس^{٢٤}
وقلت : راح^{٢٥} إذا ما الليل مد^{٢٦} رواقه^{٢٧} لاحت^{٢٨} نظرز^{٢٩} حلة^{٣٠} الظلماء^{٣١}
حتى إذا مزر^{٣٢} خست^{٣٣} أراك^{٣٤} حبابها زهرات^{٣٥} أرض^{٣٦} أو نجوم^{٣٧} سماء^{٣٨}
وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كمثل » وفي ديوان أبي نواس « حبيباً شبيهه » .
(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

تَبَيَّتْ لِي اللَّذَاتُ مُعْقُودَةَ الْعَرَى
يَدْبُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِ نَارٍ تَحْلُهُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَدْ حَتَّنِي بِالْكَأْسِ أَوَّلَ جُفْرِهِ
فَكَأَنَّ حُمْرَةَ لَوْنَهَا مِنْ خَدِّهِ
حَتَّى إِذَا صَبَّ الْمَزَاجُ تَبَسَّمتْ
وَقَالَ : اللَّهُاءُ فِيهَا كَكِتَابَةٍ عَجِبُ
قُلْتُ : دَارَ فِي الْكَأْسِ عَقِيقُ بَغْرِي
نَصَبَ السَّاقِي عَلَى أَقْدَاحِهَا
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي لَطَافَتِهَا :

لَطَفْتُ فَقَدْ كَادَتْ تَكُونُ مُشَاعَةً
وَمِنَ الْاسْتِعَارَةِ الْبَدِيعَةُ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ : فَأَضْحَكَ عَنْ ثَغْرِ الْجَبَابِ فَمِ الْكَأْسِ
قُلْتُ : وَشَرَابُ طَوَى الزَّمَانِ خَفَا كِي
إِنْ يَكُنْ بِالْعَقُولِ غَيْرُ رَحِيمٍ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي خِيَالِ الْكَأْسِ عَلَى الْيَدِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :
كَأَنَّ الْمَدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ
تَسْدَرَعُ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسْمِينِ
وَإِذَا قَامَ مَبِیضُ الْجَبِينِ يُدِيرُهَا
وَقَالَ السَّرِيُّ فِي مَعْنَاهُ :

وَبَسْكَرَ شَرَبْنَاهَا عَلَى الْوَرْدِ بِكَرَّةٍ
إِذَا قَامَ مَبِیضُ الْجَبِينِ يُدِيرُهَا
قَالَ الْبَحْثَرِيُّ : أَلَا رُبَّمَا كَأْسُ سَقَانِي سَلَفَتْهَا
إِذَا أَخَذْتُ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُوهَا (١)

(١) فِي دُبُوانِ الْبَحْثَرِيِّ (إِذَا ذَكَرْتَ أَطْرَافَهُ مِنْ قَنُوهَا) ،

وقلت: شغلت كئسا يديه بقهوة
 كأن خيال الكأس فوق ذراعها
 فقلت أرى قدمين أم قدحين
 غشاء من العقيان فوق الجين
 وقلت أيضاً :

يسعى إلى مُقرطق في كفه كأسٌ وبين جفونه كأسان
 وتناسبت فيها بغير قرابة كفه المدير وجنة الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجة ورقتها وصفائها قول بعضهم :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتقارب الأمر
 فكانها خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفائها وذكر الكأس ولطافتها :

وكأس تحجب الأبصار عنها فليس لناظر فيها طريق
 كأن غمامة بيضاء بيني وبين الراح تجرقها البروق
 وقلت : وندمان سقيت الراح صرفاً وجنح الليل مرتفع السجوف
 صفت وصفت زجاجتها عليها لمعنى دق في ذهن نصيف

وليس هذا التشبيه بالختار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى
 بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١) . وقال بعضهم :

خفيت على شرابها فكانهم يجدون رياء من إناء فارغ
 وقال غيره : وزنا الكأس فارغة وملاى فكان الوزن بينهما سواء

وقال ابن الرومي :

لطفت فقد كادت تكون مشاعة في الجو مثل شعاعها ونسيمها^(٢)
 وقلت : حملت بخصرها إناء مدامة صفراء تلعب في زجاج أقر
 فكانها واللحظ ليس يحورها شمس النهار تختمت بالمشرى

ومن أجود ما قيل في الأبريق وفضول الكأس وأنشده إسحق :

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المتقدم ليس من قول المصنف . (٢) تقدم قريباً .

كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ لَدَيْهِمْ ظَبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَأَنَّ رِقَابَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَخْلُقْ لَهُنَّ عِظَامُ
وَقَدْ أَحْسَنَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ :

إِبْرِيقَنَا سَلَبَ الْغَزَالَةِ جَيِّدَهَا وَحَكِيَ الْمَسِيرُ بِمَقَالَتِهِ غَزَالَا
وَأَحْسَنَ الْآخَرِ وَيَنْسَبُ إِلَى إِشَارِ :

كَأَنَّ إِبْرِيقَنَا وَالْقَطْرُ فِي فَمِهِ طَيْرٌ تَنَاوَلُ يَاقُوتًا بِمَنْقَارِ
إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ « طَيْرٌ » رَدِيءٌ وَالْجِيدُ طَائِرٌ ، وَأَجَازَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَمْ يَجْزِهِ غَيْرُهُ .
وَقُلْتُ : تَضَحَّكَ فِي الْكَأْسِ أَبَارِيقُنَا وَحَسَبَ مَا يَضْحَكُنْ يَبْكِينَا
كَأَنَّ أَعْلَاهَا إِذَا أَسْفَرَتْ تَعَقَّدُ فِي الْكَأْسِ تَلَايِينَا
وَأَوَّلُ مَنْ شَبَّهَ الْإِبْرِيقَ بِالْأُوزِ لَبِيدٌ ^(١) فِي قَوْلِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَمْرَ :
نُصِّمَنَّ يَنْصُغًا كَالْأُوزِ ظُرُوفُهَا إِذَا تَأَقَّوْا أَعْنَاقُهَا وَالْحَوَاصِلَا
فَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَيَوْمَ كَظَلَّ الرُّمَحُ قَصَرَ طَوْلُهُ دَمُ الزُّقِّ عَنَا وَاصْطَكَاكَ الْمَزَاهِرُ
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الْمَدَامِ عَشِيَّةً إِوزٌ بِأَعْلَى الطِّفِّ عَوَجُ الْحَنَاجِرِ
وَقَالَ أَبُو الْهِنْدِيِّ ^(٢) :

سَيَنْفِي أَبَا الْهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ أَبَارِيقٌ لَمْ يَهْلُقْ بِهَا وَضْرُ الزُّبْدِ
مَقْدَمَةٌ قَرَأَ كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ الرَّعْدِ
وَقَوْلُهُ (تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ) زِيَادَةٌ عَلَى مَا تَقْدَمُ .

وَأَمَّا فَضُولُ السَّكُونِ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :
قَرَارَتَهَا كَسَرَى فِي جَنَابَاتِهَا مَهْأً تَدْرِيبُهَا بِالنَّفْسِ الْفَوَارِسُ

(١) هُوَ صَاحِبُ الْمَعْلَقَةِ الْمَشْهُورَةِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ ، الشَّاعِرُ الْحَكِيمُ

الْجَوَادُ لِلْفَارِسِ الْغَتَاكِ الْمَعْمَرِ .

(٢) هُوَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ الْمُسْرِفُ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ .

فلاخمر مازرت عليه جيوبهم وقال السرى الموصلى :

كان الكؤوس وقد كالت
بفضلاتهن أكايل نور
جيوب من الوشي مزرورة
يلوح عليها بياض المنحور
فجئت به في بيت وقلت :

ويض تهاوى في مزرعة صفر
وهبت لها قلبي وأخدمتها فكري
فدارت بأقداح كأن فضولها
سوالف تبدو من معصرة حمر
وقال السرى أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها
على وجه صفراء الغلائل غضة
تبدت وفضل الكاس يلعب ساطعا
كأترجة زينت باكيل فضة
وقال الناشئ : ملوك ساسان على كأسها
كأنها في عز سلطانها
فخمرها من فوق أذقانها
وماؤها من فوق تيجانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :

غدا بها صفراء كرخية كأنها في كأسها تنقد
فبحسب الماء زجاجاً جرى وبحسب الأقداح ماء جمد
ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها يمد عليها منه ثوب ممسك
ومجلسنا في الجو بهوى ويرتقى وإبريقنا في الكأس يبكي ويضحك
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالمظام كأنه فيض النعاس وأخذ به بالمنفصل
عبقت أكهفهم بها فسكأنما يتنازعون بها سخاب قرنفل
وقول أبي نواس :

فأرسلت من فم الابريق صافيةً كأنما أخذها بالمسكين إغفاء
وقوله : ثم لما مزجوها وثبتت وثب الجراد
ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
ومن شعر المتقدمين قول الأخطل (١) :
أناخوا فجزوا شاصيات كأنها رجال من السودان لم يتسربلوا
« لم يتسربلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :
فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
تدب ديباً في العظام كأنه ديب نمل في نقاً يتهيل
أحسن ما قيل في خروج الخمر من الميزال قول أبي نواس :
وخندريس باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال
فسال عرق على ترائبها كأن مجراه قتل خلخال
وقال ابن المعتز : تخرج من دنتها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس
قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :
جاءتك من بيت خمار بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس تتقد
فأرسلت من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان بدا واستمسك الجسد
إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الابريق ، وقال في المعنى الأول :
سعى إلى الدن بالميزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب
لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب
وقلت : قد بزل الدن فقومي انظري زنجية تفل خلخال
واسقنيها واشربي واطربي وجرري في الهواء أذبالا
تنعمي ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالا

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبهه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذبياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعترى المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا ما ندبني على شئ على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرجتُ أجرُ الذيل حتى كأنني ^(١) عليك أمير المؤمنين أمير
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتركنا ماوكا وأسداً ما ينههنا اللقاء
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فأنى ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحوتُ فأنى ربُّ الشويبةِ والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشة النفس لطفتُ عن الإدراك والحس
 لنسيمها في قلبٍ شاربها روحُ الرجاءِ وراحةُ النفس
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :
 وشربك من ماء الكروم كأنه إذا ميج صرفاً في الاناء خضابُ
 صريع مدام والندامى يلونه وفي الشدق قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم القى لو كان يعرف ربه ويقيم وقتَ صلاته حمادُ
 هملت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحدادُ
 وأبيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد
 وأبدع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :

وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دممل

(١) في ديوان الأخطل « جعلت أجر الذيل مني كأنني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة الذات قول أحمد بن أبي قن : (١)
 جَدُّدِ الذاتِ فالיום جديد
 وامنض فيما تشتهي كيف تريد
 انى ان أمكن يوم صالح
 انَّ يوم الشرب لا كان عتيدي
 وقال ديك الجن (٢) :

تمتع من الدنيا فانك فاني
 ولا تنظرن اليوم في لهو غد
 فاني رأيت الدهر يسرع بالفتى
 وينقله حالين يختلفان
 فاما الذي يمضي فأحلام نائم
 واما الذي يبقى له فأمانى
 ونحوه قول عمران بن حطان (٣)

يأسف المرء على ما فاتهُ
 وتراه فرحاً مستبشراً
 من ليلانات إذا لم يقضها
 بالتي أمضى كأن لم يمضها
 عجباً من فرح النفس بها
 بعد ما قد خرجت من قبضها
 أنا عندي ذاق أحلام الكرى
 اقريب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرور فانها
 وسخل عتاب الحادثات لوجها
 سراع وأيام الهموم بطاء
 فان عتاب الحادثات عناء
 تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها
 ليالى ما يأتى وهن وراء
 ونحوه عجير السلولي (٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :
 عللاني إنما الدنيا علل
 واطركني من عتاب وعذل
 وانشلا ما غبر من قدريكما
 واسقاني أبعث الله الجمل

(١) في الاصل (قدس) وهو تصحيف . (٢) نسبها في الأما إلى سعيد بن حميد باختلاف في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر على الدعوة والتجريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

ماقر الرّاح ودع نعت الطلل^١ واعص من لامك فيها وعذل^٢
غادها واسم لها واغربها وإذا قيل نصاباً قل أجل^٣
إنما ديناك فاعلم ساعة أنت فيها وسوى ذلك أمل^٤
ولا بن بسام^(١) :

واصل خليلك إنما السد^٥ نيا مواصلة الخليل
وانعم ولا تتمجّل السـمـكـروة من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدري متى وقت الرّحيل
وارفض مقالة لائم إن الملام من الفضول
وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي :
أستغفر الله لذبي كله قتلت إنساناً بفـير حله
وانصرم الليل ولم أصله والسكر مفتاح لهذا كله
قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشة^(٢) من كف ظبي كأنما تناولها من خدّه فأدارها
فظلت بأيدينا نتعتم روحها وتأخذ من أقدامنا الرّاح^٦ ثارها
وهذا معنى بدیع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :
إذا اليد نالتها بوتر توقّدت^(٣) على ضعفها^(٣) ثم استقادت من الرجل
ويدت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يعدّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،
كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسناء مطبوعاً في الهجاء ، يشبهه بالخطيئة في الهجاء .
(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .
(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضعفها) .

كَأَنَّهُ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّهِ بِدَرٍّ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكَبٌ
 وَقُلْتُ : وَطَالَعَنِي الْغَلَامُ بِهَا سَحِيرًا فَرَادَ عَلَى الْكَوَاكِبِ كَوَكَبَانِ
 وَمَا يَدْخُلُ فِي مَخْتَارِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ * وَمَهْزُفٌ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ *
 وَقَدْ مَرَّ . وَلَمْ أَسْمَعْ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَحْجُودَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ :

فَكَأَنَّهُ وَكَأَنُهَا وَكَأَنَّهُمْ قَمَرٌ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 وَمِثْلُهُ فِي الْجَمْعِ قَوْلُ الْآخَرِ :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْحَبَابُ لَالِيٌّ وَالرَّاحُ تَبَرٌّ وَالزُّجَاجُ زُبْرُجِيدٌ
 وَأَحْجُودٌ مَا قِيلَ فِي قِيَامِ السَّقَاةِ بَيْنَ النَّدَامِيِّ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سَحَرٌ وَمَسَاوَاهُ الْكَلَامِ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامِيِّ أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامٌ
 فَشَبَّهَ اصْطِفَافَ الشَّرْبِ جُلُوسًا بِالسُّطُورِ وَالسَّقَاةَ بَيْنَهُمْ بِالْأَلْفَاتِ فَأَحْسَنَ .

وَمِنَ الْبَارِعِ الدَّخْلُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَنَتَرَةَ :

وَإِذَا سَكِرْتُ فَأَنْتِ مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَافَرٌ لَمْ يَسْكُمِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنِ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي
 أَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ فَرَادَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ :

وَمَا زِلْتُ خَلًّا لِلنَّدَامِيِّ إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا يَدُورًا يَسْتَحْشُونَ أَنْجُمَا
 تَكَرَّمَتْ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يَحْدِثَنَّ فَيْكَ تَكَرُّمًا
 وَالزِّيَادَةَ أَنْ عَنَتَرَةَ ذَكَرَ أَنَّهُ يَسْتَهْلِكُ مَالَهُ إِذَا سَكِرَ ، وَالْبَحْتَرِيُّ ذَكَرَ أَنَّهُ تَكَرَّمَ
 قَبْلَ الْكَؤُوسِ فَيَبَالِغُ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ الْكَؤُوسُ أَنْ تَزِيدَهُ تَكَرُّمًا .

وَمِنْ أَطْرَفِ مَا قِيلَ فِي حَسَنِ النَّدَامِيِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَقَدْ عَلِمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَامَانِ غَيْرُ جَهُولٍ
 فَإِنْ سَاءَ لِي مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتُهُ وَلَسْتُ إِلَى مَسَاءَتِهِمْ بِمَعْجُولٍ
 قَوْلُهُ * لَقَدْ عَلِمَ الرِّيحَانُ وَالرَّاحُ أَنِّي * فِي غَايَةِ الظَّرْفِ . وَشَبَّهَ الْبَيْتَ

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأسُ سُ فأدري أدمانهُ بالخلوم
قولُ ما أسخط النديم وإن أسخطه عند ذاك قولُ النديم
إلا أن في هذين البيتين عيّن أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذاك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

واست له في فضلة الكأسِ قائلاً لأصرفه عنها تحس وقد أبى
ولسكن أحبييه وأكرم وجهه وأشرب ما أبقي وأسقيه ما تشتهي
وليس إذا ما نام عندي بموقف ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أَرْضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطاعا
لم يكن يئمننا رَضاعاً ولكن صيرت يئمننا المدام رَضاعا
وهو من قول الناشيء : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذكر الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مضافه
لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقاً لا أراه لغير الراح إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه راح اللذات في الزمان القديم
وقلت : لما تبدى وجهه كالسدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبى حيميس في خلع الظلام
آثرت طاعة حبه واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى الدما م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحسارني شاعر مقبل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للمحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحتشم وأنا مؤانس تدأب لمضاتي ^(١)
 وتسعى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثله . وقلت :

ما أعافُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتهُ لفقْدِ النديم
 ليس في اللهو والمدامة حظٌ لكريم دون النديم الكريم
 فتخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطرات النسيم
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشي :
 وسبيئة مما تعتقُ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيامُ حمرةَ لونها وسرتْ بلذتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشي (سلبتها جريالها) فقال :
 فخذها مشعشعة قهوة تصبُّ على الليل ثوبَ النهار
 ويسلبها الخلدُ جريالها فتهديه للعين يومَ الحار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الحار * وهو في صفة حمرة
 العين من الحار جيد إلا أن قوله (مشعشعة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشعة ، ألا ترى أنك تقول خر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خر ، وإن كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائقُ كذاظرِ الخمرور وأقحوانٌ كمنغورِ الخور
 ونرجسٌ كأنجمِ الديجور

فشبهت ما يمتري بياض العين والخالق من الحجرة عند الخمار مع سواد الحديقة
بجمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغلى بها حتى إذا ما ملكتها أدات لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لعانها وتحسر حتى مائة ل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صر فأفسطوا عليها مزاجاً فاكنت لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوة مثل السهمها أدمجن إدماجا
يجاذبن من الأردا في كشياناً وأمواجا
وقضباناً من الفضضة قد أثمرت العاجا
ويسترن من الأبخار في الديباج ديباجا
وقد لائت من الكور على مفرقها تاجا
فلسا طفن بالجلوس أفراداً وأزواجاً
تجاذن فغنينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا

ومن جيد ما قيل في بحثة حلق المغنى قوله أيضاً:

أشتمى في الغناء بحثة حلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشو ق فضاهى به أنين العود
لأحب الأوتار تعاو كما لا أشتمى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنَّبات كحبي للعبادي موصولة بالمشيد
كحبوب الصبا توسط حالاً بينَ حالين شدة ورُكود
وقد أحسن ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ بمنابها إذا ضربتُ بها وتثرُ يسراها على المسودِ ع نابا
وقلت : وهيجتُ لي من شوقٍ ومن فرح أيدٍ ثرنَ على الأوتارِ ع نابا
لا عيبَ في العيش إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكر عذر
لا يمدُّ الصوت فيه نفورٌ لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تتغنى كأنها لا تغنى من سكون الأوصالِ وهي تجيد
مدٌّ في شأو صوتها نفسٌ كا في كأنفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لاثمٌ مستزبد ولها الدهر سامعٌ مستعيد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كالتي تندرُ في الندره

وقول الآخر :

إذا وقع بالعود زمرنا بالكؤوس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومي :
فظلتُ أشربُ بالارطال لا طرباً عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلس ضحك السرورُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندس مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض سمطيه من سنان نؤيق إلى زجه
كفرجك خفتان وشي بد يياض الغلالة من فرجه

ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستمهجان أولى لا لرداءة
معناها ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وإن كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
وخلاف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقه له :

ألمت ترى ركب الغمام يساق^١ وأدمعه بين الرياض تراق^٢
وقد رق جلاباب التسم على الثرى^(١) ولكن جلايب الغيوم صفاق
وعندي من الریحان نوع تحية وكأس كرقاق الخلق دهاق
وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دقاق
لنا أبداً من ثره ونظامه بدائع حلّ مالهن حقاق
وأغيدمهم تر على صحن خده غلائل من صبغ الحياء رقاق
أحاطت عيون العاشقين بخصره فمن له دون النطاق نطاق
هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر ثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
وقد مر ، وبيت السري أجود منه سبكاً ونظماً ورصفاً :

وقد نظم المنثور فهو قلادة علينا وعقد مذهب وحناق
وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن علينا كلة ورواق
تقسم زوار من الهند سققها خفاف على قلب النديم رشاق^(٢)

وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإبطاء، وهو من أسهل العيوب التي نعتري القوافي عندهم:

أعاجم نلنك الخصاص كأنها كواعب زنج راعهن طلاق

(١) في ديوان السري « على الندى » . (٢) في الأصل (قلب الكريم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمان تهببت
 مواصلة والورد في شجراته
 فزرفية برد الشراب لديهم
 وقلت : وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كبرت
 وقلت : هذا حبيب وصول
 وذلك شرح شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه
 وشيمتها غدر بنا وأباق
 مفارق الفان منه فراق (١)
 حيم إذا فارقتهم وغساق
 وبعث فيه العقل والدين
 وبات فيه الهم مسكينا
 نسيم راح ورياحينا
 لاحت بأيدينا هوت فينا
 وحسبا يضحكن يميننا
 يسعد الكأس ثلاثينا
 وذا رقيب صروم
 أغر وهو بهم
 وسامر ونديم
 فليس شيء يدموم

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه
 بروقه سافرة
 فما سي ؟ سماء
 طلبت أقصى أملى
 بسيدين ارتقيا
 واتفقا في كنية
 نشر بها عذراء قد
 أكرم ذخر ذخر
 على الثرى منسجبه
 وشمس منتقبه
 ضاحكة منتقبه
 منه فنلت الطلبة
 منتقبه فمنتقبه
 والتقيا في مرتبه
 قامت بحق الشر به
 من كرمه في عنبه

في مجلس أظنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوم أمضت ساعاته المستعده
 كالحظة مخلوصة وقبلة مستلبه
 وقلت : عندنا طيب وريحنا ن ونقل وغناء
 ومن المشروب لونا ن شمول وطلاء
 ومن اللحم خليطا ن طبيخ وشواء
 ومن الحلواء ألوا ن أحاد وثناء
 ولنا غلمان صدق أدباء أرباء
 أرسلوا في الصحن ماء فكان الصحن ماء
 واثنوا للحسن عدوا فخواشيه رداء
 فارشف الهم غناء أنما الهم بلاء
 واغتم لذة يوم قد تخطاه العناء
 فهو بطوبك ويمضي ليس للدنيا بقاء

ومن المشهور في صفة السكارى قول بعضهم :

مشوا إلى الرّاح مشى الرّخ وانصرفوا والراح تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالعراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملوك وناموا كالساكين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدّلوا مشى الفرازين بمشي الرّخاخ
 ومما يجري مع هذا قول الآخر :
 تزيد حسا الكأس السفه سفاهة وتترك أخلاق الكريم كماها
 وإن أقلّ الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صاحيا
 ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة
وعلى بناء الورد خيش كأنه
وقلت : ظي يروق الناظرين بأبيض
ومقوم مثل القضيبي مهيف
ومفرج من خده ومكفر
وبياض وجهه بالصباح مقنع
علفت أباريق المدام بكفه
وعلا دخان الند أبيض ساطعاً
فكأنما الكلمات في حافته

من الند إلا أنها ليس تهطل
على جلده ثوب العروس المصنل
وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومعوج كالصولجان مشبل
ومخلق من شعره ومسلسل
وسواد فرع بالظلام مكمل
كالبدن يعلق بالسماك الأعزل
مثل الغمامة غير أن لم يهمل
شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو الله من ابتدا في العين في اغفائها

أحلى وأشهى من متى نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغروا نحوها الآذان حتى كأنهم وما نأموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حمدتُك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها (١) ومضى كراها

سمعتُ بها غناءً كان أولى بأن يقتادَ نفسى من عناها

ومسمعة تفوت السمع حسناً (٢) ولم تصعبه لا يصمم صداها

مرت أوتارها فشفقت وشاقت ولو بسطيع حاسدها فداها (٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجعل شجاءها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها) .

(٢) في الديوان (يحار السمع فيها) . (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنني أعمى معنى بحسب الغايات ولا يراها
وكان ينبغي أن يقول (فداها حامدها) وليس نقوله (فلا يستطيع حامدها)
معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أني يكون غناؤها فصيحاً ولم تغفر ^(٢) بمنطقها فما
ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للعزيز وأكلم
ولم أرَ مثلي شاقه صوتٌ مثلاً ولا عربياً شاقه صوتٌ أعجباً
ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيههم إياه بالولد في حجر أمه
وتشبيهه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم :
فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمته بين ترائبٍ ولبان
طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركت له أذنًا من الآذان
ومثله قول الناجم :

إذا احتضنت عابثٌ عودها وناغته أحسن أن يعربا
تدغدغ في مهيل بطنه فتسمعنا مضحكاً معجباً
وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مركب على الطبائع الأربع فقال :
شدت فجلت أسماعنا بمخفف يحدتها عن سرها وتحدته
مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق محدته
فللنار منه الزير والأرض وللريح متناه وللاماء مثله
وكل امرئ يرتاح منه لنغمة على حسب الطبع الذي منه يبعثه
شكاً ضرب بمنائها فظلت يسارها تطوقه طوراً وطوراً ترعته
فما برحت حتى أرتنا مخارقاً يجاذبه في أحسن النقر عثته

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام . (١) الهلالي من فحول الخضر مبن والمعبرين .

(٢) أي لم تغفر .

وحقّ حسبت البابلين القنا ؟ على لفظها السحر الذي فيه تنفثه
وأجود ما قيل في اتفاق الضرب ، والزمر قول هرون بن علي المنجم :

غصن على دعص نقا منها ^لسمى بكأس ^لمثل لمع الآل
وفاتنات الطرف ^لوالدلال ^لهيف الخصور رجح ^لالا كفال
ياخذن من طرائف الأرمال ^لومحكم الخفاف والنمال
يجرى مع الناس بلا انفصال ^لمثل اختلاط الخمر بالزلال
يدعو إلى الصبوة كل ^لسال ^ليصرع كل ^لفانك بطل
ومن حرام اللهو والحلال ^لأكرم من مصارع الأبطال
وقال كشاجم في وصف العود والقينة وأحسن :

تميس من الوشى في حلة ^لتجبرر من فضل أذيالها
وتحمل عوداً فصيح الجواب ^لبضاهي اللجون بأشكالها
له عنق مثل ساق الفتاة ^لودستائه مثل خلخالها
فظلت تطارح أوتار ^لبهازاجها وبأرمالها
وتعمل جساً كجس العروق ^لوتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أي المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قاب فهو
يفنى لكل إنسان بما يشتهي . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر
عن المدائني قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أي خارج إلى
العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدني بربطاً من عمل زري فأهدني إليه عوداً وكتب
إليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافي الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
كهيئة طاليه وملاحة محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل في حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشي *
وكان ينهاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جستته حكمت متطبيعاً ^ليجيل يديه في جرس عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
 لأنَّ الطبيبَ يحسُّ بيدَ واحدةٍ وكذلك الضاربُ فليسَ لذكر اليدين رَجَه .
 ومن جيد ما قيل في صحة عبارة المود عن الغناء قول ابن أبي عون :
 تناجيك بالصوت أوتارهُ فتوفيك السنه أحرف
 وأبين منه قول الناجم :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
 وقلت: رُبَّ ليلٍ كساكَ ثوبَ نعيم بينَ ساقٍ وسامرٍ ونديم
 وكؤوس جرت وراءَ كؤوس وأعانتُ على طريق الهوم
 ولنا مزهرٌ كمثلِ فطيم في يدي مطرب كأمِّ الفطيم
 وسعوا صدره بعاج وذبل فزهتهُ محاسنُ التوسيم
 مثل أرضٍ تحبَّتْ بأقاح أو سماء تسكَّلتْ بنجوم
 ذو ملاوي سودِ الفروع وُحمر مثل أطرافِ فرحةٍ ونعيم
 ووساين لا نجولُ عليه كخلائيلِ ماردٍ وظالم
 أحمر الزير أسود المِ أحوى هل رأيتُم جداولَ التقويم
 ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والجلس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
 لو لم تحركهُ أناملها كانَ الهواءُ يفيدُهُ نطقاً
 جستهُ حاملةٌ بحالتهُ جسَّ الطبيبِ لمَدنفٍ عرقاً
 فحسبتُ يَمناها تحركهُ رعداً وخلتُ يمينها برقاً
 وقال بعضهم في رقص :

عجبتُ من رجليه تتبعانه يعلوها طوراً ويعملوانه
 كأنَّ أفعيين تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الحمار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو نواس * وداوني بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بما لا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقعاً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلى بلى فما اشتفى من الداء من قد بات بالداء يشفى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطى * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كثل صف رجال قد أقيموا ليرقصوا دستبندا
وقال العلوى الأصفهاني في الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثار إلا وهو مذبح
طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوى زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبته لا ينفع الدهر إلا وهو محجوم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذف الكلامين حذف واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الرق أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقب داء مقيرة قد برنسن بالطين
مكافحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى

وقال العلوى الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خزف :
مخدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسن الأوانس

وأترابها بلبسنٍ بيضٍ غلائل هي العرى مقرورٌ بها كلُّ لابس
 مشعشة مرهاء ما خلت أنى أرى مثلاً عذراء في زى عانس
 المعنى جيد وفي الالفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراوق :
 كأنما الرأوق^(١) وانتصابه خرطومٌ فيل سقطت أنياه
 وفيه : سماء لا ذطره --- ارحيق رَحِب الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيق لو جرى العقيق حتى اذا ألهمها النصفيق
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأشداً بوعثمان :

فبت أرى السواكب دانيات ينان أنامل الرجل القصير
 بالكفين غنى وأمسح عارض القمر المنير
 أبو حكيم فن حكمت كأسك فيه فاحكم له بأقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمت بضعف سكرى لما سقيتى إلا بمسقط
 بحسبك أب خاراً بجني أمره يباه فأكاد أسقط^(٢)
 ولابن الرومي في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت من كل ضرر كان يجنى عليك في رغفانك
 قد رد دناه فأتخذهُ لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذهُ على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخل من إخوانك
 أضرسقنا حوضه فيه تحكي رعدة^(٤) تعتربك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقني بالكبير إلى كبير إنما يشرب الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراوق : ناجود الشراب الذي يروق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الشعابي في النهاية لابن لئلك باختلاف في بعض الالفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومي (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن طائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهلِ ولم أرَ المغبونَ غيرَ الماقلِ
رحلتُ عنا من كرومِ بابلِ فبتُّ من عقلي على مراحلِ
وقال غيره في نبيذ الدبس :

عنى أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو ترانى فى يدى قدحُ الدو شاب أبصرت بازيا فى غراب
وقال بعضهم فى كيزان الفقاع :

لستُ بدافِ خمارِ مخمور إلا بصافى الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسهِ القناعُ إذا نفست عنه خناقِ مزور
يميلُ أعلاهُ وهو منتصبٌ كأنه صولجانٌ بالور
وقلت : وأبيض فى أحشاء خضر كأنها قصارُ رجال فى المسول قعود
وقال بعضهم فى الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيدة نصفُ سائرهِ
أنطقتهُ يدا فتى فأتى اللحظِ ساهرهِ
فحكى عن ضميره ماجرى فى خواطرهِ

وقال آخر فى المعزفة :

معلنة الأوتارِ صخابةً لها حنينٌ كحنينِ الغريبِ
مكسوةٌ أحشاؤها حلةً بيضاء من جلدِ غزالِ ريبِ
كأنما تسمعه أوتاره نصيناً أشراكاً لصيد القلوبِ

آخر الباب والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شديد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
التهاافت وبرأها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير لو أنها أوفى الألوان لأبصار
الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبرها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
أعلام صبحها وسود ذوائب ليلها وجل أغرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
منازله وخالف بين مناظره لتماموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعانى - ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجوم كأنها مصاييحُ رهبان تشبُّ لُقَمَّال (١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سريفاً بليلٍ والنجومُ كأنها قِلَادَةٌ دُرٌّ سُلَّ عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيتُ السماءَ كالبحرِ إلا أنَّ مرسوبه من الدُّرِّ طافي
فيه ما يملأُ العيونَ كبيرٌ وصغيرٌ ما بينَ ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبسَ الدُّجى كانتْ نجومُ الليلِ حصباءها

وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :

كأنَّ سماءَها لما تجلَّتْ خلالَ نجومها عندَ الصُّباحِ
رياضُ بنفسجٍ خضِلَ نداءُ تفتحَ بينها نورُ الأُقاحِ

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الخمار والنجمُ غائرُ غلالةٍ ليلٍ بالصباحِ مطرر

كانَ بياضُ النجمِ في خضرةِ الدُّجى تفتحَ وردٍ بينَ رندٍ^(١) وعبقَر
وقلت : كم سرور ذرَّعتُ بينَ الندامى وهموم طرَدْتُ بينَ الكؤوسِ

وتلوح^(٢) النجومُ في ظلمةِ الليلِ كماجِ بلوحٍ في ابنوس

وقلت : بليلٍ كما ترفو الغزاةُ أسودَ على أنه من نور وجهك أبيض

كواكبه زهرٌ وصفرٌ كأنها قبائع منها مذهبٌ ومفضض

وفي النجوم ما هو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحر فشبه الأبيض بقبيعة

مفضضة والأصفر والأحر بالمذهبة والذهب بوصف بالحمرة والصفرة ، ومثل هذا

التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وبياض النجوم » انتم المقابلة ويخلص

من تسكلف « وتلوح » .

وخلتُ نجومَ الليلِ في ظلمِ الدُّجى خصاصاً أرى منه النهارَ نقاباً
وقد أحسن الناشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
وردت عابها والنجوم كأنها كتائب جيش سوّمت لكتائب
وقلت : وأنجم كزرب في شهب كالشهب تجري في خلال خطب
والحور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرضَ أثناء الوشاح المفصل
وقد استحسن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
قال بعضهم وهو معيب لأنَّ التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أى جانبه قال
والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابنُ ماء مخلق
وقالوا أحسنه قول ابن الطثرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جنانٌ وهى من سلكٍ فتبددًا
أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ما هى بتبددة واسكنها مرصوفة .
قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهى متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبهاهما من جهة
البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشرَ سقمُ الهلالِ بالعيد
تبدو الثريا كفاغرٍ شرٍ يفتحُ فاهُ لاأكلِ عنقود
والأول أجود لذكر وهذا ذكر العنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
أو أحمر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت أساربها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) إذا ذُقتَ فاهُ والثريا في جانب الغرب قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب

فتخيرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب

فهي كَأَسْ في شروقٍ ، وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجوم مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصدفت إلى الغرب الثريا نوالد لو سلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كَأَنَّ الثريا هَوْدَجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مرعج

وقد لمعت بين النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال محمد الموصلي :

وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصا به

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناوانيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعى نجومَ الليل وهي كأنها نواظرٌ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حوطا منهن طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه) . (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الصنوبرى على كل حالاتها فقال :

في الشرق كأَسْ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأُنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَمَتْهُ بَنُونَ مِنْ غَنَامٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجُونٍ
وَالثَرِيَا كَنَسُوهُ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وَقَدْ أَحْسَنَ وَأَطْرَفَ . وَقَدْ أَصَابَ الْقَائِلُ بَعْضَ وَصْفِهَا فِي قَوْلِهِ
« كَأَنَّ الثَّرِيَا حَلَّةَ النُّورِ مِنْخَلٌ » وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْقَنِيهَا وَالظَّلَامَ مُقَوِّضٌ وَخَيْلُ الدُّجَى نَحْوَ الْمَغَارِبِ تَرَكُضُ
كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرَ أَوْ لُجَامٍ مَفْضُضٍ
وَشَبَّهَتْ بِالْقَدَمِ ، قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قُمْ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحْ بِسَوَادٍ قَدْ كَادَ يَبْدُو الصَّبْحُ أَوْ هُوَ بَادٍ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدِمَتْ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ
وَقُلْتُ : كَأَنَّ نَهْوَضَ النَّجْمِ وَالْأَفُقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ كَسْفَرٍ تَحْتَ خَضِرَةِ شَارِبٍ
وَقُلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظَّلَامُ مُقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنْ أَغْرٍ مَقْلَجٍ
تَسِيرُ وَرَاءَهُ وَالْهَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَوْمَأَتْ كَفٌّ إِلَى نِصْفِ دَمَلَجٍ
وَقُلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ الْأَفُقِ يَتْبَعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَامَ مَتَقَبٍ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مَجْتَمِعُ كَأَنَّهَا عَقَرَبٌ مَقْطُوعَةٌ الذَّنْبِ
وَأَحْسَنَ مَا قَبِلَ فِيهَا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ قَوْلُ الْآخِرِ :

وَكَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي النَّجْمِ جُفْدَى وَيُحْيَا
وَقُلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثَرُ الْخُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْعَفُ بِالْوُقُودِ
فِي أَنْجَمٍ كَرَبْرَبٍ فِي يَدٍ يَلُوحُ فِي التَّصْوِيبِ وَالتَّصْعِيدِ
كَشَرَفَاتٍ فَدَنَ مَشِيدِ

وَقُلْتُ : قُمْ بِهَذَا نَظْرُ الدُّهُومِ بِكَأْسٍ وَالثَّرِيَا لِمُفْرِقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجْرَةُ فِيهِ كَسَيْبٍ يَمْسُدُهُ نَسَاجُ

وقال العلوي الأصمهاى في حسن الاستعارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهَتْ لَأَلَى مُدْمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهَتْ لَأَلَى الثَّرِيَا
وَرَدَاءُ الدُّجَى لَبِيسٌ دَرِيسٌ بِيَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طَيَا
وشبه أبو فراس الثريا بالتمخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثَّرِيَا وَالْبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يَحْيَا بَنَرَجْسٍ مَلَكٌ
أَجُودٌ مَا قِيلَ فِي الْجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ الْغَنَوِيِّ (١) :
وَقَدْ مَاتَ الْجُوزَاءُ حَتَّى كَانَهَا فَسَاطِيطُ رَكَبٍ بِالْمَغَالَةِ نَزُولُ
وَلَوْ شَبَّهَا بِفَسَاطِطِ وَاحِدٍ كَانَ أَشْبَهَ . ومن شعر المحدثين قول ابن المعتز فيها وفي الثريا :
وَقَدْ هَوَى النِّجْمُ وَالْجُوزَاءُ تَتَبَعُهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا
مَعَ أَنَّ الْمَصْرَاعَ الْآخِرَ غَيْرُ مُخْتَارٍ الرِّصْفُ ، والنجم اسم مخصوصة به الثريا .
وقال فيها وفي الشعرى العبور :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمَحٍ جَرَّهُ رَامِحٌ
وَقُلْتُ : سَقَانِي وَالْجُوزَاءُ يَحْكِي شُرُوقَهَا طِفْوَ غَرِيقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلٍ
وهذا وصفها عند طلوعها . وقلت فيها حين توسط السماء :

شَرَبْتُهَا وَاللَّيْلُ مُسْتَوْفِزٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبَةٍ
كَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةٍ مَذْهَبَةٍ
كَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ طَبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبَةٍ

وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقَنِيهَا وَاللَّيْلُ فَرْعُ عُرُوسٍ زَيْنُوهُ بِدُرَّةٍ وَجَاهَانُهُ
وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارَسٌ مَالٌ عَنْ سَرَاةٍ (٢) حَصَانُهُ
وقال آخر : وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ وَاتَرُ قَوْمٌ أَخَذُوا وَتَرَهُمْ بِقَطْعِ بَدْنِهِ

(١) من بني غنى ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سراة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوح لي الجوزاءُ سكرى كلما نأمت بها الجرباءُ كادت تلثني
ونطاقها متراصف في نظمه فكأنما انتطقت بقطعة جوشن
الجرباء اسم للسماء ، وفي ألفاظها تكاف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلباب داج كفرع الخود أوعين الغزال
كأن كواكب الجوزاء فيه زميلة^(١) مفعجة البزال
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضت وتوج بالهلل
ركبت صدوره وتركت خيلي توالى تحت أنجمه التوالى
ويخبطن الصباح إذا تبدى كما يكرعن في المساء الزلال
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :
أقول لما هاج شوق الدكرى واعترضت وسط السماء الشعرى
كانها ياقوتة في مدرى ما طول الليل بسر مرى
وقد أكثروا من وصفها بالعبر وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من السكواكب قول بعضهم :
ولاح سهيل من بعيد كأنه شهاب ينحيه عن الرشح قابس
وقال ابن المعتز :

وقد لاح للشارى سهيل كأنه على كل نجم في السماء رقيب
وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جبران العود :
أراقب المحاً^(٢) من سهيل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل مطرف^(٣)
وقلت : وبسهيل رعدة المزود^(٤) وهو من الأنجم في محيد
حل محل الرجل الطريد

(١) في نسخة « زميرة » . (٢) في ديوان جبران العود « أراقب لوحاً » .

(٣) في ديوانه « بطرف » . (٤) أى المزور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كَأَنَّ سَهِيلًا وَالنَّجُومُ أَمَامَهُ يَعَارِضُهَا رَاغِ أَمَامَ قَطِيعٍ

أَجُودَ مَا قِيلَ فِي النَّسْرِ الْوَاقِعِ قَوْلُ الْجَمَانِي :

وَرَكِبَ ثَلَاثَ كَلَامَاتٍ تَعَادَرُوا دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى أَوْ مَضَتْ سُنَّةُ الْبَدْرِ

إِذَا اجْتَمَعُوا سَمِيَتْهُمْ بِأَسْمٍ وَاحِدٍ وَإِنْ فَرَقُوا لَمْ يَمُتُوا آخِرَ الدَّهْرِ

وَهُوَ مِنَ اللَّغْزِ الْمَلِيحِ . وَمِنْ جَيْدِ مَا قِيلَ فِي الْفَرَقْدِينَ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَرَنَا إِلَى الْفَرَقْدَانِ كَمَا رَأَيْتُ زُرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ أَسْوَدَ

وَفِي الْحَجَرَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

كَأَنَّ الْحَجَرَةَ جَدُولُ مَاءٍ نَوْرُ الْإِقَاحِ فِي جَانِبِيهِ

وقال ابن طباطبا :

مَجَرَّةٌ كَلَمَاءٍ إِذْ تَرَقَّرَا شَقَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ بَرْدًا أَزْرَقَا

لِبَاسٍ تُسَكِّلِي وَشَيْهَا الْمَشَقَّةَا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كَأَنَّ الَّتِي حَوْلَ الْحَجَرَةِ أَوْرَدَتْ لَنْكَرَ عَ فِي مَاءٍ هُنَاكَ صَيِيبٌ

فَوَجَدْتَهُ مُتَسَكِّلًا جَدًّا فَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

لَيْلٌ كَمَا نَفَضَ الْغَرَابُ جَنَاحَهُ مُتَبَقِعُ الْأَعْلَى بِهِمِ الْأَسْفَلِ

تَبْدُو السُّكُوكُ مِنْ فَنُونِ ظِلَامِهِ لَمَعَ الْأُسْنَةُ مِنْ فَنُونِ الْقَسْطِ

وَتَرَى السُّكُوكَ فِي الْمَجَرَّةِ شَرَّعًا مِثْلَ الظُّبَاءِ كَوَارِعًا فِي جَدُولِ

وَقُلْتُ : تَبْدُو الْحَجَرَةُ مِنْجَرٌ ذَوَائِبُهَا كَلَمَاءٌ يَنْسَاحُ أَوْ كَلَامٌ يَنْسَابُ

وَزَهْرَةٌ بِلَازَاءِ الْبَدْرِ وَاقِفَةٌ كَأَنَّهُ غَرَضُهُ يَنْحُوهُ نَشَابُ

أَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْهَلَالِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ الْأَعْرَاجِ :

كَأَنَّ ابْنَ مَزْنَتِهِ جَانِحًا قَسِيطٌ لَدَى الْإِفْقِ مِنْ خَنْصَرِ

أَيُّ كَأَنَّ ابْنَ مَزْنَتِهِ وَهُوَ الْهَلَالُ لَدَى الْإِفْقِ قَسِيطٌ مِنْ خَنْصَرٍ وَالْقَسِيطُ الْقَلَامَةُ

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذه ابن المعتز فحسّنه في قوله :
ولاح ضوء هلال كاذب يفضحه مثل القلامة قد قدّت من الظفر
وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظ منه ناظر ذات أشجار
كأن الذي أبقي لنا منه أفعه قصيص سوار أو قراضة دينار
ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقي لنا منه أفعه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلال فارقه ليلته بدا لمن يبصره وينعته

كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :

وقد بدا فوق الهلال كرتة كهامة الاسود شابت لحيته

ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطر قد أنار هلاله فالآن فاغد إلى المدام وبكر

وانظر إليه كورق من فضة قد أثقلته حولة من عنبر

وقال : في ليلة أكل الخاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج

وقلت : لست من عاشق أضل السبيل فسقى دمه الهطول طولاً

برد الليل حين هبت شمالاً فجعلت الصلاة فيها الشمولا

في هلال كأنه حية الرمل أصابت على البقاع مقبلا

بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا

وقلت : وكؤوس إذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالبحرين

وكأن الهلال مرآة تبر تنجلي كل ليلة أصبعين

هذا البيت يتضمن صفة من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :

جلب المجاعة ضامر بخل قد خلت فيه لضعفه سلا

طفلاً وليكن أمره عجب
قد نادى بعد كموالة طفلاً
قد كان حمل ليلتين فلم
تر مثله طفلاً ولا حملاً
ومن العجائب أن يعود فتى
في سبع عشرة ليلة كحلاً

وقال السري :

قم يا غلام فهاهما في كأسها
كالجمارة في جنى نسرين
أوما رأيت هلال شهر كقد بدا
في الأفق مثل شعيرة السكين
جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا
التشبيه . وقال بعضهم :

والجو صاف والهلال مشنف
بالزهرة الزهراء نحو المغرب
كصحيفة زرقاء فيها نقطة
من فضة من تحت نون مذهب
جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زين للعيون هلاله
فرمقن منه حاجباً مقرونا
يبدو ويبدو والنجم فوق جبينه
وكأن جنح الليل ينقط نونا
وقد استحسنت للعلوي الأصفهاني قوله :

لاح الهلال فووق مغربه
والزهرة الزهراء لم تغب
تهوى دوين مغيبها فهوت
تبكي بدمع غير منسكب
فـسكانها أسماء باكية
عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلة والهوى متضرم
والبدر في أفق السماء مغرب
فـسكانها فيه رداء أزرق
وكأنه فيها طراز مذهب

حق الدجى ان تؤنث لأنها جمع دجية . وقلت :

كأن الهلال الشهر قطعة دملج
تلوح على أعضاء معتكر غاس
تري الزهرة الزهراء تهوى وبراءه
كما مر سهم قاصد نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة الممطرة ما أنشدني أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مغمرة كأنها فضة ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولت الأذاذ من كذب والدَّهر مسكون الحوادث والنوب
في ليلة قراء تحسب أنها تلقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ما ذقت طعم النوى لو تدرى كأنما جنبي على جر
في قمر مشرق نصفه كأنه مجرفة العطر
فريسة للبق منهوشة قد ضعفت كفى عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سرَّ أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شد
تعززه شررات البعوض في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه)
فمن أحسن ذلك قول ذي الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته ^(١) بأربعة والشخص في العين واحد
أحم عافى وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد ^(٢)
فأخذ ابن المعتز ونقله إلى ما هو أطرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا
جلباب الشباب أطرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذي الرمة .

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، عافى : منسوب إلى عاف حي من العرب يعملون
الرجال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى مهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي (١).

ويليل يقول الناس من ظلمانه سواء صحيحات العيون وعورها
 كأن لنا منه بيتاً حصينة مسوحاً عاليها وساج كسورها (٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد ألفت على الأرض
 أكارعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نعارف إلا بالأذان ، وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودة الوجه منسوباً إلى الفحيم
 سدت على نظري الرايين منهجه حتى تعارفت الأشخاص بالكلم
 لا أسام الجهد فيها أن أكابده ولا ترى صاحب الحاجات ذا سام
 أحاول النجح في أمر أزاوله والنجح في دلجات الأيتني الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه (٣) قد اكتحلت منه البلاد بالتمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وجنح الليل مكتحل بقار
 وقول أبي تمام أجود لأن الا كنهال بالتمد لا بالقار ، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجودك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى تجلت بفرقة كغفرة يحيي يوم يذكر جعفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لا تسمعني لصبح إن الغبوق حبيبي
 فالليل لون شبابي والصبح لون مشبي

ومن الاستعارة قول ذى الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب
 (مسوحاً عاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَفَتْهَا ۖ وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الْحَصَى بِسَوَادٍ^(١)
أَخَذَهُ الْبَحْثَرَى فَقَالَ وَقَصُرَ :

عَلَى بَابِ قَنْدَسَرِينَ وَاللَّيْلُ لَا طُخْ ۖ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلُمَةٍ بِمَدَادٍ
لَيْسَ الْبَيْتُ عَلَى السَّكَةِ الْمُخْتَارَةِ وَقَوْلُهُ (لَا طُخْ جَوَانِبُهُ مِنْ ظُلُمَةٍ بِمَدَادٍ) مِنْ بَعِيدِ
الِاسْتِعَارَةِ . وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَوْلَ مُسْلِمٍ ۖ كَانَ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تَنْشُرُ ۖ فَقَالَ :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرَهَا ۖ شَبِيهَةٌ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَوْقَ بَعِيدٍ عَنْهُ وَاخْتَلَفَ فِي النِّظْمِ وَأَقْلَقَ الْقَافِيَةَ . وَقُلْتُ فِي مَعْنَاهُ :

تَسْمِيكَ فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِفَرْعِهَا ۖ شَبِيهًا بِعَيْنَيْهَا وَشَكْلًا بِخَدَّيْهَا
فَتَسْكُرُ مِنْ عَيْنٍ وَكَأْسٍ وَوَجْنَةٍ ۖ تَحْيِيكَ أَعْقَابَ الْكُؤُوسِ بِوَرْدِهَا

وَمِنْ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

أَرَقْتُ لَهُ وَالرَّكْبُ مِيلَ رُؤُوسِهِمْ ۖ يَخُوضُونَ ضَحَضَاحَ الْكُرَى وَبِهِمْ قُرْ
عَلَامُهُمْ جَلِيدُ اللَّيْلِ حَتَّى كَانَهُمْ ۖ بَرَاةٌ تَجَلَّى فِي مَرَاقِبِهَا قَمَرُ
إِلَى أَنْ تَعْرِى النُّجُومُ مِنْ حُلَّةِ الدُّجَى ۖ وَقَالَ دَلِيلُ الْقَوْمِ قَدْ نَقَبَ الْفَجْرُ
وَقَدُوا أَدِيمَ الْفَجْرِ حَتَّى تَرَفَعَتْ ۖ لَهُمْ لَيْلَةٌ أُخْرَى كَمَا حَوْمُ^(٢) النَّسْرِ
وَقَالَ دِيكَ الْجَن :

سِيرَضِيكَ أُنَى مَسْخَطِ فَيْكَ كَاشِحًا ۖ وَمَرْتَقِبٌ ۖ هَوْلَانُ مَوْتٍ مَرَقِبُ
وَجَانِبُ لَيْلٍ لَوْ تَعَلَّقَ قِطْعَةً ۖ بِقِطْعَةٍ صَبَحَ لَا نَشْتٌ ۖ وَهِيَ غَيْبُ
وَقُلْتُ : وَمَدَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ ثَوْبًا مَنَمَقًا ۖ وَأَشْعَلَ فِيهِ الْفَجْرُ فَهُوَ مُحْرَقُ
وَصَبَحْنَا صَبِيحًا ۖ كَأَنَّ ضِيَاءَهُ ۖ تَعْلَمُ مِنَّا كَيْفَ يَبْهَى وَيَشْمَرُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

نَفَلْتُ الدُّجَى وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ خِيْطَهُ ۖ رَدَاءٌ مَوْشَى بِالسَّكَاكِبِ مَعْلَمًا
وَهُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)

(١) فِي الْأَصْلِ تَصْحِيفٌ صَحَحْنَاهُ مِنْ دِيْوَانِهِ . (٢) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الْمُعْتَزِ (حَلَقٌ) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
سَحَابٌ مُمْطِئَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي :

وَرُبَّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمِلُ فِي الْجَوِّ سُدَّ رَايَاتِ
لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلُ الْأَزْهَارِ وَسَطَرُ رَوْضَاتِ

ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
صنف كتاب عبار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
فهو كالمسن يشخذ ولا يقطع .

ومن أحسن الاستعارة في ذكر الليل قول ابن أبي فتن :

أَقُولُ وَجَنَحُ الدُّجَى مُلْبِدٌ وَلَيْلٌ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدُ
وَنَحْنُ ضُجَّيْعَانُ فِي مَسْجِدٍ فَلِلَّهِ مَا ضَمَّنَ الْمَسْجِدُ
أَيَّالِيَةَ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْلَةُ الْهَجْرِ لَا تَنْفَدُ
وَيَاغِدُ إِنْ كُنْتُ لِي رَاحَةً فَلَا تَدْنُ مِنْ لِيَاكِي يَاغِدُ

وقال السري :

وَشَرُّ الصَّبْحِ عِنَا اللَّيْلِ فَاتَّضَعْتُ سَطَوْرَهُ الْبَيْضَ فِي رَايَاتِهِ السُّودِ
وَقُلْتُ : أَيْلُ كَنْفَرِ الْخُودِ تَخْلُفُهُ ضَحَى زَهْرَاءُ مِثْلَ عَوَارِضِ الزَّهْرَاءِ
عَبَقْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ كَأَنَّمَا نَفْضُ الرَّقِيبِ غَلَالَةُ الدَّلَاءِ
وَقُلْتُ : وَاللَّيْلُ يَمْشِي مَشْيَةَ الْوَيْدِ فِي الْخَضِرِ مِنْ لِبَاسِهِ وَالسُّودِ
وَالصَّبْحُ فِي أَخْرَاهُ ثَانِي الْجِيدِ

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس :
وليل كموج البحر ^(١) أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى

(١) أي كموج البحر في شدة ظلمته .

فقلتُ له لما تَمطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضميناً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لأنه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب الغلو . والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرئ القيس ، ثم استدرك فقال :

على أنَّ للعينين في الصبح راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرئ القيس
 موقعاً والتكلف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والكواهة فيه ظاهرة .
 وقال ابن الدمينه في معنى قول الطرماح :

أظللُ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهم بالليل جامع
 وقال المحنون :

بضمُّ إلى الليلِ أطفالَ حبها ^(٢) كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ
 جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالا ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كلبني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء السكواكب
 تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضي وليل الذي يرعى النجوم ^(٣) بآيب
 وصدر أراح الليل عازب هم تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل
 « حبكم » وفي الاسان « حبها » وقال فيه : يروى « أئناء حبها » ويروى « أبناء
 حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة
 « يهدى النجوم » وهو الذي يتقدمها

فجعل الهم يأوى إلى قلبه بالليل كالنعيم العازبة تريحها الراحة مع الليل إلى
أما كنهها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تنزايد بالليل . وقلت :

وذكرنيهِ البدرُ والليلُ دونهُ فبات بحدِّ الشوق والصبر يلعب
كذكرى الحمى والحنى في منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلس أشيب
فأزدادُ في جنح الظلام صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليل أصعبُ
وقلت : ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهى وكذلك السرورُ بالليلِ أعذبُ

ومما استجذت من شعر أبي بكر الصولى فى معنى امرىء القيس قوله :

أسرَّ القلب فى هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
فتهاهى أراه للبعد ليلاً وأرى للسهاد ليلى نهارا
أنت فرقت بالتفرق صبرى فأعزنى لمسا عراني اضطبارا

ويستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما انفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنَّ فى الصبح راحةً لمحِبٍّ ومع الليل ناشتاتُ الهموم
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاح لى صبحٌ فهمى مقسم وفي الليل هـى بالتفرُّد أطول
وتمنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى بالنهار من الغرماء

ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهموم
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريم

قوله « ولا رداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :

وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر ما فيه خللُ
كأنما الاصباحُ فيها باطلُ أزهمه اللهُ الحقَّ فبطلُ

ساعاتها أطول من يوم النوى ليلة الهجر وساعات المنزل
 موصدة على الورى أبوابها كالنار لا يخرج منها من دخل
 وهذا يستلح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 ما ليس بمحسوس في التشبيه ردىء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظل الرشح قصر طوله دم الزق عنا واصطكاك المزاهر
 وقال المحدثى :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد أو آخره من بعد قطريه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :
 وحلت عليه ليلة أرجسية إذا ماصفا فيها الغدير تكدرا
 بعيدة ^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صبحها ^(٢) حين بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حلية الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد
 يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :
 عهدى بنا ورداء الليل مُسدل والليل أطوله كاللمح بالبصر
 والآن ليلي من باتوا فديتهم ليل الضرير فصبحى غير منتظر
 وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذى تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بهذا لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعه ، والمعنى أن ليله ممدود
 بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :
 لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تعول
 ليلي كما شئت قصير إذا جادت وإن ضنت فليلي طويل
 فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلاً » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أنْ نجومَ الليلِ ليستْ تغور
 ليلى كما شئتْ فإنْ لم تَزُرْ طالَ وإنْ زارتْ فليلى قصير
 إلا أن يئته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافي الكفاة يقول
 لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده : جُلُّهمي وهمتي جُرْجانُ *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شئت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ بلْ يا أبدُ أنا ثمَّ عنك غَدُ
 وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقالت :
 غابوا فلم أدر ما ألقى مسَّ من الوَجْدِ أوجنون
 ليلى لا يبتغي براحاً كأنه أدھمَّ حروبُ
 أجيلُ في صفحتيه عينا ما تتلاقى لها جفون
 وملح ابن الأحنف في قوله :

حدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا
 وقد أنبأ بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى وليسكن لم أنم ونفى عنى السكرى طيف ألم
 ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطير يتنا نفوشه على شعب الكوار والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادي * والاول أفصح .
 وأنبا العجاج أيضاً عن العلة التي لها بطول الليل * تطاول الليل على من لم ينم *
 وقال بشار :

لخدِّك من كفيك في كلِّ ليلةٍ إلى أن ترى ضوء الصباح وسادُ
 وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتهراً * والاشتجار
 وضع البد على الخلد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيت نراعى الليل نرجو نفاذه
وقال : خابلي ما بال الدجى لا تزجرح
وليس لليل العاشقين نفاذ
كأن الدجى زادت وما زادت الدجى
وقال دبك الجن :

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا
وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو :
كأن نجوم الليل سارت نهارها
فخمين حتى تستريح ركابها
وذا كرخالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطلال ليله أم قصر لتجيره وتبلده فقال :
لست أدري أطلال ليلى أم لا
لو تفرغت لاستطالة ليلى
وتبعه أبو بكر الصولى فقال :
وطولت ليلى لو دريت بطوله
وقال بشار :

طال هذا الليل بل طال السهر
لم يطل حتى دهانى بالهوى
فكأن الهجر شخص مائل
وقلت : صيرنى البين عرضة الحين
قد طال يومى وإيلتى بهم
كان قليلاً لدى مكشهما
فطال بعد الحبيب لبشهما
ولقد أعرف ليلى بالقصر
ناعم الأطراف فتان النظر
كلما أبصره النوم ففر
لا أربح الله صفقة البين
لما يزالا بهم قصيرين
فكنت أدعوها الجديدين
فصرت أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد

كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . أ كثر شعره فى الغزل .

وقال آخر :

يا ليلة طالت على عاشقٍ منتظرٍ في الصبح ميعادا
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول إبراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها ببدري
لم تلك غير شفيق وفجر حتى تولت وهي بكر الدهر
وقال غيره : ليلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوي الاصفهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجن ذو ضمير منهم مثل سرور شابه عارض غم
صحوٌ وغيمٌ وضياءٌ وظلمٌ كأنه مستعر قد ابتسم
مازات فيه عاكفاً على صنمٍ مُهفّف الكشح لذيد المتزم
تفاحه وقف على ثم وشم وبانه وقف على هصر وضم
يا طيبه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيش بأكناف الغضا وكذا العيش إذا طاب قصر
في ليل كأباهيم القطا لست تدري كيف تأتي وممر
وقلت : إذا البرق من شرقي دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرًا أغرّ محجلاً فقمنا به في ظلّ فينان مورك
فرّ كرجع الطرف ليس بمسه حنينٌ إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض المحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تنق

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت

اعرابياً قول جرير :

أبدّل الليل لانسرى كواكبهُ أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليسل لم يقصره رقاد
 نعيم الحب أورق فيه حتى
 بمجلس لذّة لم نقو فيه
 بخذلنا أن نقتطعه بلفظ
 وقصيره لنا وصل الحبيب (١)
 تناولنا جناؤه من قريب
 على الشكوى ولاعد الذنوب
 فترجت الميون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أطرف منك شعراً ، فقال أمان هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنّت إذا غلقت حبال قوم
 فاحسن حين يحسن محسنوهم
 أشاء سوى مشيئتهم فأتى
 وأنشدها عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجزيرة سويّة
 طابت فقصر طيبها أيامها
 والعيش غرض والزمان غير
 فكأنها فيها السنون شهور

وأنشدها عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظلنا في جوار أبي الجناح
 يقصره لنا شغل التلاقي
 يوم مثل سالفه الذباب
 ويوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتّابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كابها القطاة محبب إلى هواه (٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم تكن (٣) كمن نبه محرومة وحبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصيد العزيز ولم يكن) .

فقال وبه وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بعدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :
وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدُه كثير الطحاب
فقال إنما قال (عن جلدة الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة
فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد .
وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لم يدر قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو
ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تعد فيه شهور العيش أياما
وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأنني صريع مدام لم ينهه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله مما تداني أواخره
وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزَّمنُ بها أحداثه كوني بلا فجر
 راح الصباحُ بيدرها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقطت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم وانكن صلة تشبه اللحظة في انتقالها
 لست أدري أتممت بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعا مثلها أنشطت دهاء من عقابها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار وما يجري مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُقَى وقد جاؤوا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة ^(١) فحضرت ناديم وهناك شيخ طويل الصمت
 طالم بالشعر ^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون إليه وينشدون
 أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة ^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض إن كان ذا إبل فذبح أونحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوما والشيخ جالس فأنشده بعضهم بصف القطا :

غَدَت في رَعِيل ذِي أَدَاوَى مَنُوطَةٍ بلباتها مَرَبُوعَةٌ ^(٤) لَمْ تَمَرَّخْ ^(٥)
 إِذَا سَرَّ سَرَبَخٌ عَطَتْ ^(٦) بِجَالِ سَرَائِهِ تَمَطَّتْ فَحَطَّتْ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرَبَخٍ
 فَقَرَعَ الشَّيْخُ الْأَرْضَ بِمَحْجَنِهِ وَهُوَ صَامِتٌ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ آخِرَ يَصِفُ لَيْلَةً ^(٧) :

(١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالي القالي زيادة (وأيام الناس)

(٣) في الأمالي (فينفذ حكمه على من حضر بيبكر للعنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه

قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الأصل (مدبوعة)

(٥) تمرخ أي تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .

(٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالي .

كَأَنَّ شَمِيطَ الصَّبْحِ فِي أَخْرِيَاتِهَا مُسْلَاً يَنْقِي مِنْ طَيِّبِ السَّيِّئِ خَضِرُ
تُخَالِ بِقَايَاهَا الَّتِي أَسَارُ^(١) الدُّجَى تَمُدُّ وَشِيعاً^(٢) فَوْقَ أَرْضِيَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مَصْلَتاً سَيْفِهِ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ^(٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ يَمِيناً
وَشِمَالاً وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أُذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُهُ فَأَرْيِكَ فَقْدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لَا أَسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا
قَالَ أَبُو هَالَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الشَّعْرِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ جَيِّدِهِ
وَرَدِيئِهِ كَانَ غَرِيزاً عِنْدَ أَهْلِ الْبَوَادِي وَهُمْ أَصُولُهُ وَمَنْبَعُهُ وَمَعْدَنُهُ ، وَكَانَ فَعْلٌ هَذَا
الشَّيْخِ وَاسْتَفْزَا زَاجِيْدَ الشَّعْرِ لَهُ قَرِيباً مِمَّا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ الْآمِنِ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَا أُطْرِبُ
عَلَى حَسَنِ الشَّعْرِ كَمَا أُطْرِبُ عَلَى حَسَنِ الْغَنَاءِ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا قِيلَ فِي الصَّبْحِ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ
عَلَى أَنَّهُ أَحْسَنُ الْعَرَبِ تَشْبِيهاً :

وَقَدْ لَاحَ السَّارَى الَّذِي كَمَلَ الشَّرَى عَلَى أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى مُشَهَّرُ^١
كُلُونِ الْحِصَانِ الْأَنْبُطِ الْبَطْنِ قَائِماً تَمَازَلَتْ عَنْهُ الْجِلْدُ وَالْأَسْنُ أَشْقَرُ
وَهَذَا أَحْسَنُ تَشْبِيهِ وَأَكْمَلُهُ ، الْأَنْبُطُ : الْأَبْيَضُ الْبَطْنُ ، شَبْهُ بَيَاضِ الصَّبْحِ تَحْتَ
حِمْرَتِهِ بَيَاضُ بَطْنِ فَرَسٍ أَشْقَرٍ . أَخَذَهُ ابْنُ الْمَعْتِزِ فَقَالَ :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلَالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ
وَقَالَ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرخِي الْجَلَالِ
وَمِنْ أَغْرَبِ مَا قَالَهُ مُحَدِّثٌ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتِزِ :

(١) السَّوْرُ : الْبَقِيَّةُ وَالْفَضْلَةُ ، يُقَالُ إِذَا شَرَبْتَ فَأَسْرَ . (٢) الْوَشِيعَةُ : لَفِيفَةٌ مِنْ
غَزَلٍ ، وَتَسْمَى الْقَصَبَةُ الَّتِي يَجْعَلُ النَّسَاجُ فِيهَا لَحْمَةَ الثَّوْبِ لِلنَّسِجِ وَشِيعَةً . (٣) الْبَرْكَ
إِبِلُ أَهْلِ الْحَوَاءِ بِالْفَتْحِ مَا بَلَغَتْ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ الْإِبِلُ الْهَرُوكُ ، وَقِيلَ الْبَرْكَ : أَلْفٌ بِعَمِيرٍ .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنَّهُ
ظالمٌ على بيضٍ تكشفَ جانبَهُ
وقد أبدعَ أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه
كالخبشيِّ قرٌّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه
كأنما بضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فقمْتُ والليلُ يجلوهُ الصبحُ كما
جلا التيسمُ عن غرِّ الثنبياتِ
وفي الفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ
كطاعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطاعةِ الأشمَلِ من بردِ شملٍ وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنهُ
والصبحُ ملتبسٌ كعينِ الأشمَلِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ
والصبحُ بالليلِ مكوثُ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته
كما وقد باتَ ينفخُ الفحسِيا
وقال : والليلُ قد رَقَّ وأصفى نجمهُ
واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معرضاً بفجرهِ في ليلة
كفريسٍ بيضاء دهاء اللب
وقال العلوِي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورِدٌ
مثل المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشع
وقات : إلى أن طويَنا اليومَ إلا بقيةً
يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسكٌ
وقابلهُ للغربِ بردٌ ممسكٌ
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ
وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرقٌ
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً
وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءَهُ
تعلم منا كيف يبهي ويشرق

وقلت : ركبت أعجـازَ ليالٍ مظلمةٍ مطرراتٍ بالصباح معلمة
أخطرُ في بردتها المسهمه والروضُ في حلتها المنمنمة
قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهمه
وقدوشى رداه ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطردُه النهارُ ولا أرى كالليلِ بطردُه النهارَ طريدا
وتراه مثل البيتِ مالَ رواقه هتك المقوص شره الممدودا
وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
والصبحُ قد نسَم في أدبمه يدعه يطرُّ في حيزومه
دعى الوصى في قفا يتيمة

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلِ أجنحة الفجر
والنصف الأول من قول الآخر : عند الصباح يحمد القوم السرى
وقال العلوي الاصفهاني :

وليل نصرتُ الغيَّ فيه على الرشد وأعديتُ فيه الهزلَ مني على الجدَّ
وضيعتُ فيه من عناقٍ معانق فظنَّ وشأتني أني نائمٌ وحدي
الى أن تجلّ الصبحُ من خلل الدجى كما انخرطَ السيفُ اليماني من الغمد
وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيل يخطرُ في نوادي يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
كأنه غرّة مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المعصر
ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاح ضوء الصبح فامتينا كما أرتنا المفرق الدهينا
وقال التنوخي: والسنثيا خافق من فوق مرقب
وبدا الفجر كسيف في يد الجوزاء مذهب
وقلت: أدير على الكأس والليل راحل وفي أثره للصبح بلق شوائل
ترفع عنه منكب الليل فانجلي كما ابتسمت لمياء والسنر مائل
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه علق فوق شفرتيه متاع
وقال: أسامره والليل أسود أورك إلى أن جلا الاصباح عن أشقرورد
تبسم محمراً خلال سواده تبسم ورد الخد في الصدغ الجمعد

ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمس الأصيل لهم حتى توقد في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جر أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعرا المحدثين قول ابن المعتز :

والصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشى في الدجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتدأه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزاحف يزجي خلف اطلاق نؤام الودق كالزاحف يزجي خلف اطلاق
صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي نؤام الودق كالزاحف يزجي خلف اطلاق
كان العازف الحنى أو أصوات نواح نؤام الودق كالزاحف يزجي خلف اطلاق
على أرجائه والبرق يهديه بمصباح نؤام الودق كالزاحف يزجي خلف اطلاق
وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديه حرُّ الهموم
وقامت: وقد غدوت وصبحَ الليل منتقص وغرّة الصبح مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فشالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها
فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن العقدي عن أبي
جعفر عن ابن الأعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنها فتخفي وأما بالنهار فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجر فأنجلي دُجى الليل وأنجاب الحجابُ المستر
وألبسَ عرض الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقُ ثوبٌ مصفر
ولون كدرع الزعفران مشبه شعاع بلوح فهو أزهرُ أصفر
إلى أن علتُ وأبيضَّ عنها اصفرارها وجالتُ كما جالَ الملبحُ المشهر
ترى الظلَّ يطوى حينَ تعاو وتارةً تراه إذا مالتُ إلى الأرض ينشر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا ولتُ لمن يتبصر
وأفنت قروناً وهى في ذلك لم تزل تموتُ وتحيا كلَّ يوم وتنشر
وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محم على

غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفل والشمسُ كالمرآة في كف الأشل
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحول *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعني الشمسُ من دونهما طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارها

قد ستر غُمرتها بالخمائر
وقال ابن المعتز وأغرب :

نظال الشمس ترمقنا بلحظ
تحاول فتق غيم وهو يأبى
وقال ابن طباطبا :

وأقذيت عين شمس فحكت
وقلت: فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
يفضض منها الجو عند طلوعها
وتحسب عين الشمس أذهى رفعت
وقلت في يوم صحو :

ملاً العيون غضارة ونضارة
والشمس واضحة الجبين كأنها
وكانها عند انبساط شعاعها
جرت إذ بكرت ذيول مزعفر
فشربتها عنراء من يد مثاها
وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت في رداء معصفر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :
حتى علا الطود ذيل من أصائله
وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمس في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

طوراً وطوراً تزيل الخماراً^(١)
خفى مدنف من خلف ستر
كعين يريد نسكاح بكر

من خلل الغيم طرف عشاء
كما أشرقت فوق البرية زنب
ولكن وجه الأرض فيها مذهب
على الأفق الغربي شبراً يذرب

صحو^١ يطالعنا بوجه موق
وجه المليحة في الخمار الأزرق
تبر^٢ يذوب على فروع المشرق
وتجر^٣ إن راحت ذيول ممشق
تحكى الصباح مع الصباح المشرق

كأسماء إذ مدت عليها إزارها
كما يصفر فودي رأسه الحرف

مثل الكعاب الخود في نقابها

كَأَنَّ خَبْوَةً^(١) الشَّمْسِ تُغْرِبُ بِهَا وَقَدْ جُمِلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرُضُ
تَخَاوَصَ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكَرَى يَرْنُقُ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثُمَّ تَقْمَضُ
وَمِنْ جِيدِ مَا قِيلَ فِي أَحْمَارِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :

وَكَأَنَّهَا عِنْدَ الْغُرُ بِجُفُونِ عَيْنِ الْأَرْمَدِ

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ وَهُوَ مِنَ الْمَشْهُورِ :

إِذَا رَقَّتْ^(٣) شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ وَرَسًا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لِنَقْضِ نَجْمِهَا وَشَوَّلَ بَاقِيَ عَمْرِهَا وَتَشَعُّشَهَا
وَلَا حَظَّ النُّوَارِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعًا
كَمَا لَاحَظَتْ عَوَادَهُ^(٥) عَيْنُ مَدَنَفٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعًا
وَوَضَعَتْ عَيُونَ الرُّؤُوسِ^(٦) تَحْضِلُ بِالْمَدَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لَتَدْمَعًا
وَبَيْنَ إِغْضَاءِ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهَا خِلَالًا صَفَاءٍ تَوَدَّعًا
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَالشَّمْسُ تُؤْذِنُ بِالْشُرُوقِ كَأَنَّهَا خَوْدٌ تَلَاظِظُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

وَقَالَ السَّرِيُّ :

وَمِنْ قَصْرِ عَلَيْهِ مُشْرِفَةً^(٧) تَحْضِيءُ وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحُجُبِ
يَبِضُ^(٨) إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَفْرِبُهَا حَسِبَتْ أَطْرَافُهُنَّ مِنْ ذَهَبٍ

(١) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « جَشْو » .

(٢) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ (يَرْفُق) .

(٣) كَذَا فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ الْمَخْطُوطِ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِذَا أَرَقَّتْ » .

(٤) الْوَرَسُ : نَبَاتٌ كَالسَّمْسَمِ ، وَمَذْعَدًا : مَتَفَرِّقًا .

(٥) فِي الْأَصْلِ « عَوَادَهَا » .

(٦) فِي دِيْوَانِ ابْنِ الرُّومِيِّ « عَيُونَ النُّوَارِ » .

(٧) كَذَا فِي دِيْوَانِ السَّرِيِّ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَلَى مُشْرِفَةٍ » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاة طيب ليظها واصفرارها

ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :

فإذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعن في الماء الزلال

وقلت : وعلى الصباح غلالة فضية فيها طراز من خيالك مُذهَّب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(استدركات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بنى أمية ، وكان عمى الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	علمت بأن الناب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « أضت » .



﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

الصفحة

- ٢ ترجمة المؤلف .
- ٦ صورة آخر النسخة الشنقيطية .
- ٧ مقدمة الديوان .
- ٨ أحسن ما قيل في وصف شعر .
- ١٠ النضر بن شميل والمأمون ، والكلام على « سداد » .
- ١٠ أخلب بيت قالته العرب .
- ١١ أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .
- ١٤ أبواب ديوان المعاني .
- ١٥ الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار
- ١٥ الفصل الأول : في المديح .
- ٧٦ الفصل الثاني : في الافتخار .
- ٩١ الفصل الثالث : في التهاني .
- ١٠٣ الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٧ الباب الثالث : في المعاتبات والهجاء والاعتذار .
- ١٥٧ الفصل الأول : في المعاتبات .
- ١٧٠ الفصل الثاني : في الهجاء .
- ٢١٦ الفصل الثالث : في الاعتذار .
- ٢٢٢ الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجرى مع ذلك .
- ٢٨٦ الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجرى مع ذلك
- ٢٨٦ الفصل الأول : في ذكر النار .
- ٢٩١ الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .
- ٣٠٥ الفصل الثالث : في وصف الشراب .

٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر وما يجري مع ذلك .

٣٣٣ الفصل الأول : في ذكر النجوم .

٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجري مع ذلك من سائر أوصافه .

٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، وما يجري مع ذلك .

(استندراكات وتصويبات)

الصفحة السطر

- ٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن
٢٠٤ ١٩ وما قيل في قبج الحلقة وغير ذلك
٢١٥ ٤ لا تخدعته بأثواب مصبغة
٢٣٧ ١٠ وغدا فم عليه عند رقيه
٢٤١ ١١ كائن على أنيابها الخرشجها
٢٤٩ ١ وعانقت حلق من صدغه حلقا
٢٦٥ ٩ لو كانت الأشياء تعرفه أجالنه اجلال باريتها
لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
٢٧١ ٢٣ أسر اذا بليت وذاب جسمي
٢٧٦ ١٥ ان الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة
٢٩٣ ٧ يقشر جلداً منه كالنضار
٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجوماً أبصرت من أمرنا وهي به عالة
٣١٤ ٧ هذا الشعر للمخبل اليشكري لا للاخطل
٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام السكرى
٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فغلبه
٣٢٣ ٢٢ أكرم ذخر ذخرته كرمه في عنبه
٣٢٤ ١١ فأت نف المم عنا



﴿ اختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الأول ﴾
وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كركو

الصفحة	السطر	٣٢	١٢	بغضبتها	٧٢	١٣	أكثرها
١١	١	٣٣	٥	ليستقط عنه <td>٧٤</td> <td>٢</td> <td>الخرمى</td>	٧٤	٢	الخرمى
١١	٥	٣٣	٧	عند إتيان	٧٨	١٧	المثالي الشاعرون
١١	٨	٣٣	١٣	الماطرة	٧٩	١٠	أمون.. لحامها
١١	١٥	٣٣	١٤	ومنا الناء	٨١	١٦	الجحاف
١١	١٨	٣٤	١٦	قد طال	٨٢	٧	أخرانا
١٢	١	٣٥	٧	وأنت ملبح	٨٥	١٧	الجماني
١٢	٣	٣٥	١٦	ذمارها	٨٥	٢١	فقري غنى
١٢	١٦	٣٨	٥	وفوا	٨٦	٣	ولا يحل
١٢	١٩	٤٠	١٤	دماذ	٨٦	٥	نبوه
١٨	١٠	٤٠	١٦	ضيغب.. الحفرات	٨٧	١٨	جيت
١٨	١٤	٤١	١٣	أبين عكرمة	٨٧	٢٠	بالأقول
٢٠	١٢	٤٤	٩	بختان	٨٧	٢٠	على الوقود
٢٠	١٧	٤٤	١٩	٢٠، ثامل	٨٨	١	واعتددت
٢٠	١٨	٤٧	٥	وبصدره	٨٨	١١	إلى السكوم
٢١	٢	٤٧	٨	السكوما.. تنجى	٨٩	٦	أشوى
٢١	٥	٥٧	٣	من انشجاعة	٨٩	١٠	أو القناز
٢١	٨	٥٨	١٣	غر الرداء	٩٠	١١	العاصمون
٢١	١٠	٦٠	٢١	وأحسن منهما	٩٠	١١	العارمون
٢١	١١	٦٠	١٩	تفريعا إلى أن	٩٠	١٨	ومنى
٢٢	١	٦١	١١	مركز	٩١	١٤	الفصل الثالث
٢٣	٢	٦٣	٢٠	يافيض	٩٢	٥	شيئا بقاء فمادا
٢٣	٧	٦٥	٣	ابن حري	٩٢	١٠	تنشر أعياداً
٢٥	١٥	٦٥	٢٢	هفان.. ثوابه	٩٣	١٣	راعيه
٢٦	٢	٦٦	٤	أبو الخراف	٩٣	٢٠	كهذا
٢٧	٧	٦٦	٩	أثلمته حوامله	٩٣	١٥	بلبل
٢٧	١٧	٦٦	١١	فيوم تحوط	٩٤	١٢	أنى هفان
٢٧	١٨	٦٦	١١	ما تغب نوافله	٩٥	١٧	يهدى للجليل
٢٨، ١٠، ٧، ١٠	٧، ١٠	٦٨	٥	دوارج	٩٦	١٦	عنان النسكر
٣٠	٤	٦٨	١٩	كما دعيت	٩٦	١٧	بيديه نارها
٣١	١٠	٧١	١٥	أو أزرهم	٩٦	٢٢	إلى من وليه

٩٧ ١٥	اقتفروا	١٥٣ ٤	أن نخل به	٤٩ ٩	شيمت
١٠٠ ١	ولشأوه	١٥٣ ٦	وبادرت منه	٥٠ ٦	وما ظلم
١٠٠ ١٧	تجلى لك	١٥٥ ١٦	زفر	٥٣ ٧	ويمرع
١٠٢ ٦	من مواله	١٥٨ ١٢	راضى سنة	٥٤ ١٠	وتدولوا وعودا
١٠٢ ٢٠	ويلقيك ثواب	١٥٩ ١٠	بجنب الستار	٥٥ ٧	مد العلاء
١٠٦ ٥	إنك	١٧٠ ١٧	بطائشة الصامور	٥٦ ١٦	٣٠ خدى
١٠٦ ٢٢	بلبال	١٧٣ ١١	دوبل .. دوبل	١٤٥ ٧	مذهبه
١٠٩ ١٠	آلف	١٧٥ ٢٢	يزرقى	١٤٩ ١٨	عليم بن جناب
١١٠ ٣	يواكب	١٧٦ ٢	جذمة	١٥٠ ٢٠	سعيد بن مسلم
١١٠ ٩	تقذيتها	١٧٦ ٧	تغلب	١٩٦ ٧	بدي شكر
١١١ ١	مجدلا	١٨١ ١٦	به المعى	١٩٦ ٨	تخوى جمعة
١١١ ٢	بمال	١٩٨ ٣	تكن لتكون	١٩٦ ١٩	فى التطير
١١١ ٣	أغشى	١٩٨ ١٠	أمين	١٩٩ ١١	وأدغمت أبا
١١١ ٧	أخر	٢٠٦ ٢	الدار بطوفى	١٩٩ ١٥	ثنتى عنك
١١١ ٢٠	مادلك	٢١٣ ١٥	غادر الرفض	٢٠١ ٦	فيه مذ زمان
١١٢ ١٣	الصقعب النهدي	٢١٣ ١٨	وقعتما للحين	٢٠١ ٧	ظاهرة سوء
١١٢ ٢١	قد جبت جلبابه	٢١٣ ١٩	زوراذوى السنة	٢٠١ ١٧	كما تزيد
١١٣ ٦	رفيقة	٢٣٣ ١١	فيزيد فيها	٢٠٢ ١١	بسلب الصفات
١١٤ ١٨	بلعاء	٢٣٣ ١٦	أملود	٢٠٢ ١٥	عن الأشنانداني
١١٥ ١٠	يجر	٢٣٣ ١٧	سب .. وطاق	٢٠٢ ١٨	كالذخ
١١٨ ٦	عبد بن الأبرص	٢٣٤ ١٩	يا السلى	٢٠٣ ١٩	ابن مهرويه
١٢٢ ٥	وأنتى غير	٢٣٧ ٨	فيها بلرها	٢٠٦ ٢٠	وتنتنى حتى
١٢٢ ١٨	دجاجة	٢٥٣ ١٤	النرى	٢٠٨ ٢	كسير الجناح
١٢٣ ٨	ابن ميادة	٢٥٥ ١٣	يذاب بعينى	٢٠٨ ٣	خامد المصباح
١٢٦ ٥	عفى الحساب	٢٥٦ ٤	فأسبلت	٢١٠ ٦	وسهاد لحة
١٢٨ ٢٢	ألعمة الله	١٧ ٥	غضبة	٢١٢ ٣	به من دمامته
١٣١ ٩	المشقر	٤٢ ١	تكدر عيشة	٢١٣ ١	أظهر فيه
١٣١ ١٣	راوية .. ابن	٧٦ ١٤	خبث	٢١٤ ٨	غادية
١٣٢ ٣	تتعجب	٩٢ ٥	قعبان	٢١٥ ١٧	ولا تأتبنى
١٣٢ ٤	تجنب	١٢٥ ١٥	بخترى	٢١٦ ٧	فى بيتى
١٣٣ ٦	حاحلة	٢٤٩ ٤	شارب	٢٢٠ ١٨	وللقارف ذنباً
١٣٣ ٧	بوانى	٤٩ ٥	آراؤهم	٢٢١ ٢	أرى الراغب إلى
١٣٦ ٧	قول عماره			٢٢١ ٤	الهيبة الخيبة
١٥١ ١٥	التضافر				
١٥٣ ٣	ريهم صالحى				

٢٩٦ ١٥ من المن	٢٦٣ ٨ الهوامى الهوامع	٢٢٥ ١٥ دمع احدره
٢٩٦ ٤ فى السقى	٢٦٣ ٢٠ قوم موسى	٢٢٦ ١٣ عند خود
٢٩٨ ١١ أتعرف من	٢٦٤ ٨ كمنت فى	٢٢٨ ٨ ونبتها قالت
٢٩٨ ١٦ المعتدة	٢٦٤ ١٤ الحسن عليه	٢٢٨ ٢٢ الحسن بسطة
٣٠٠ ٣ الكيسة الحازمة	٢٦٤ ١٧ معاً فلم	٢٢٩ ٤ بيضاء كالفضة
٣٠٠ ٧ صادفت منا	٢٦٥ ٢ أظرفه	٢٣١ ٤ قاسنى بالبدرد
٣٠٠ ١٩ وقد تردى	٢٦٥ ٢٣ لشدما	٢٣٢ ١٥ حسنه .. حفلت
٣٠١ ١٠ موشى تحال	٢٦٦ ٨ الوصل شافيا	٢٣٧ ٦ عين تفل
٣٠٢ ١٧ ثغر .. الواضح	٢٦٦ ١٠ وأرحم	٢٤٠ ١٣ يحتشأ أحور
٣٠٤ ١٠ فدون السمن	٢٦٦ ١٤ لم يك	٢٤١ ١ مشرب عذب
٣٠٤ ١١ طيف سلى	٢٦٩ ١٨ فى الشمس	٢٤٢ ١٤ بدلها
٣٠٤ ١٤ منسر الباز	٢٧١ ٥ فغافصاه	٢٤٤ ٤ وأثنى
٣٠٨ ١١ سبأها التاجر	٢٧١ ١١ ياجنان	٢٤٤ ١٤ زق أمات
٣١٠ ١ أرى نجمين	٢٧٢ ١٠ يعش .. المنون	٢٤٤ ١٦ فأفضيت
٣١٠ ٥ ووجنة	٢٧٢ ٢٠ اقتياد .. صاحبه	٢٤٥ ١٩ قلقت وشحه
٣١٠ ١٣ ذهن لطيف	٢٧٣ ١ فى يستن	٢٤٦ ٨ تغضبن .. انتعلت
٣١٢ ١٨ وقد حجب	٢٧٦ ١٠ سفعة	٢٤٧ ٧ طرة .. طرة
٣١٥ ٣ اله ان	٢٧٧ ١٠ يشنى الجوى	٢٤٧ ١٤ أو بالمنى
٣١٥ ٦ لهو الى	٢٧٧ ١٣ زف .. خياني	٢٤٨ ٢٢ قرنوا
٣١٥ ١٧ لآتى ما	٢٧٧ ١٨ معان جياذ	٢٤٩ ١ أو كالجيم
٣١٨ ٢ فأزرى	٢٧٧ ٢٠ ولا طارقاً	٢٥٠ ١٦ وما سلى
٣١٨ ١١ راضعت	٢٧٨ ١٥ ونحن مفترقان	٢٥٠ ١٨ وصف الساق
٣١٩ ١٣ على الأجسام	٢٨١ ٥ ليلة القرر	٢٥١ ٣ نقطن أذقانا
٣٢٠ ٢ ذكر مزاج	٢٨١ ١١ حجاماً	٢٥١ ١٣ القوام والترنج
٣٢٥ ٥ ميل	٢٨٢ ١٢ من نزوح	٢٥٢ ١٠ إلامشاشة
٣٢٦ ١٨ والأرض بمه	٢٨٤ ٢ فنبهن	٢٥٢ ٢١ يخرق
٣٢٧ ١٥ ابن سريج	٢٨٥ ٨ تنفض	٢٥٤ ٢١ خلص
٣٢٧ ١٨ عمل زلزل	٢٨٩ ١٩ وجواهم سفح	٢٥٥ ٤ أطراف خرمة
٣٢٧ ٢١ فى جس	٢٩٠ ٣ موقوفه بين	٢٥٦ ٦ كما سقى
٣٢٨ ٤ أحرفه	٢٩٠ ٢١ تصبغ بالدماء	٢٥٦ ٢١ السيف الصقيل
٣٢٩ ٤ فإيتداوى	٢٩٣ ٥ فى جوذابة	٢٥٧ ١٢ فاض من
٣٢٩ ١٩ دكن الغواهر	٢٩٦ ١١ أرج العطر	٢٥٨ ١٥ كرم المطايا
٣٢٩ ٢٠ فى تباين		٢٥٩ ٦ من طيبها
		٢٥٩ ١١ يعيم كل

